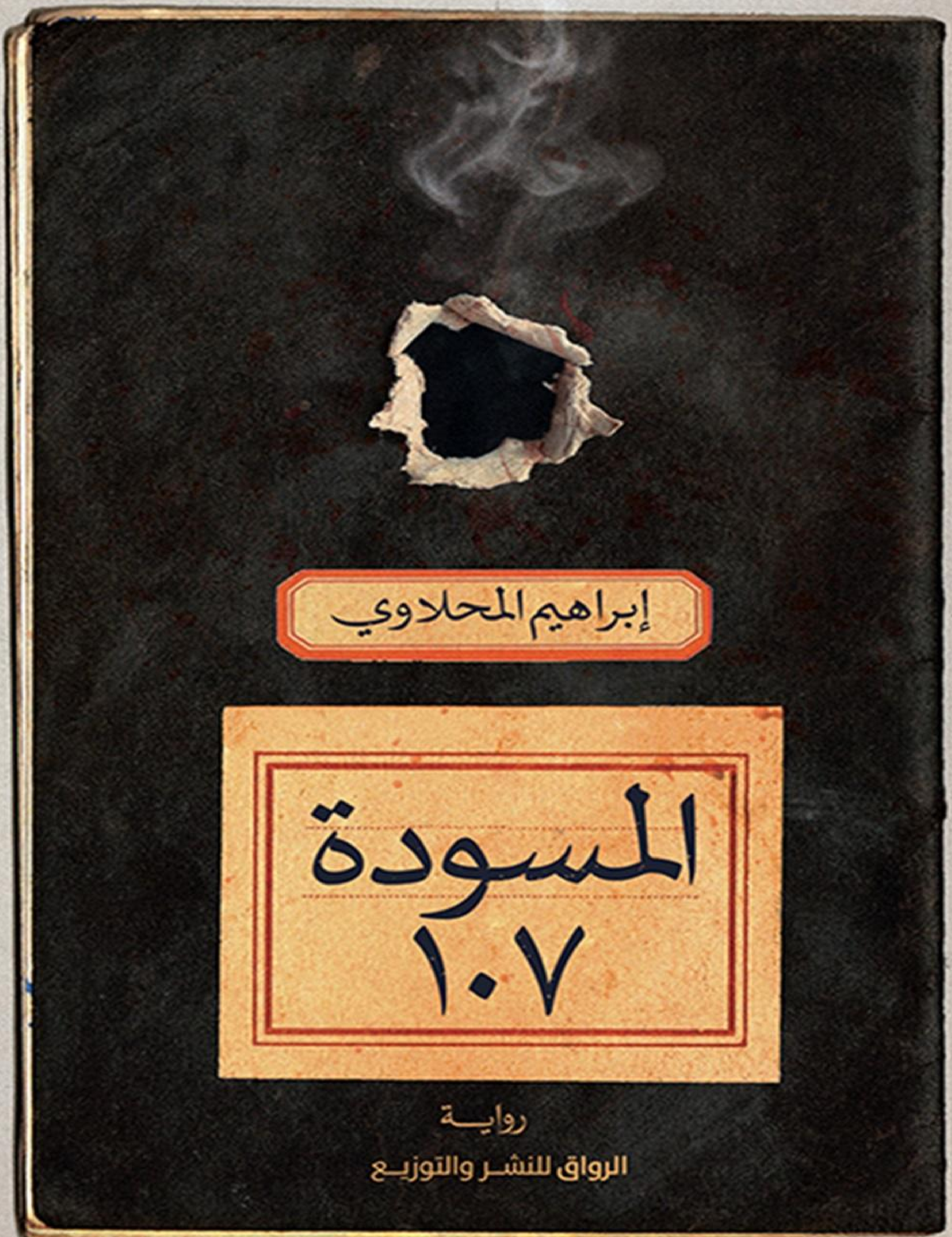
إبراهيم المحلاوي
المسودة
١٠٧
رواية
الرواق للنشر والتوزيع

المسودة 107

إبراهيم المحلاوي

رواية

الرواق للنشر والتوزيع

المسودة 107

إبراهيم المحلاوي

الطبعة الأولى ---- يناير 2022

الإخراج الفني: ضياء فريد

المراجعة اللغوية: إسلام منتصر

تصميم الغلاف: عبد الرحمن الصواف

رقم الإيداع: 2022/2467

الترقيم الدولي: 978-977-824-152-5

جميع حقوق الطبع محفوظة

186 عمارات امتداد رمسيس 2 - أمام أرض المعارض - مدينة نصر

هاتف: 20220812006+

rewaq2011@gmail.com

alrewaqpublishing

alrewaqpublishing

www.alrewaqpublishing.com

للنشر والتوزيع

إهداء

وسام، لولاكِ ما أنجزت هذا العمل..
محمد، لولاك لأنجزته مُبكرًا..
أحبكما

«تُشبّه النَّفس البشرية بسجينٍ مُقيّدٍ بالسّلاسل، وُضِع في كهف، وخلفه نارٌ ملتهبةٌ تضيء الأشياء، وتطرح ظلالها على جدارٍ أُقِيم أمامه، فهو لا يرى الأشياء الحقيقيّة، بل يرى ظلالها المتحركة، ويظن بها حقائق».

جميل صليبا

إشارة

الصَّفحات والفقرات المطبوعة بالحرف الأسود المائل هي نسخة طبق الأصل من رواية (مصيدة الكتاب الأزرق) التي صدرت مطلع هذا العام.

توطئة

عندما تنتهي من كتابة هذه الرواية سأقطع يديك حتى لا تكتب مرة أخرى لأحدٍ غيري..

الساعة 11:11

وقتٌ مناسبٌ للصَّيد

تمتد يد لتفتح الكاميرا..

شاشة سوداء.. وصمت طويل..

يبدأ سماع صوت موسيقى هادئة.. تشويش.. صوت موسيقى.. تشويش.. تنقطع الموسيقى.. ثم يأتي صوت أحدهم:

- أنا يائسٌ.. ولا مَفَرَّ أمامي سوى فعل ذلك؟

تُفْتَح الشَّاشة على وجه الكاتب آدم وحيد ذي الأربعين عامًا بشعره الطَّويل غير المُهَنْدَم، ولحيته الكثيفة، يبدو عليه الارتباك والخوف وقِلَّة النَّوم.. يُحَدِّق في الأرض لبضع ثوانٍ ثم ينظر نحو الكاميرا ويتابع حديثه:

- لقد وضعت نفسي داخل هذه اللعبة دون أن أشعر.. انجرفت قدمي نحو الشُّهرة والمجد والأحلام الزَّائفة.. واليوم يجب أن أدفع ثمن ما اقترفته في حق نفسي وقُرَّائي والجميع..

ويبتسم بسخرية والدموع على وشك السقوط من عينيه:

- ما الذي يجب عليَّ فعله حتى أكفِّر عن ذنبي، حتى أشعر بالسكينة والهدوء، حتى أهرب من القلق والخوف والعبث الذي يحاوط حياتي.. لا شيء منطقيًّا يمكن أن أفعله سوى أن أنهي حياتي دون أي اختيار مني..

ثم بكى قليلًا حتى ابتلت لحيته، وقال بيأس:

- نعم أنا مُجبرٌ على ذلك.. ولكن في حقيقة الأمر أنا أحب الحياة، أحبها جدًّا، ولكن الحياة لا تحبني.. ما باليد حيلة.. فأنا ضعيف أمامها لا حول لي ولا قوة.. والآن يجب أن أقرر مصيري بنفسي بعيدًا عن أي عاطفة..

أخرج مسدسه من جيبه، وبيد مرتعشة وضع فوهته على رأسه، وقال والدموع لا تزال تسقط من عينيه:

- في الظروف العادية كنت سأتراجع عن ذلك في اللحظة الأخيرة فأنا جبان.. جبان لأبعد حد ممكن أن يتخيله أحد.. ولكن الأمور داخلي تتفاقم ولا أحد يساندني، ولا

يقدم لي يد العون.. كم هذا مؤسف أن أعيش هكذا مطاردًا وفي خوف مستمر لا ينتهي..

تنفس بعمق النفس الأخير، ثم ضغط بإصبعه على الزناد وأطلق رصاصة ثقبت عظام جمجمته وهوت بجثته على الأرض بلا حراك.(1).

(1). تم تحريز هذا الفيديو وتفريغه لعرضه على لجنة من الخبراء الجنائيين لتحليله.

تقرير سري 1

في تمام الساعة 8:49 من صباح يوم الخميس 7 يوليو، فُجِّرَت ثلاث قنابل على متن قطارات مترو أنفاق القاهرة بفارق 50 ثانية عن بعضها، وكانت كالتالي:

- انفجرت القنبلة الأولى على متن قطار ذي ست عربات رقم 204 على سكة سي 69 وسي 77 المتجه إلى حلوان.. كان القطار قد غادر محطة المرج قبل ثماني دقائق تقريبًا.. وفي وقت الانفجار، كانت العربة الثالثة في القطار على بعد نحو 90 مترًا على طول النفق من شارع سعد زغلول، وتضرر مسار خط المترو نتيجة الانفجار.
- انفجرت القنبلة الثانية في العربة الثانية لقطار ذي ست عربات آخر رقم 216، على سكة سي 69 وسي 77 الذي كان قد غادر لتوه الرصيف 4 في محطة رمسيس، مُتجهًا غربًا نحو شبرا الخيمة، وكانت هناك عدة قطارات أخرى قريبة وقت الانفجار؛ منها قطار الخط الثالث القادم إلى الرصيف 2، والذي مَرَّ بجوار القطار المُفجَّر وتضرر نتيجة التفجير، وكان هناك جدار انهار لاحقًا.
- فُجِّرَت قنبلة ثالثة على قطار ذي ست عربات رقم 311 على سكة سي 73 في خط المطار، المُتجه جنوبًا من العتبة إلى الدقي.. انفجر الجهاز المتفجر بعد دقيقة واحدة تقريبًا من مغادرة القطار، وبحلول ذلك الوقت كان قد قطع نحو 450 م.. وقع الانفجار في الجزء الخلفي من العربة الأولى من القطار مُتسببًا في أضرار جسيمة في الجزء الخلفي من العربة، وكذلك في مقدمة العربة الثانية، وأُصيب النفق المحيط بأضرار أيضًا.
- **حافلة (جو واي) للرحلات:** بعد نحو ساعة من وقوع انفجارات مترو القاهرة، انفجرت قنبلة رابعة على السطح العلوي للحافلة من الحافلات ذات الطابقين، (ماركة مرسيدس، ذات الرقم 17758، وكان عمرها التشغيلي سنتين، وتُديرها شركة «جو واي» للنقل البري، والتي كانت متجهة من المظلات إلى الإسكندرية.. مرت الحافلة قبل الانفجار بمدة قصيرة، قرب محطة شبرا الخيمة.. وقع الانفجار في الساعة 8:47 صباحًا، مُدمِّرًا سقف الحافلة والجزء الخلفي منها.. الانفجار وقع بالقرب من مستشفى وتمكن عدد من الأطباء والطاقم الطبي في المبنى من تقديم المساعدة الطارئة الفورية للجرحى والمصابين.

اعْتُقِدَ في البداية أنه كان هناك ستة انفجارات، وليس ثلاثة في شبكة مترو الأنفاق.. أدى تفجير الحافلة إلى وصول العدد الإجمالي إلى سبعة.. وأُوضِح هذا في وقت لاحق من ذلك اليوم.. يمكن أن تُعْزى التقارير الخاطئة إلى وقوع الانفجارات في قطارات كانت بين المحطات، ما تسبب في خروج الركاب الجرحى من المحطتين، فأعطى ذلك فكرة وقوع حادثة في كل منهما. راجعت الشرطة أيضًا توقيت الانفجارات: أشارت التقارير الأولية إلى وقوعها خلال فترة نصف ساعة تقريبًا، كان

هذا بسبب الارتباك في مترو أنفاق القاهرة، إذ أَعْتُقِدَ أن الانفجارات نتجت أصلًا عن زيادة مفاجئة في الطاقة الكهربائية.. كما شمل تقرير مبكر، أُعِدَّ بعد دقائق من الانفجارات، وجود شخص تحت القطار، بينما وصف تقرير آخر حالة انحراف (كلاهما حدث، ولكن بسبب الانفجارات).. بينما أمر وزير النقل القطارات بالمتابعة فقط إلى المحطة التالية وتعليق جميع الخدمات لحين إشعار آخر.

ملحوظة أخيرة: في جميع أماكن التفجيرات بعد المعاينة وجدنا رسمة متاهة تحتوي على بعض الرموز والأرقام غير المفهومة إلى الآن بالنسبة لنا.. ولا نعرف إلى ماذا تشير.. ونعمل حاليًّا على التأكد بأن مَنْ تركها هم الإرهابيون.. لأنها ربما تكون فعلًا صبيانيًّا من أحد المراهقين.[(2)]

(2) تقرير سري أعدَّه الضابط مجدي المهندس.

السّاعة 11:11

لقد شعرتُ بالوحدة في الآونة الأخيرة

- 0 -

إنه لمن المُؤلم أن تبقى وتنتظر مجيئه كل ليلة، لا تعلم أين هو الآن؟ وكيف يقضي ليلته؟ إنه لمن المُحزن أن تكون الشخص الذي ينتظر.. وفي قوانين الانتظار يجب عليك ألا تقول وألا تشكو، وأن تبقى هكذا صامتًا بلا يقين يريح قلبك المكلوم، تكتم فيضًا من المشاعر داخلك، وتتظاهر بأنك على ما يرام، وفي الحقيقة أنك على وشك أن تسقط وتنهار.

في غرفتها المُظلمة تستلقي سعاد على سريرها، وعيناها تدوران في الفراغ بلا هدف محدد، تحاول أن تستوعب تلك اللحظة التي علقت بها ووهبتها الحزن، ومهما حاولت أن تفلت منها لم تستطع النجاة.. تُعرف تلك اللحظة بالنسبة لها بأنها هي التي حطمت حياتها وأعادتها إلى ما تحت الصفر.. كانت في الماضي سعيدة.. سعيدة جدًّا، تحب زوجها وهو أيضًا يحبها، لكن استئصال الرحم نغَّص عليها عيشتها، وأصبح العناق بينهما باردًا مثل الثلج، ومع مرور الوقت بعد عنها، أو بالأدق انزلقت قدماه في البئر وخانها، كانت تدري، وعلى الرغم من ذلك؛ فلم تستطع التصريح له بأنها تعرف خطاياه، كانت لا تريد الانفصال لأسباب اجتماعية بَحْتَة، فهي سيدة مجتمع مرموقة، ولكن البقاء هكذا مُرٌّ ومُوجعٌ، لكنها على أي حال تحملت ذلك ورضيت به.

مدَّت يدها إلى (الكمودينو)، والتقطت علبة سجائرها وقطعة الحشيش التي بجوارها.. إنها ماهرة في تسخين قطعة الحشيش بولاعتها الفضية ثم فركها وخلطها بشكل متناغم مع التبغ الذي تخرجه من سيجارتها ثم تلف السيجارة مرة أخرى بواسطة (ورقة بفرة) تحملها معها باستمرار، وفي ثوانٍ كانت قد أشعلت سيجارة الحشيش، وجذبت نفسًا عميقًا ثم نفثته ببطء في الهواء.

مع مرور الوقت أصبح الظلام الدامس يسود الغرفة، فالستائر تمنع مرور أي بصيص من الضوء القادم من الشارع وأصبح مصدر الضوء الوحيد هو تلك النقطة الحمراء المشتعلة في مقدمة سيجارتها والتي تزداد توهجًا كلما سحبت نفسًا.

في الحقيقة، هي تحاول أن تنسى وتجرب كل الطرق الممكنة لكي تمحو هذا الحب من قلبها، ولا تُبقي شيئًا له مختبئًا بين أضلاعها، لكنها أدركت بعد وقت طويل أن الاختباء لا يناسبها، ولا يوفر لها ما ترغب به، وكلما حاولت تغيير ما لا تريد وقعت في شَرَك الوحدة التي تحاول دومًا الهروب منها، فهي مثل الوحش الكامن داخلنا، والذي لا يرحم ضعفنا، فعندما تُتاح له الفرصة يتغلل بجذورنا بكل هدوء، ولا يتركنا إلا ونحن فارغون ومُنْهَكون تمامًا.

يثقل رأسها من أثر الحشيش وتتمتم بصوت مسموع: «لا يهتم بي ولا حتى يعاشرني، لا أحصل منه على أي شيء مادي أو معنوي.. إحساس بغيض أن تكون كالميت لا يكترث بك أحد، والأكثر بغضًا أن يظل هذا الشعور داخلي لا يتزحزح.. ثم قالت بطريقة مسرحية: لقد انتهى زمن الوعود وأصبح من دواعي سروري أن أحترق من أجله.. العزلة أصبحت غايتي، وعلى الرغم من أنني بقيت فيها سنوات؛ فإنني لم أفهمها أبدًا، ولم أدرك أسرارها، ولم أتقبل واقعها ولم أكف عن الوَلْوَلة والصراخ على حالي التَّعِس».

تمنَّت لو تغيرت حالها وابتلعها ثقب أسود في مكان غير معلوم، وعاشت في حياة أخرى تستطيع فيها لملمة ما تبقى من عمرها الذي انفرط.. إن حياتها بالنسبة لها لعينة، وهي لا تملك أي شيء حيال ذلك!

- إنني لست سيئة حتى يصيبني كل هذا الحزن بلا شفقة..

ورددت بتوسُّل:

- يا الله لقد فعلت كل ما في وسعي.. وقد حان دورك الآن.. أنقذني.

وسقطت في بكاء صامت، حتى هدأت تمامًا، وأطفأت سيجارة الحشيش في المطفأة الموضوعة على سطح (الكمودينو) ليَعُم ظلام تام.

- وماذا الآن؟ إنها ليلة سيئة.. مثل كل الليالي التي عشتها هنا.

قالتها لنفسها ساخرة، بينما يشتعل الصداع برأسها ولم يتبق لها حتى تكتمل مأساة يومها سوى أن تنام وترى كابوسًا مزعجًا، وهذا يحدث بالفعل كل يوم.

*****

تستيقظ وهي تصرخ صرخات يُدَوِّى صداها في أرجاء الغرفة، بينما يداها متشبثتان بقوة بملاءة الفراش كأنها تخشى أن ينتزعها أحدهم من مكانها ثم تهدأ تدريجيًا عندما تدرك أنه مجرد حلم، وطالما أنه حلم فلا توجد إمكانية لحدوثه على أرض الواقع، وجال بخاطرها أنه لا فرار من هذا العالم سوى بالنوم مرة أخرى، ولكن جسدها المكتفي يرفض المواصلة: «أنا متعبة جدًّا ووحيدة لأبعد حد، كنت أظن طوال الوقت أن النوم هو الحل المثالي لما أنا فيه، ولكن اتضح لي أن الأمر أكبر من ذلك، فأنا أشعر أكثر من اللازم وهذا سبب مأساتي».

تنهض وهي تشعر بالتعب، وفي لحظة قيامها تقرر فجأة الذهاب إلى حديقة المنزل لتسقي الزرع وتنظف الأرض من الحشائش الضارة كفعل اعتادت عليه دائمًا في سنواتها الأخيرة، الاعتناء بحديقتها وتهذيبها.

ارتدت بنطال بدلة رياضية، وكنزة صوفية قديمة بعض الشيء، كي لا تتسخ ثيابها في أثناء العمل، وبحركة عفوية ربطت شعرها خلف ظهرها على هيئة ذيل حصان ثم هبطت إلى الأسفل.

وراحت تدور بعينيها في الطبيعة التي أمامها تفكر في شكل أيامها التالية، وسألت نفسها: هل سأظل هكذا؟! لا بُدَّ أن تتغير الحال، ولكن المشكلة كلما تحمست للتغيُّر خافت وطردت الفكرة من رأسها، لكن العمر يمر ولا شيء يحدث سوى الحيرة والقلق وازدياد الخوف.

فجأة انقطع تسلسل الأفكار، وتجمد عقلها بُرهة، وما لبثت أن مرَّ الذُّعر بشكل خاطف داخل جسدها، بينما ركض عقلها المتوقف مناضلًا كي يستجلي ما يشاهده أمامه الآن، محاولًا أن يرسم لها الصورة المشوشة بوضوح كالتالي..

زوجها الناشر المعروف شريف رشدي مُلقى به على الأرض كجثة هامدة، وعيناه مفتوحتان على اتساعهما بلا أي استجابة..

- 1 -

«يسير في الصحراء تائهًا بلا دليل يبحث عن شيء ما، وفجأة انجرفت قدماه في حفرة عميقة، هبط داخلها كما يهبط الماء بانسيابية شديدة، وبلا أي مقاومة صرخ وهو يسقط ثم صرخ وهو يتألم بشدة، وظل لفترة من الوقت حتى تمكن من الوقوف على قدميه مرة أخرى.. حاول جاهدًا أن يتسلق الحفرة ليخرج، ولكن في كل مرة كانت تنزلق قدماه بعد بضع خطوات ويسقط.. وعندما فقد كل طاقته ويَئِس من النجاة قرر أن يستريح قليلًا، فاستلقى على الأرض نائمًا على ظهره، وعلى غفلة وجد بلدوزر ضخمًا يستعد ليهيل عليه الرمل.. قام مفزوعًا، ورغم صرخاته؛ فإنه لم يلتفت له أحد».

أخذته رهبة، وفزع جالسًا على فراشه.. كابوس مزعج لطالما يتكرر معه باستمرار في الشهور الأخيرة، ومهما فعل حتى يتجنبه لم يسلم منه أبدًا، يوميًّا يطارده في منامه كأن الكوابيس جزء لا يتجزَّأ من يومياته لدرجة أن شعر بأنه سُجِن داخل أحلامه ولن يستطيع الفرار منه أبدًا..

- كابوس مرة أخرى؟!

قالتها رشا، وهي تُغْلِق زر البلوزة الكشمير.. فتَمْتَم مجدي بصوت مَبْحُوح كأنَّ أحباله الصوتية قد خُدِشَت:

- كالعادة.
- وماذا رأيت هذه المرة؟

لم يشأ أن يروي ما شاهده في منامه، بل اكتفى بأن يقول لها:

- لا أتذكر شيئًا من تفاصيله.. أنسى كل شيء بمجرد أن أستيقظ.

فقالت مُهوِّنةً عليه:

- أنت مُرْهَق ويجب أن تحصل على إجازة.
- إجازة!!

ردد الكلمة وحاول استساغتها بين شفتيه، ولكنها لم تَرُق له، فأكدت له:

- أنت بحاجة شديدة لها منذ عودتك من رحلة أسوان وأنت تعاني في منامك بشكل ملحوظ.

قال في حسم:

- إنها كلمة ليست في قاموسي.. طوال حياتي العملية لم أحصل يومًا على راحة..

فقالت له في تأكيد آخر:

- وهذا سبب كافٍ لتحصل عليها الآن.
- سأفكر في الأمر.

وقالت في رجاء:

- يجب أن تفعل ذلك من أجلي.. إننا نقتل أنفسنا ببطء شديد عندما نفكر في كل شيء بلا توقف.. وفي النهاية تسير الأمور كما هو مخطط لها.
- نحن بشر ولا يمكننا كبح وساوس أفكارنا.. هكذا خلقنا الله.
- لذلك الاستجمام مهم حتى نستطيع المواصلة في هذه الحياة.

أَوْمَأَ برأسه مُؤَمِّنًا على كلامها ثم تابع بابتسامة:

- على كلٍّ نسيت أن أخبرك بأن هناك حركة ترقيات قادمة في كل الصحف القومية.. استعدي لمنصبك الجديد.

ملأت الدهشة وجهها قائلة:

- ماذا تقصد؟!
- اذهبي الآن إلى مكتبك وغدًا ستعرفين بنفسك كل شيء.

طبعت قُبلة على خده، ثم ابتسمت له في امتنان وغادرت.

كيف آخذ حياتي في نزهة؟ تردد السؤال في عقله محاولًا تخيُّل كيف يمكنه فعل ذلك، في بعض الأوقات تحتاج إلى اتخاذ قرارات مفاجئة وسريعة دون أن تفكر بها كثيرًا، التفكير في مثل هذه الأمور مُضِر، ويفتح الباب للتردد والقلق.

*****

يقول أحد الحكماء: كلما زاد نُضجك، قلَّ عدد أصدقائك، قلَّت نسبة تأثرك من فراق أحد، وقلَّت الأشياء التي تهزمك.

ورغم كل النضج الذي وصل له؛ فإنه لا يزال كل شيء يهزمه ولا أحد يرحم ضعفه.. لم تكن حياة مجدي سوى صراع مستمر بين ما يريد وما لا يريد.. صراع أبدي ينتصر فيه دائمًا ما لا يريده؛ لذا لا يجد أي لذة في بقائه هكذا بلا هدف، يتخلص من أفكاره بأن يكتبها في الدفتر الصغير الذي يحمله معه باستمرار، يسجل به كل ما يدور بعقله.. وفي هذا الصباح كان بحاجة إلى أن يكتب، فكتب في مفكرته ما يلي:
«أواصل الغرق أكثر في الشك والبؤس، في تلك الحياة العدمية التي تمثلت أمامي منذ أن حاولت تغيير حياتي.. أعطيت الماضي ظهري، وهربت منه بكل فشلي، وخيَّبت أملي..

من حين لآخر أمكث في البيت فاقدًا للإحساس بالوقت، في محاولة للبحث عن يقين ضاع مني في متاهة الحياة.. وجهي في المرآة يسخر مني.. لقد لفظني الجميع، مَنْ أحبهم قبل مَنْ يكرهني.. كل شيء أصبح في الاتجاه المعاكس، وأصبحت الخيبة زادي الوحيد في هذا العالم القذر الذي فقدت معه كل درجات مشاعري، وعواطفي التي تحولت لكتلة من الجليد، لا تبالي بأحد..

سنوات مضت وأنا أحاول أن أتغير.. لم أنتصر ولم أنهزم.. خذلت الجميع، واكتفيت بالوقوف في المنتصف.. عاجزًا.. بائسًا.. لا أملك أي قرار.. الخوف يثقل رأسي بدوامة من الأفكار الملعونة.. أصبحت أكره النوم، الأحلام توخزني في رأسي، تهز وجداني وتربكني، وأستيقظ وأنا أشعر بالتعب وصعوبة في التنفس وعدم الرغبة في الحياة..

في أيام المحنة السابقة ظلت رشا بجواري، كانت تسأل عني بين الحين والآخر.. طلبت منها البُعد، لكنها أصرت على القرب وارتضت بحياتها الزوجية هكذا.. مزاجي السيئ على الدوام لم يمنعها من الابتسام في وجهي وممارسة الحب معي.. رشا تفهمني.. تتحملني.. تصبر عليّ.. ترضى بقسوتي.. لذلك كنت أحاول باستمرار أن أبقيها في حياتي، حتى جاء اليوم الذي قالت لي فيه:

- أنا حامل!!

رمقتها بدهشة وتوقف عقلي قليلًا حتى استوعبت ما قالت.. ثم تابعت بجِدَّة:

- لا تريده؟!
- ...
- أجبني؟!

قلت ببساطة:

- لا أريده.. ليس وقته.

قالت بغضب:

- كنت أتوقع منك هذا الرد؛ لذلك سأتخلص منه.. وأتخلص منك إلى الأبد.

وانهمرت الدموع من عينيها.. وخرجت الكلمات التالية غير واضحة من بكائها.

- دائمًا ما تتخلى عني.. ترفض أن تعطيني الأمان الذي بحثت عنه طوال حياتي.
- لأنني ببساطة لا أملك أي أمان.
- جبان.
- أكثر مما تتخيلي.
- متى ستُظهر شغفك بي؟
- الشغف وهم المحبون الممتلئون بالأمل.. وأنا خاوٍ.. روح مُصْمَتة، بالكاد تعيش.
- هل ستتركني هذه المرة كما المرات السابقة؟
- لا أحب أن يضعني أحدهم أمام شيء لم أتفق عليه.. لا أحب المفاجآت.

هزَّت رأسها في تفهُّم وتركتني ورحلت، ولكن هذه المرة على غير المتوقع مني، جريت وراءها وأمسكت يدها، ونظرت مباشرة في عينيها وأنا أبتسم..

- سنبقى معًا.. لا مفر.. أنتِ قدري.
- لعنة الله على مشاعرك العشوائية.

قالتها وهي تحاول جاهدة أن تبتسم ثم ارتمت في حضني وسألت:

- ماذا رأيت في حياتك حتى تكون مشاعرك بكل هذا التناقض؟
- قد يكون الأمر فيما لم أره.. في كل ما أخاف منه.

وابتعدت عن حضني وسألت مستفسرة:

- والحب؟!
- الحب والخوف وجهان لعملة واحدة وهذه مأساتي.. فكلما أحب أكثر أخاف أكثر.
- منتصف الأشياء لديك مُخيف.. نقطة غامضة لا أستطيع أن أنتشلك منها.

فقلتُ لها بتوسُّل:

- لذا لا تتركيني مهما حدث».

توقف مجدي عن الكتابة وقال لنفسه: «التغيُّر ضروري في الحياة، لكن التغيرات غير المتوقعة قد تربك الحسابات، وتسبب الدمار».. لذا حاول أن يعيد حياته معها لنقطة

البداية.. يوم أن التقيا واشتعل الحب في أوصالهما.. لكن كيف والنضج الذي داخلهما يدمر كل شيء.

وتغيرت حياته شيئًا فشيئًا مع ازدياد انتفاخ بطنها.. إنه لشيء عظيم يكسوه الخوف أن تنتظر طفلًا في هذا العالم القبيح.

جذبه رنين هاتفه، وعندما رفض المكالمة لم تمضِ سوى ثوانٍ حتى وصلت له رسالة نصية قصيرة: «**احضر فورًا، هناك جريمة قتل ربما تكون مُتعلقةً بقضيتنا**».

- 2 -

كيف تمحي ذلك المشهد من ذاكرتها؟

سيطرت عليها انقباضات قلبها وتملكها خوف شديد، كأنها تواجه رعُبًا ما غير مرئي، فبدأ قلبها ينتفض بين أضلاعها والدموع تنساب من عينيها بغزارة، تتذكر جيدًا، تلك اللحظة التي قررت أن تترك فيها جثته وتغادر المكان مُبتعدة؛ هربًا من عينيه اللتين تحدقان بهما، وإلى أن أتت الشرطة مرَّ عليها الوقت، كالدهر لم تستطع تحمُّله، والأصوات في عقلها لا ترحمها:

- هل مات فعلًا أم أنا في كابوس، لا أستطيع الإفلات منه؟

وازداد الخوف داخلها وهي ساكنة مكانها، حينما أدركت أنه أمر واقع لا مفر منه، ويجب عليها الآن أن تتقبل أنه مات، ولكن السؤال الذي أَلَحَّ فجأة عليها دون أن يكون مناسبًا لتلك الظروف: «هل هي حزينة على موته لأنها تحبه أم لأنه زوجها؟».

تراجعت فجأة وهبطت على الأرض مُتكورةً على نفسها، وسكتت أكثر، وعيناها منتفخة من كثرة البكاء.. كان قلبها مفطورًا، ولم تكن تعرف كيف تعالج هذا الوجع وهي تقول لنفسها:

«لقد مات، والآن أستطيع أن أكون حرة، ولكن هل هذه هي الحرية التي كنت أريدها؟ أنا في الواقع كنت أريد أن أظل سجينته، ولكن على شرط أن تمنحني الدنيا ما حرمتني منه، وأن يكون لديَّ بدل الطفل ثلاثة، لكن رّبُّ الأطفال الآن مات، وأنا سأظل حزينة، هذا هو الأمر ببساطة». وهكذا تصوَّرت حياتها الباقية.. حياة بائسة على طول الخط.

سمعت أصوات (سارينة الشرطة) قادمة، هدأت قليلًا، ونهضت من مكانها وهي تشعر بالدوار، ولكنها تمالكت نفسها وراحت تتابعهم عبر النافذة، وهم ينتشرون في كل مكان.

أحد الجنود رأى الجثة فنادى على قائده، ركَّزت بصرها على ضابط المباحث الشاب ذي الشارب الكثيف الذي يوجِّه الجميع ويعطي لهم التعليمات، ثم يقترب بحذر من مكان الجثة، وبمجرد أن رآها كاد أن يفرغ كل ما في بطنه، فجحوظ عين القتيل كان

مُرعبًا يُنَفِّر النفس ويُشْعِل الخوف بها.. والضابط الشاب كان حديث التخرج، ولم يكن قد اعتاد بعد على مثل هذه المناظر التي سيعتاد عليها بالتأكيد في قادم الأيام.

كان باب الفيلا الرئيسي مفتوحًا، فتقدم الضابط والعساكر إلى الداخل، فوجدوا المنزل يَعُمُّه الظلام الكثيف بسبب الستائر المُنسدلة، فتطوع أحد الجنود وبحث عن مفاتيح الكهرباء حتى وجدها، لينتشر الضوء في كل مكان.. ثم صعد الضابط إلى الطابق الأعلى عندما لم يجد أحدًا بالأسفل.

دفعها للانتباه طرقٌ رقيقٌ على الباب، وقالت على الفور بصوتٍ وَاهِنٍ:

- تفضَّل.

ابتسم لها ضابط المباحث الشاب، وسألها بلُطف:

- هل أنتِ بحاجة إلى أي مساعدة؟

تَمْتَمت بصوت يكاد يُسْمَع:

- أنا بخير.

قال مُواسيًا:

- لا أحد يكون بخير في تلك المواقف الصعبة، الكل يهتز ويفقد اتزانه، وربما يفقد عقله.

أجابته بإصرار محاولة تبسيط الأمر:

- لا، أنا بخير، لا شيء جديدٌ، سوى أن مساحة الحزن زادت في روحي.. أنا بخير.. بخير.

ودخلت في نوبة بكاء سقطت على إثرها على الأرض مغشيًّا عليها.

*****

عندما وصل الضابط مجدي وبصحبته مساعده وائل كان رجال البحث الجنائي على وشك الانتهاء من رفع البصمات وتجميع الأدلة المتاحة في مسرح الجريمة، على أمل أن يساعدهم ذلك في معرفة القاتل في أسرع وقت.. تابعهم ضابط المباحث باهتمام وعندما دنوا منه رحَّب بهم، وقال:

- لفت نظري أننا وجدنا شيئًا ربما يكون مُتعلقًا بالتفجيرات الأخيرة التي حدثت.. لذا اتصلت بكم حتى تكونوا أول مَنْ يَطَّلِع على تلك المعلومة.

هزَّ مجدي رأسه، فتابع الضابط الشاب حديثه:

- وجدنا على الكف الأيمن ليد القتيل وشم متاهة، على ما يبدو أنه رُسِم حديثًا..
- متاهة؟!

فأوضح الضابط:

- إنها قريبة من تلك التي يلعب بها الأطفال.. ولكنها مطابقة للرسومات التي وجدت في التفجيرات الأخيرة.

وتقدم الضابط نحو الجثة وأمسك بيد القتيل فاتحًا كفه نحوهم، فسأل مجدي:

- هل يوجد أي شيء تشير له المتاهة؟
- لا نعرف حتى الآن.. ولكن بها بعض الأرقام والرموز غير المفهومة.

اقترب مجدي هو الآخر ودقَّق في يد القتيل، وعلى الرغم من صِغر كف القتيل؛ فإن المتاهة كانت مرسومة بعناية شديدة، كأنها طبعت بواسطة فنان ماهر، دقَّق أكثر مُحاولًا تبيُّن مواضع البداية والنهاية، إلا أن الأمر كان صعبًا من كثرة الانعطافات الدائرية.. كانت مثل الممرات تنطلق متشعبة لتلتقي مع ممرات أخرى ثم تتجمع أطرافها داخل فراغ دائري، ثم تنطلق من الممرات مرة أخرى أو تتعانق مع ممرات أخرى في انعطافات جديدة.. ومع كل ممر كان يوجد أرقام وحروف غير واضح إلى ماذا تشير، فقال مُنبِّهًا:

- أعتقد أن الوصول إلى ما تشير إليه المتاهة، سيساعدنا كثيرًا في حل اللغز.
- نحن نعمل على ذلك بالفعل.
- أَرْسِلها إلى الخبراء لمقارنتها بالرسومات السابقة، لعل هذا يساعدهم في فك طلاسمها سريعًا.
- نعم، سأفعل ذلك على الفور.

ثم سأل مجدي:

- مَنْ كان موجودًا غير الزوجة؟
- لا أحد.. هي فقط.
- أين هي الآن؟

- في الأعلى، أتينا لها بالطبيب، وأعطاها بعض المُهدئات.
- هل يمكن استجوابها الآن؟
- أعتقد ذلك.

*****

- مثل هذه المواقف يصعب تحملها خاصة على النساء.

هكذا قال مجدي مُحاولًا إظهار حزنه، وهو يقترب منها، فقالت له:

- أنا بحاجة فقط للراحة.
- ستستريحين، ولكن يجب أن تخبريني كل شيء حتى نستطيع الوصول إلى القاتل في أسرع وقت.
- ليس لدي أي جديد.. لقد قلت لزميلك إنني خرجت لأتمشى في الحديقة ووجدت الجثة.
- أين كان زوجك قبل الحادث؟
- لا أعرف.
- كيف؟
- إنه مُعتاد على أن يغيب لعدة أيام لظروف عمله.. فهو يسافر كثيرًا من أجل معارض الكتاب داخل وخارج مصر.
- ألم تحدثينه في الهاتف؟
- العلاقة بيننا لم تكن تسمح بذلك؟

تَمْتَمَ مجدي مُنْدَهِشًا:

- ماذا؟!

فأوضحت:

- نحن في مشكلات منذ فترة نتصالح ونتعارك، وفي الأيام الأخيرة كنا مفترقين ولم يعد للمنزل منذ فترة.
- هل يُوجد أحد غيرك على مقربة من زوجك؟
- في الفترة الأخيرة، لم يكن مهووسًا بأحد أكثر من الكاتب الشاب الذي سطع نجمه مؤخرًا.. آدم وحيد.

هزَّ مجدي رأسه ثم سأل:

- هل تعتقدين أن الأمر مُتعلَق بأحداث روايته الأخيرة (مصيدة الكتاب الأزرق)، والتي نشرها زوجك؟
- لا أعرف.. لكنها رواية مُملة وركيكة على كل حال، وهذا ما ينجح هذه الأيام.
- لكن النقاد قابلوها بحفاوة بالغة!
- كل النقاد حمير.. بهدية بسيطة سيُكتب عنك ما لم يُكتب عن شكسبير.. الأمر بسيط.
- وهل زوجك مُعتاد على نشر الأدب الركيك؟
- إنها تجارة رائجة هذه الأيام.. والجميع يحب المال.
- وقبل ذلك ماذا كان ينشر؟
- أدب المُعقَّدين.. الأدباء الذين يظنون أنهم أنبياء الله في الأرض وأن وحي الكتابة لم ينزل سوى عليهم.. ولهذا لا يقرأون سوى إنتاجهم وإنتاج أمثالهم كأن باقي الكتب لا تستحق منهم نظرة واحدة.
- وماذا استفاد من ذلك؟
- ملاليم أحيانًا، وبضعة أشعار كاذبة تنهار أمام الجوائز المُزيَّفة التي كانوا يشترونها ويتبادلونها مع بعضهم.
- وهل الجوائز تُباع؟
- طالما تملك العلاقات الجيدة ستفوز بأي جائزة تريدها.

وهمست له:

- الأمر يتوقف على حدسك.. وخاصة الفتيات.

أطرق برأسه مُستفهمًا فأوضحت له:

- لأنهن يكتبن بصدورهن.
- يبدو أن الوسط الثقافي ليس كما يبدو للجميع.
- مثله مثل أي وسط.. لا توجد فروقات كثيرة.

صمت مجدي مُفكِّرًا في حديثها، ثم سألها:

- هل زوجك كان على علاقة بكُتَّاب ينتمون إلى الإسلام السياسي؟
- لا أعتقد.. ولكنه كان لا يمانع نشر الأدب المُحجب.
- وهل الأدب يرتدي الحجاب؟
- على مر العصور والأدب يرتدي أي شيء يخطر على بالك.. كلٌّ على حسب التوجهات السياسية والدينية.
- وهل نشر هذا النوع من الكتب؟
- نعم نشر الكثير وكسب الكثير أيضًا.. ومنهم مَنْ أصبحوا مشاهير الآن.. لكنه ظلَّ نكرة.

- إذا زوجك لم يكن له مبدأ؟
- وهل يُوجد مُثقَّف له مبدأ؟
- متى تعرفتِ عليه؟
- في الجامعة.. كان يسرق أشعارًا أجنبية ويترجمها وينشرها باسمه.. كنت صغيرة وكنت أحب الشعر.
- بمناسبة فترة الجامعة، هل سبق له وانضم إلى أي تنظيم سياسي أو كانت له أي ميول؟
- لا بل كان عصفورة يوشي بأصحابه.. أتتذكر الحادثة الشهيرة التي أطلق عليها الإعلام انتفاضة الخبز؟

ولم تترك له المجال للإجابة، وتابعت:

- إنه أَوْشَى بأعز صديق له كان يأكل وينام معه في غرفة واحدة.. فلك أن تتخيل مبادئ هذا الرجل.
- ومَنْ كان صديقه هذا؟

فأغمضت عينيها وقطبت حاجبيها محاولة أن تتذكر، ثم فتحتها قائلة:

- عبد ربه.. عبد ربه الشمالي.

مصيدة الكتاب الأزرق

الفصل 2

انتفاضة الخبز 1977

غادر عبد ربه الشمالي قريته الصغيرة في محافظة الغربية إلى القاهرة؛ ليحقق حلم والده ويلتحق بكلية الطب، ولكنه اصطدم بعالم جديد بالغ الاتساع والقسوة.. عالم به الكثير من الأشرار والمنافقين والجبارين والمظلومين.. عالم لا يعرف المساوة ولا العدالة.. عندما كان في قريته الصغيرة لم يكن يتصور أن هناك عالمًا أكبر وأسوأ منها.. ولكن مرَّ اليوم الأول له ثم الثاني ثم أسبوع ثم شهر وبدأ يتأقلم مع الحياة الجديدة في المدينة، واعتاد على هذه المشاهد سواء في الجامعة أو في الحارة الشعبية التي يسكن في غرفة على سطوح أحد بيوتها مع صديقه شريف رشدي الذي

تعرَّف عليه للتَّو حيث هبط عليه مثل الملاك، وأنقذه من مُعضلة أن يدفع الإيجار كاملًا بمفرده، بعدما تركه زميله حامد ليسكن في مكان قريب من الجامعة.

صحيح أنها غرفة واحدة وبها سريران ولكن إيجارها مرتفع على طالب فقير مثله، فكان ظهور شريف بمثابة الحل السحري ليزيح الهَمَّ عن وجهه.

شريف طالب في السنة الثالثة لكلية الحقوق، وعلى الرغم من أنه ليس طالبًا مُجتهدًا؛ فإنه ينجح في تخطِّي الامتحانات بشكل سلس مقارنة مع نمط حياته المُعتمد على الخروج والسهر كل ليلة ليعود مسطولًا وينام، وعندما يستيقظ يكون عبد ربه قد غادر إلى الكلية، وعندما يعود عبد ربه يكون شريف قد خرج وهكذا نادرًا ما يتقابلان.. ورغم كل تحفظات عبد ربه؛ فإنه طالما يدفع الإيجار ولا يضره في شيء، فلا مشكلة.

*****

عبد ربه مُسَالم.. مُسَالم إلى أبعد حَدٍّ مُمكن أن تتخيله.. فلاح على فطرته.. يتجنَّب المشكلات، ولا يعترض أبدًا على أي شيءٍ.. أحبَّ بنت الجيران، وليته ما وقع في الغرام.. إنها فتاة مثل اللاتي يظهرن في الأفلام الأبيض والأسود، حيث كل الحارة واقعة في غرامها.. هي غير مُتعلمة، ولكن كل جزءٍ من جسدها منهجٌ في حَدِّ ذاته يدرسه رجال الحارة يوميًّا بكل هِمَّة وتركيز.

- إنت اسمك إيه؟

انفجع واهتزَّ وارتبك، لم يتخيل أن يأتي يوم وتحدثه كوثر (جميلة الحتة).

- اسمي.. اسمي عبد ربه.
- هو لسه في حد بيسمي الأسماء دي؟
- هو قديم بس على اسم جدي الله يرحمه.
- ظلموك بالاسم ده يا جميل.

احمَّرت وجنتاه وشعر بالخجل.. فقال مُحاولًا أن يداري ذلك:

- مش مهم الاسم.. المهم الإنسان اللي شايل الاسم.

ضربته على كتفه وهي تقول:

- يسلم فُمك.. تعجبني.

وابتسمت له بدلال، وتركته ورحلت.. وطوال مشواره إلى الكلية كان عقله يفكر في كل كلمة قالتها له، خاصة (تعجبني) جعلت قلبه ينبض فرحًا، وراح يسأل نفسه: هل تقصدها فعلًا أم أنها مجاملة وعطف منها عليَّ؟ يا سلام لو تكون من نصيبي؟ والله بعدها الواحد لا يتمنى من الدنيا شيئًا آخر.

جلس زميله فؤاد بجواره فانتبه له، ورحب به.. كانا يجلسان على إحدى الدكك الموجودة داخل الحرم الجامعي، وسأله:

- قرأت الكتاب؟
- قربت أخلصه.. بس في حاجات كتير أوي مش فاهمها.
- واحدة واحدة وهتفهم كل حاجة.. وكمان أنا معاك في أي حاجة مش واضحة. هوضحهالك.

هزَّ عبد ربه رأسه مُمتنًا، وتابع فؤاد حديثه:

- المهم في اجتماع انهاردة مع بعض الزملاء.. هنتكلم في حاجات كتير يمكن تكون شاغلة دماغك.
- أيوا بس أنا بنام بدري.
- مش هنتأخر.. قبل العشا هنكون مخلصين، وكمان أنا هوصلك بعربيتي لحد البيت.

كان عبد ربه سعيدًا بصداقته مع فؤاد ابن الذوات، وسعيد أكثر بالمجهود الذي يبذله حتى يغيره للأفضل.. إنه يريد أن يتحرك ولا يبقى ساكنًا.. يريد أن يتعرف على ناس جديدة، ويُكوِّن صداقات متينة، ويكتشف الحياة.. هذا هو الهدف الحقيقي الذي خرج من أجله من قريته الصغيرة من أجل أن يكتشف هذا العالم الواسع ويتحد معه ويصبح جزءًا لا يتجزأ منه..

في الموعد المحدد جلس مع مجموعة من الشباب في نفس عمره أو أكبر قليلًا.. يشربون القهوة، ويتبادل معهم نظرات الترحيب، ثم قال فؤاد:

- معانا عبد ربه.. زميل جديد.. آنست منه رغبة حقيقية في الاطِّلاع والتعلم ومعرفة الحقيقة.. وهو بيننا حتى يسمع ثم يدرك ثم يقرر أي طريق سيسلك.

وقال مَنْ يجلس على رأس المائدة:

- الحياة عاجلًا أم آجلًا ستنتهي.. وطالما ستنتهي فلتكن مغامرتنا في هذه الحياة لها معنى، ونترك بها بصمة لتتذكرنا الأجيال القادمة.

كان اسمه مسعد، وكان يحب التحدث بالفصحى دائمًا حتى في حديثه العادي مع الناس ويُجبر المُقرَّبين منه على التحدث بها، وبما أنه كبير هذا المجلس فكانت الفصحى هي المسموح بها في هذا المكان.

وتكررت هذه الجلسة لعدة جلسات أخرى إلى أن أصبح عبد ربه واحدًا منهم ويتحدث بالفصحى، وتُوزَّع عليه المهام مثلهم.. كانوا شباب طامحين وهو أيضا يريد أن يكون له نصيب من هذا الطموح.

*****

في مساء أحد الأيام انعقد اجتماع مهم.. كانوا خمسة كالعادة ومسعد على رأس المائدة ينقل عينيه بينهم في صمت طويل قطعه قائلًا:

- المرحلة القادمة ربما تكون مصيرية في حياة هذا البلد.. سنبدأ من الليلة توزيع المنشورات.. كل فرد منكم سيُكَلَّف بأحياء معينة ويجب أن يتم كل شيء بسرية تامة.. لا أريد أن يسقط منا أحد.

ولكن فؤاد سقط وقُبِض عليه.. وفي هذه الظروف لم يسكت مسعد، وبحكم أنه من أسرة غنية لها علاقات ومعارف على مستوى عالٍ لم تمر سوى عدة ساعات قليلة وكان فؤاد في الخارج.. في تلك اللحظة شعر عبد ربه بأنه يسير في الاتجاه الصحيح وأن ما يقرؤه في الكتب سيتحقق طالما ظل معهم.. إنهم الحصان الرابح.

وبدأت أحلامه تأخذ منحى مختلفًا، حيث كان على يقين أنها مسألة وقت وسيرى الناس سواسية لهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات.. لهم حياة كريمة ومستوى تعليمي جيد يساعدهم على التدرج في حياتهم دون واسطة أو محسوبية.. الأحلام كانت كبيرة جدًا ولم يكن يعلم أن لها ثمنًا كبيرًا أيضًا.

*****

عاد شريف في وقت متأخر.. فتح باب الغرفة بهدوء ولكنه وجد النور مُضاء وعبد ربه جالسًا يذاكر على الطاولة على غير عادته في هذا التوقيت، فرحَّب به ثم قال له عبد ربه مأنبًا:

- الامتحانات قربت وانت لسه ممسكتش كتاب.

أشاح له بيده بأن يبتعد عنه بهذا الحديث، وهو يقول له:

- أنا بعرف أصرَّف أموري.. متشغلش بالك.
- أنا بس بنصحك.
- شكرًا خلي النصيحة لنفسك..

وصمتا قليلًا ثم قال حتى يلطف الجو بينهما:

- المهم أنت أخبارك إيه؟
- مش فؤاد اتقبض عليه انهاردة وهو بيوزَّع منشورات، ومسعد طلعه في ظرف ساعات.
- أنت لك علاقة بالشلة دي؟
- أنا واحد منهم.

قالها بمنتهى الفخر.. فرَدَّ عليه شريف مُحذِّرًا بصرامة:

- نصيحة لوجه لله ابعد عنهم.. دول مشيهم مش مظبوط، والسياسة مخربة عقولهم.. اوعى تبقى زيهم.

وتركه وارتمى على السرير، وفي خلال دقائق كان صوت شخيره يتعالى في المكان..

فكر عبد ربه في كلامه وهو يحدِّق فيه لبضع الوقت، ولكنه رمى كل شيء خلف ظهره وطرد الوساوس من عقله وواصل المذاكرة.

*****

في اليوم المشهود.. أخبر مسعد فرقته السرية المكونة من خمسة أن جميع الطلبة سيخرجون في مظاهرات حاشدة؛ احتجاجًا على رفع الدعم وزيادة الأسعار.. وأن دورهم هو قيادة هذه المظاهرات بالكيفية التي سيقول لهم عليها.

فاستعد الجميع وبعد الظهر بدأت المظاهرات هادئة تغلفها الهتافات الحماسية، ثم تدريجيًا ظهرت قوات الأمن التي لم تتأخر في الاشتباك معهم من أجل فَضِّ التجمعات بالقوة.

حاولت الفرقة السرية أن تهرب من بطش قوات الأمن في عربة فؤاد، فلتوا بأعجوبة من أيدي العساكر واختبأ كلٌّ منهم في مكان.. بعد عدة أيام عاد عبد ربه إلى غرفته فكان بها شريف جالسًا يدخن سيجاره، فسأله:

- كنت فين؟
- كنت مستخبي على ما الأمور تهدى.
- مش نصحتك تبعد عن الشلة دي؟
- دول زي إخواتي، وربنا هيكرمنا وهنحقق حلمنا.

هز شريف رأسه وتركه ورحل، وبعد ساعة أتت الشرطة وقبضت عليه، لم يكن خائفًا بل خرج معهم في هدوء وثقة.. كان واثقًا من أنهم لن يتخلوا عنه مثلما حدث مع فؤاد، وهم جميعًا في الخارج وهو وحده عالقٌ في المصيدة، لذا التزم الصمت..
ومرَّت الأيام وعبد ربه ينال من العذاب ما لَذَّ وطاب ولا أحد يسأل عنه أو يحاول أن يطمئن عليه..

في تلك اللحظة عندما بكى وهو جالس في ظلمة السجن هناك شيء تغير داخله..
تغيير لم يحاول مقاومته أو تجنُّبه، وظهر بداخله حقد لن يزول إلا بالانتقام.

- 3 -

جاء في تقرير الطب الشرعي بأنه تعرَّض للتعذيب، ولكن سبب الوفاة هو الخَنْق حتى الموت.. وفي الجانب الآخر، لم يتوصل رجال البحث الجنائي سوى إلى بصمة واحدة، وبالكشف عنها وُجد أنها لشخص طاعن في السن لا يقدر على الحركة، بالإضافة إلى أنه حسن السير والسلوك، ولا يوجد أي رابط بينه وبين الناشر لا من قريب أو بعيد، ولكن تم وضعه كمتهم أول في القضية نظريًّا، على أرض الواقع مستحيل أن يكون هو، مما استدعى مواصلة البحث والتنقيب من قِبَل رجال الشرطة عن أدلة جديدة.

وعلى الرغم من أن الشرطة حاولت توسيع دائرة بحثهم، وسألوا كُلَّ مَنْ كان قريبًا من القتيل، حتى مَنْ كانت علاقته سطحية به؛ فإنه لا جديد.. القضية تدخل نفق التعقيد وتتجه نحو التسجيل ضد هذا الرجل العجوز والذي في الغالب سيكون مظلومًا، ولهذا أعرب مجدي عن قلقه هذا لوائل، قائلًا:

- يجب علينا أن نبحث عن طريقة أخرى للتفكير في تلك القضية.. من غير المعقول أن يكون هذا العاجز مَنْ فعلها.. لا بد من وجود دليل آخر غير هذه المتاهة المعقدة التي نعجز عن حلها، وإلا فلن نصل إلى الفاعل الحقيقي.
- نحن نحاول.. نبذل كل جهودنا من أجل ذلك.. كلَّفنا خبير شفرات بالعمل على رسم المتاهة والأرقام التي عليها.. كما أننا راجعنا كاميرات المراقبة القريبة من المكان.. ووسَّعنا دائرة البحث واستجواب الشهود.
- والنتيجة؟!

فقال وائل بانهزامية:

- إلى الآن صفر.

ثم تساءل وائل في حيرة:

- هل تعتقد أن جريمة القتل كانت بدافع الانتقام؟
- التحريات تقول إنه ليس له أي أعداء..
- ولكن رواية مصيدة الكتاب الأزرق التي نشرها مؤخرًا وكنا في صدد البحث عن مصادر تلك المعلومات التي ذكرت بها.. خاصة حادثة تفجير مترو الأنفاق حيث كانت مُطَابِقة تمامًا لما ذُكِر في الرواية.

فقال مجدي في استياء:

- لكنها تتحدث عن مكان غير معلوم بالنسبة لنا يُدْعَى شجرة الفيل، ولا أحد يعرف صحة تلك المعلومات التي قيلت، كما أنني عندما ذهبت إلى أسوان لم يكن أحد من السكان الأصليين يعرف هذا المكان.. أعتقد أن الأمر محض صدفة..
- هل تتذكر رواية Amok التي صدرت في 2007 والتي قادت الشرطة لحل لغز جريمة قتل حدثت في سنة 2000؟
- الأمر هنا مختلف تمامًا.. المجرمون لدينا أقل شرًّا وأكثر غباء.
- علينا أن نضع كل الاحتمالات أمامنا، وأن نفرض كل النظريات الممكنة.. التفكير في اتجاه واحد خطأ كبير لا يجب أن نقع به.

وفكر مجدي قليلًا ثم سأل:

- هل تكون الغيرة؟ نجاحه الأخير المُدَوِّي ربما أثار غيرة منافسيه من الناشرين الآخرين، أو ربما كان كاتب رفض نشر كتابه.
- ربما، ولكن لم نسمع من قبل عن حدوث مثل تلك الحوادث في الوسط الأدبي.
- هذا صحيح، ولكن لا يجب أن نستبعد ذلك فكل شيء قابل للتغيير ولا توجد مُسلَّمات في تلك الحياة.

تقرير سري 2

السبت، الساعة 45:13م

وقع في يوم الجمعة 15 مارس، إطلاق نيران داخل مسجد النور في مدينة القاهر ونتج عنهُ العديد من الإصابات والوفيات، بدأ إطلاق النار الساعة :45 13 ظهر 15 مارس، وقُتل 51 شخصًا، وأُصيب 50 آخرون، وعثرت الشرطة على سيارتين ملغومتين وأَبْطَلت بهما مفعول المتفجرات.

نفَّذ المسلحون الهجوم على مسجد النور، وتم بث هجومه بثًّا مباشرًا على موقع فيسبوك، وقبل إطلاق النار مباشرة قال: تذكروا أن تشتركوا في قناتي حتى تشاهدوا القصف المباشر.

وقد ذكرت تقارير التحقيقات الأولية أنه كان يوجد داخل المسجد حوالي 300 شخص يؤدون صلاة الجمعة وقت إطلاق النار.. وذكر شاهد عيان يقيم بالقرب من المسجد أنه شاهد المجرم الذي أطلق النار يفرُّ من المسجد وقد ألقى سلاحه الناري في مدخل المسجد في أثناء هروبه.

ملحوظة مهمة:

تم إيجاد رَسْمَة متاهة على أحد جدران المسجد، مثل التي عثرنا عليها في العمليات السابقة، ومن هنا نستطيع أن نخمن إن رسمة المتاهة التي نجدها مع المجني عليهم المقصود بها ربما هي رواية مصيدة الكتاب الأزرق التي تحتوي على رسمة مطابقة لما نجده، وليس الأمر مُتعلقًا بمكان مُعيَّن كما كنا نعتقد سابقًا.. ولكن إلى الآن لم نعرف إلى ماذا تشير الأرقام والحروف الغريبة المكتوبة على مداخل ومخارج هذه المتاهة.. ولا يزال خبراء فك الشفرات يعملون عليها.(3)

(3) تقرير سري كتبه الضابط مجدي المهندس.

- 4 -

هل تفرح أم تحزن؟ تتكلم أم تصمت؟ لا فرق.. دومًا ما كانت ترغب في تعلُّم كيفية التوقف عن حبه، ولكنها عجزت عن كبح مشاعرها تجاهه وفي النهاية وقعت في الفخ وتزوجته، والآن هي في انتظار مولودها.. هل هذه هي اللحظة التي كانت تنتظرها؟ هي لا تعرف.. وليس لديها يقين، والأمر مُلْتَبَس وضبابي للغاية.. مشاعرها مضطربة لا تعرف الهدوء، جلبت معها الحيرة والخوف، لا تجد مَنْ يُبدد ذلك داخلها، بل إنها لا تكتسب سوى المزيد من القلق والحيرة، وسألت نفسها: «هل هذا أقصى ما أستطيع فعله؟ لماذا لا أحاول أن أنتشل نفسي بجد من هذا المستنقع؟ أريد أن أكون أمًّا قوية لابني، أحميه وأوفِّر له الأمان والطمأنينة».

تذهب رشا كل صباح إلى الجريدة كفعل اعتيادي.. جلست خلف مكتبها وفتحت اللاب توب، تطالع الجديد على حساب فيسبوك، ثم تشرع في تجهيز مقالها الجديد.. اختارت له (الفرار) عنوانًا.. وقبل أن تشرع في الضرب على مفاتيح اللاب توب قاطعها طَرْقٌ على الباب، ثم فتح بعدها بلحظات ودخل الساعي وأخبرها وهو يضع فنجان القهوة أمامها:

- هناك رجل طيب يريد مقابلة حضرتك يا أستاذة.
- اطلُب منه أن يأتي في وقت آخر.. أنا مشغولة جدًّا.
- لقد جاء أمس وأول أمس.
- ماذا يريد؟!
- لا أعرف.. لكنه أخبرني أن الأمر مهم وضروري.. مسألة حياة أو موت.

تنهَّدت وأغلقت اللاب توب ونظرت نحوه في استسلام:

- دعه يدخل.

كان رجلًا خمسينيًّا، قصيرًا وسمينًا.. من الوهلة الأولى لمحت عليه التوتر الشديد وهو يحمل الجريدة بين يديه المُرتعشة، والحروف الخارجة من فمه تتداخل فيبدو مثل المُصاب بمشاكل في النطق.. بعد عدة جمل افتتاحية غير مترابطة قال لها بنبرة إلى حَدٍّ ما واضحة:

- أنا لديَّ تفاصيل مهمة عن حادثة القتل الأخيرة.
- أي حادثة قتل؟
- حادثة مقتل صاحب دار النشر.

أثار انتباهها وتغيَّرت ملامح وجهها وهي تطلب منه أن يجلس.

- ماذا تريد أن تشرب؟
- لا شيء.

وجلس وهو يبتلع ريقه بصعوبة واضحة، وعندما هدأ قليلًا قال بتردد:

- لقد شاهدت القاتل.

- 5 -

لم يمضِ وقتٌ طويلٌ حتى تم إرسال قوة من الشرطة، وقاموا بنقل الرجل إلى مكتب الضابط مجدي؛ حتى يتم استجوابه بشكل رسمي.. كانت رشا قد سجَّلت معه حديثًا صحفيًّا؛ حتى يكون انفرادًا لجريدتها، وبعدها وجدت أنه من اللُّطف أن تتصل بمجدي وتُسلِّم له هذا العجوز.

جلس الرجل في قلق لكنه كان متماسكًا أو يحاول التظاهر بالتماسك، لكنه في حقيقة الأمر كان على وشك أن ينهار من توتره وقلقه الواضح للجميع.. يبدو أنه لم يضع في حسبانه أنه سيُقْبَض عليه، ويتم التحقيق معه بهذه السرعة.

- لماذا ذهبت إلى الصحافة أولًا ولم تأت إلينا؟

سأل الضابط مجدي، وهو يجلس خلف مكتبه ويُشْعِل سيجارة من علبته الميريت.

هزَّ الرجل رأسه وقال ببساطة:

- كنت أريد أن أرى صورتي في الصحف والجميع يتحدث عني.. لم أحظَ في يوم من الأيام بأي شهرة.

هزَّ مجدي رأسه مُتفهمًا دوافع الرجل؛ لذا أغلق هذا الباب، وقال له بهدوء:

- المهم أريد أن أسمع منك كل شيء بالتفصيل المُمِلِّ.
- حاضر.

وقال مجدي مُطمئنًا:

- والأهم لا أريدك أن تقلق، أنت هنا لبعض الوقت وسترحل.

هزَّ رأسه ثانية، وصمت لبُرهة، ثم قال مُسترسلًا:

- أنا فوزي السيد.. صديق الناشر شريف رشدي الذي قُتِل منذ يومين، وفي الليلة التي قُتِل بها كان يجلس عندي في المنزل، وقال لي إن لديه شكوكًا حول رواية مصيدة الكتاب الأزرق التي قام بنشرها منذ عدة أشهر بأنها عبارة عن أحداث حقيقية وليست محض صدفة.. بل شيء تمت كتابته عن قصد.. وكأنها مُخطط يتم تنفيذه عن طريق شخص ما من أجل تدمير البلد.. المهم وهو جالس عندي اتصل به شخص ما فقال له

إنه عند صديق وأعطاه عنواني.. وبعد نصف ساعة رَنَّ عليه مرة أخرى، وقال له إنه ينتظره في الأسفل.. فاستأذن ورحل، ولكنني قلت له إنني سأذهب إلى الصيدلية حتى أشتري برشامًا للصداع، ومع خروجنا من باب العمارة وجدته واقفًا معه فتركتهم ورحلت، بينما رحل هو معه.

- هل كان هناك أي شيء مُريب في هذا الرجل؟
- نعم كان يبدو عليه الارتباك والخوف.
- هل تعرف هذا الرجل؟

هز رأسه بالنفي:

- لا، للأسف.
- هل تتذكر ملامحه؟
- أتذكرها جيدًا.

أمر مجدي بأن يجلس فوزي مع أحد الرسَّامين المحترفين، ويذكر له كل التفاصيل التي يتذكرها عن هذا الرجل الذي شاهده مع شريف ليلة مقتله.. ربما تكون بداية حل هذه القضية.

بعد مرور نحو ساعتين قدم الرسام المختص صورة مبدئية للمشتبه به.. فوضعها مجدي أمام فوزي وسأله:

- هل أنت متأكد من أن هذا الرجل هو مَنْ كان معه؟
- نعم أنا أتذكره جيدًا، كما أن وجهه مألوف بالنسبة لي.

وقدم الصورة إلى وائل الذي قال مُندهشًا:

- آدم وحيد!

فقال الرجل مستنكرًا:

- لا أعرف اسمه..

ثم سأل وائل:

- أليس غريبًا أن يكون كاتب مشهور إرهابيًا؟

قال مجدي مُسترسلًا:

- ما مرت به مصر من أحداث في الفترة الأخيرة جعل كل شيء قابلًا للتصديق..
- ولكن هل هو بهذا الغباء حتى يترك لنا المتاهة المرسومة داخل روايته مع الضحايا الذين تخلص منهم، وكذلك في مواقع التفجيرات؟
- بل إنه تصرف ذكي يَنُمُّ عن عقل إجرامي متطور لا يجب الاستهانة به.

وصدر أمر على الفور بالقبض على آدم وحيد.. خرجت العديد من القوات من أجل القبض عليه، تم البحث عنه في جميع الأماكن التي من المحتمل أن يتواجد بها، ولكنه لم يكن له أي أثر في القاهرة كلها، ولم يكن أحد يعرف أين ذهب.

شعر أنه خفيف وإلى حدٍ ما متفائل، وكلما تدفقت الموسيقى المُنبعثة من جهاز الـ(آي بود) في أذنيه تحسَّن مزاجه، فقد كان قرارًا صائبًا أن يترك القاهرة ويأتي إلى الإسكندرية في إجازة.. الجو المُنعش ومنظر البحر خلَّصه سريعًا من قفلة الكاتب التي عانى منها في الأشهر الأخيرة.. تحرر وبدأ في كتابة أفكار عامة لروايته الجديدة، كان مُتفائلًا بأن فكرتها ستكون عظيمة وستحقق نجاحًا كبيرًا على المستوى الجماهيري والنقدي، مثلما حققت روايته السابقة التي صدرت باسم (مصيدة الكتاب الأزرق).

يعدل وضع النظارة على أنفه، ويقطع المسافة نحو الترام مُتأمِّلًا المارة، يفكر في إمكانية البقاء هنا في عروس البحر إلى الأبد، ولكنه قرار يصعب عليه اتخاذه لأسباب عديدة؛ من أهمها أن القاهرة هي مركز الكون في البلاد، وبها كل الحياة.

واليوم وعلى غير العادة تأخَّر الترام، لم يتذمر بل جلس بهدوء يفكر، ويتأمل المنتظرين، كان يفكر، ويشرد بخياله في أنه ماذا لو أغلقت تلك المحطة وهاجمها وحوش فضاء وأحكموا السيطرة على المكان، كيف سينجو الناس؟ بل حاول تبسيط الفكرة أكثر في عقله وجعلها أقرب إلى الواقع، ماذا لو اقتحم إرهابيون المحطة وهددوا بنسفها إذا لم تستجب الحكومة لمطالبهم؟ وفي محاولة لتعقيد الحَبْكَة يطلب الإرهابيون الإفراج عن كل زملائهم المحكوم عليهم بالإعدام، والصعوبة تكمن في أن إعدامهم سيُنَفَّذ خلال ساعة واحدة، كيف سيكون التصرف؟

قاطعه صوت دخول عربات الترام بالمحطة، انفتح باب العربة ومَدَّ قدمه إلى الداخل وصعد، اختار مقعدًا بجوار النافذة، وبمجرد أن جلس تحرك الترام مُغادرًا المكان.. بعد قليل أتى رجل عجوز وجلس بجواره، طرف قميصه الفارغ يخبره بأن هذه الذراع تم بترها في حادث ولكنه أراد أن يفتح المجال لخياله وتخيُّله بأنه فقد ذراعه في الحرب، بعدما قدَّم شجاعة وفدائية في حماية الأرض من العدو.

مد الرجل له بجريدة محلية غير معروفة، وطلب منه في أدب:

- بعد إذنك يا أستاذ ممكن تساعدني في قلب صفحة الجريدة.

رحب بما طُلِب مسرورًا، وفعل ما أُمِر به، ثم وضع الجريدة في يده وعلى شفتيه ابتسامه مُرَحِّبة به.

كان آدم سعيدًا، وتمنَّى في تلك اللحظة ألا يُعكِّر سعادته شيءٌ بعد الآن، بعد قليل طلب منه العجوز أن يأتي له بالصفحة التالية ففعل ذلك ووضعها في يده مرة أخرى،

لكنه أربكه وجهه الذي يحدِّق به في الجريدة، وصورته المكتوب تحتها (مطلوب للعدالة).. لم يعرف كيف يتصرف.. لكنه انتهز توقُّف الترام واستأذن من العجوز في الرحيل.

نزل مُهرولًا، وبخطواته الواسعة هرب من حيز المحطة.. قبل أن يكمل تأمُّل الشارع وهو يلهث قليلًا.. يرسم الصورة أمامه ثم يحلل كل شيء ويفككه مُحاولًا الوصول إلى تصور منطقي لما شاهده، صورته الموجودة بالجريدة، والمكتوب أسفلها (مطلوب القبض عليه)، لعله تشابه أشكال، وكما يقول المثل «يخلق من الشبه أربعين»، ولكنه يرتدي نفس ملابسه ويصفف شعره بالطريقة التي يفضلها، وسأل نفسه: هل التشابه من الممكن أن يتجاوز الشكل ويصل إلى الملابس والإكسسوارات؟! وخزته الشمس في وجهه فتحرك مُتَحَاشيًا أشعتها.. يمشى بسرعة محاولًا الوصول إلى الشقة التي يسكنها في أقل وقت ممكن قبل أن يتعرَّف عليه أحد ويَشِي به.

*****

ما إن دخل شقته تذكَّر هاتفه المغلق منذ أسبوعين، وبمجرد أن التقط شبكة الإرسال لم تأتِ له أي إشعارات مهمة سوى خبر مقتل شريف، فانزعج.. خلع نظارته وجلس على الأريكة يفكر في الخبر الذي شاهده في الجريدة وهو يلف سيجارة محشوة بالحشيش.. لم يكن آدم مُتعاليًا، يحب البساطة والصراحة، ويأمل أن يعيش في هدوء.. لم يكن له أعداء، وليس من النوعية التي من الممكن في يوم ما أن تكتسب أعداء، ولكن مقتل شريف وصورته التي شاهدها اليوم، وذكرياته عن رحلة أسوان تربك كل شيء وتجعله يفكر بشكل جدي هل هو مريض نفسي؟ خاصة وأن تاريخه المرضي به الكثير من الجلسات النفسية مع أكثر من طبيب نفسي، ولكن هذا كان في فترة ما في حياته، وهي الآن مضت منذ سنوات.. حين أطفأ السيجارة المحشوة، كان قد أخذ قراره أن يلملم كل ملابسه ويعود إلى القاهرة.

عندما اقترب من سيارته، ضغط على جهاز التحكم عن بُعد فسمع صوت فتح أقفال الأبواب مع وميض مزدوج لفوانيس السيارة.. دخل السيارة وأغلق الباب، ثم أقفل كل الأبواب أوتوماتيكيًّا، وضع المفتاح في موضعه، لفت انتباهه خيال ما في المرآة، أعقبها في لمح البصر تحطيم زجاج النافذة المجاور له، انهمر الزجاج فوقه قطعًا صغيرة على صدره وفخذيه، شهق مصدومًا ثم مُدَّت يدٌ وأمسكت بشعره وجذبت رأسه خارج النافذة، ثم ضربته ضربة أخرى أصابت أسنانه، فأطلق صرخة قوية مُتألمًا، ثم ضربة أخرى في وجهه فصلته عن الدنيا وشعر بأنه دخل كابوسًا لن ينتهي.

أثارت الجَلَبة التي حدثت انتباه السايس الذي أتى مُسرعا وهو يصرخ قائلًا:

- حرامي.. امسك حرامي.

- 7 -

يجب أن تكون خصمًا يُمتَعض منه حينما يواجه.

ما إن جلست تجاهه حتى شرع في الخربشة على اللوحة البيضاء بألوان الزيت، ولم يتوقف إلا عندما ظهرت ملامحها بشكل واضح أمامه كصورة طبق الأصل تنبض بالحياة وقال لها في انبهار:

- لم أرسم منذ فترة كبيرة بهذا المزاج.

سألت في خبث:

- هل ألهمتك؟
- ربما بسبب وجهك غير المألوف بالنسبة لي.
- أو ربما لأنك وقعت في حبي.

ضحك بهستيرية، ولم يتوقف إلا عندما وجد الضيق قد ارتسم على ملامحها فقال:

- أنا دون قلب فكيف سأحب؟

وحكى لها عن قلبه الموجود في اليمين وليس اليسار مثل بقية الخلق.. كان دائمًا ما يحب أن يختلق الحكايات، ولكن تلك الحكاية هو لم يعرف هل كانت حقًّا من اختلاقه أم هي الحقيقة؟ فباغتته سائلة:

- وكيف دخلت كلية الشرطة، وأنت على هذه الحال؟!
- الواسطة تفتح أي باب، حتى لو كنت مريضًا بأمراض مزمنة.

استسلمت ولم تجادله.. بدأت في ارتداء ملابسها الداخلية، ولكن قبل أن تُكْمِل قالت له وهي تمسك نهديها وعلى وجهها علامات الإغراء:

- ألن ترسمهما؟!

فقال بلا مبالاة كالثلج:

- ليس اليوم.. لأن لديَّ موعدًا مهمًّا، ولا يجب أن أتأخر عليه مطلقًا.

- لن يستغرق الأمر أكثر من عشر دقائق.

فقال منزعجًا:

- أنتِ بمثل هذا الكلام تطعنينني في فحولتي وتنزلين من قدراتي التي يعرفها الجميع.

ثم غمز لها في مكر وهو يتابع قائلًا:

- أهم مبدأ في الحياة إتقان العمل، حتى لو كان عملًا بسيطًا كمضاجعتك.

رمقته باستنكار، وقالت وهي تكمل ملابسها في استسلام:

- لقد اقتنع عقلي بكلامك، ولكن ما بين فخذَي لم يقتنع بهذا الهُراء..

*****

لم يكن متأخرًا بل كان أمامه مُتَّسَع من الوقت جعله يذهب إلى موعده سيرًا على قدميه، فهو يحب ممارسة رياضة المشي، واعتاد في طريقه أن يفتح حديثًا مع نفسه داخل مُخيلته.

«إن الهيبة التي أمتلكها هي أقوى أسلحتي، والتي لا تزال فعَّالة حتى بعدما تقاعدت من وظيفتي في جهاز الشرطة.. حيث قالوا إن لي بعض الآراء غير مُرَحَّبٍ بها، وأفكاري منحرفة نحو الظلام، وبأنني أصلي بانتظام، ولسبب غير معروف بالنسبة لي قالوا إنني على علاقة بالتنظيم الجهادي، حقًّا لا أعرف كيف ذلك، وأنا لا أتذكر متى كانت آخر مرة ركعت فيها وسجدت لله، حتى صلاة الجمعة لا أصليها ودائمًا أفضل النوم عليها.. كنت أحاول أن أقنعهم بذلك ولكن الدلائل ضدي كانت أقوى، تم تحويلي إلى محاكمة عسكرية، وصدر حكم ضدي بتجريدي من رتبتي، كنت على درجة نقيب في المباحث، وانتهى بي الأمر بالجلوس في البيت، حدث كل ذلك في ربيع عام 2003 عندما غزت أمريكا العراق، كانت أيامًا عصيبة على الجميع»..

انتبه إلى توقف سيارة أمام المقهى الذي يقصده، تنزل منها حسناء بملابس قصيرة وجذابة جعلته يحدِّق في تفاصيل جسدها بتأنٍّ، حتى عندما دخلت دخل خلفها وهو يتابع اهتزازات أردافها وهي تعلو وتهبط بانتظام، إلى أن توقفت أمام رجل يبدو من هيئته الثراء وجالسته على طاولته، وبكل خيبة أمل تقدم وجلس هو أيضًا على طاولته.. لم ينتظر طويلًا حتى كان يجلس أمامه عثمان ويضع على الطاولة ملفًّا يحتوي على أوراق بسيطة جدًّا وقال مباشرة:

- جمال، استمِع لي جيدًا، هذه المرة نعود للعمل معك؛ لأن الذي تولى المهمة من قبل فشل بها.. وقد وقع عليك الاختيار بالإجماع، على الرغم من التحفظ على أسلوبك المتهور؛ فإننا نتوقع منك الالتزام بكل ما هو مكتوب بهذا الملف.

ومرره له وتابع:

- به كل التفاصيل.. إنها مهمة بسيطة بالمقارنة بالمهام التي قمت بها من قبل، ولكن يجب أن تكون حَذِرًا هذه المرة، لا نريد أي أخطاء..
- الحذر جزء لا يتجزأ من شخصيتي.. والمهام البسيطة هي التي تقلقني دائمًا.
- ولكنك أهلٌ لها.
- بالتأكيد.. ولكن الحذر واجب.

ثم دفع عثمان بالشنطة التي بجوار قدمه نحو جمال قائلًا:

- هذه دفعة أولى، وعندما تنتهي من المهمة سنرسل لك دفعة أخرى مماثلة.
- هل هناك تعليمات أخرى وأي شيء تريدني الالتزام به؟
- إلى الآن هذا كل شيء، ولكن كن مُستعدًّا لأي تعليمات جديدة.. الأمور تتطور دائمًا بسرعة في الفترة الأخيرة، ولا نريدك أن تخطئ مثل مَنْ سبقك.

- 8 -

إياك أن تنسى أنك نجوت من كلٍّ هذا بمفردك

تتذكر جيدًا كيف أصبحت فجأة وحدها، حينها كانت تريد أن تبكي.. أمها ماتت وهي في الثانية عشرة من عمرها، كانتا تسكنان بمفرديهما بعد وفاة الأب، ولم يكن لهما لا قريب ولا بعيد، وبعد فترة من ضيق الحال وجدت أمها تستضيف الرجال في منزلها وتقول لها:

- إنها حيلة رخيصة ومضمونة لكي نعيش.

في البداية كانت تصدقها إلى أن قدمتها وهي في التاسعة لأحدهم مقابل مبلغ جيد من المال، ومن بعدها تغيرت نظرتها لكل شيء، صحيح أنها لم تكره ما حدث لها، بل إنها هوت ذلك، وكانت مستمتعة جدًّا والرجال يعتلونها واحدًا تلو الآخر، كانت شَبِقَة تثير جنونهم، يمنحونها المتعة وتمنحهم نشوة لم يجربوها من قبل مع طفلة لم تبلغ المحيض بعد.

وحينما ماتت الأم، كانت قد أصبحت أكثر خبرة في معاشرة الرجال، وأكثر دهاء في أخذ المال من جيوبهم برِضاهم، وما إن وصلت لسن الثامنة عشرة تزوجت ولم تستطع تحمله، كان رجلًا عجوزًا لا يشبعها فهربت منه.. هربت إلى القاهرة وتركت الصعيد كله بلا رجعة..

في يومها الأول عرَّفها أحدهم على سيدة توظِّف النساء، ساعدتها في الحصول على وظيفة في بوفيه إحدى الشركات الناشئة في التجمع الخامس، وعلَّمتها كيف تتخلَّص من الشال والجلباب وتلبس ما يتناسب مع المدينة.. وفرت لها سكنًا في إحدى المدن الجديدة شبه الخالية من السكان؛ لذا كان الطريق شاقًّا عليها بعض الشيء في الذهاب والعودة، ولكنها على أي حال كانت سعيدة بحياتها الجديدة التي تستقل فيها بكل تفاصيل حياتها.

في بيئة العمل التي زُرِعت بها كانوا ينظرون نحوها بنظرات جنسية واضحة، أغلب الرجال كانوا يرغبون بها، كانت تلاحظ ذلك على وجوههم وانتفاخات بناطيلهم، ولكنها حقًّا لا تريد أن تعود إلى ما كانت عليه سابقًا، كما أنها على مستوى الغرام لا تريد أحدًا في حياتها على الأقل في هذه الفترة غير المستقرة بالنسبة لها..

كانت تحاول أن ترسم جدرانًا حول نفسها تنقذها من وحوش الحياة، ومع مرور الوقت أدركت أنها ساذجة والحياة لا تحب مثل تلك الجدران الهَشَّة.. في الواقع إنها وحيدة تبحث عن الأمان.. هربت من المجهول إلى أسوان في البداية.. والأمان بالنسبة لها أن تعيش حياة هادئة دون أي تقلبات.. ولذا أتت إلى القاهرة، وتحاول أن تستقر هنا إلى الأبد مُختبئةً وسط تلك الحشود دون أن يعرفها أحد.

*****

تعمل يوميًا لثماني ساعات..

مع حلول السابعة مساءً تعود إلى المنزل، تُغيِّر ملابسها، وتتناول الطعام الذي تشتريه وهي عائدة، ثم تجلس على السرير، تستمع إلى الموسيقى التي عرفتها لتوِّها، حيث لم تسمع موسيقى من قبل، بمجرد أن سمعتها انزلقت في عالمها الساحر، حيث كانت تجعلها تعيسة بشكل أفضل.

وهكذا تستمر حياتها إلى أن أتى ذلك اليوم كانت الحرارة عالية والرطوبة في أقصى مدى لها، خرجت إلى الشرفة التي تتمتع بجو منعش ومعتدل طوال الوقت.

لفت انتباهها إضاءة إحدى النوافذ المقابلة لها، وبدى لها بأنه شجار عنيف بين رجلين.. زاد اهتمامها بالأمر، وقررت أن تتابع ما يحدث، ولكن صوت الرصاص خرم أذنها وأصابها بالخوف فصرخت.. ومن خلال الزجاج كان القاتل الغامض ينظر لها بغضب فأدركت في تلك اللحظة بأن عليها أن تهرب فورًا..

قفزت دخل بنطال وقميص، وسحبت هاتفها وحافظة النقود من على طرف السرير ووضعتهما بجيبها وانطلقت مهرولة، لم يكن هناك أحد لتتصل به لينقذها أو حتى يخبرها ما الذي يجب عليها فعله، رمت تلك الأفكار خلف ظهرها ونزلت مهرولة نحو الشارع، وفي أول سيارة أجرة وقفت ركبت بها، ولم تهدأ حتى انطلقت مبتعدة عن المكان.

توقفت السيارة الأجرة في إشارة المرور، ولكنها لمحته قادمًا من بعيد بعدما ترك سيارته وسط الزحام، فتركت السيارة وهرولت مسرعة نحو إشارة هنا مترو الأنفاق.

قفزت السلالم في سرعة كالبرق، ووسط الازدحام الكثيف على الرصيف دخلت حتى تتوارى عن نظر القاتل، لم تمر سوى دقيقتين وأتى المترو، ركبت بسرعة وعلى أحد الأعمدة داخل العربة أسندت ظهرها، من بعيد وقبل أن تغلق الأبواب كان القاتل قادمًا نحوها مسرعًا، توقفت كل خلايا مخها ولم تعد تعرف ماذا تفعل في تلك اللحظة؟

- 9 -

فتح عينيه بصعوبة ليداعبه ضوء أصفر دافئ قادم من مصباح يتدلى من السقف، ولكن رؤيته المشوشة أجبرته أن يغمض عينيه مجددًا.. ولكن تلك النظرة الخاطفة جعلته يدرك بأنه في المستشفى، وفي أثناء هز ذراعه شعر بخراطيم المحاليل المعلقة به، وتذكر وقتما حاول أحدهم أن يتهجم عليه محاولًا سرقته هكذا كان يظن، اعتقد أنه لا يوجد دافع آخر غير السرقة ولكن عنفه غير المبرر كان يثير قلقه.. لو كان طلب النقود منه والهاتف كان سيعطيهما له دون تفكير.. لكنه غشيم حاول إيذاءه لدرجة التخلص منه.. مع الوقت حاول أن يتوقف عن التفكير في تلك الحادثة ولكن الذي لم يستطع أن يتوقف عنه صورته التي شاهدها في الجريدة ومكتوب تحتها (مطلوب للعدالة).. واستسلم لفكرة أنها مسألة وقت ويُقْبَض عليه.. فتح الباب مرة واحدة ودخلت سيدة ترتدي الأبيض على رأسها وتضع حجابًا أبيض أيضًا.. فتح عينيه مرة أخرى فارتبكت الممرضة بمجرد أن رأته مُستيقظًا، وقالت بنبرة مُرتبكة وهي تحاول الابتسام بدفء:

- صباح الخير كاتبنا العظيم.

تَمْتَم:

- صباح النور.

واقتربت منه أكثر، وقالت بودٍّ:

- حمدًا لله على السلامة.
- الله يسلمك..
- أتعرف أنا مُغرمة بروايتك الأخيرة.. أحبها جدًّا.. قرأتها أكثر من خمس مرات وفي كل مرة أحبها أكثر.

ابتسم لها بامتنان وقال:

- أشكرك وأتمنى أن أكون دائمًا عند حسن ظنك..
- أنت رائع لا تشك في ذلك.

وسألها مُغيِّرًا الموضوع:

- ما الذي حدث لي؟
- لا نعرف تفاصيل كثيرة.. ولكنهم وجدوك مضروبًا وفاقد الوعي في سيارتك دون أن يعرف أحد من الذي فعل هذا بك.
- تقريبًا كانت محاولة للسرقة.. غالبًا!
- لا تحاول أن تُرْهِق نفسك في التفكير واستعادة الذكريات حتى تتعافى سريعًا.. المهم الآن أنك نجوت.
- هل أتت الشرطة؟
- نعم.. والمحضر مُتوقف على أقوالك.. سيأتون مرة أخرى.
- هل توجد حراسة أمام الغرفة؟
- لا.. الأمر لا يستحق ذلك.. كما أن المستشفى هنا آمن جدًّا، ولدينا كاميرات في كل مكان.. لا تقلق.

في تلك اللحظة تيقَّن وهو يحدِّق في السقف أنه غير مطلوب القبض عليه.. ربما كانت خيالات شاردة ما شاهده في الجريدة.. نعم هذا يحدث أحيانًا لبعض الناس أن يلتبس عليها الأمر وترى أشياء غير موجودة..

- متى يمكنني الخروج؟
- سأخبر الطبيب بأنك أفقت.. سيفحصك ثم سيقرر موعد خروجك.

كانت إصابته طفيفة، ولكن ارتجاج في الدماغ أفقده الوعي، ولكنه الآن استعاد وعيه وذاكرته جيدة إلى حَدٍّ ما فقط بها بعض التشوش البسيط جرَّاء ما حدث له..

قدمت له الممرضة كأسًا من الماء، وحبة دواء بيضاء كبيرة الحجم، وقالت:

- موعد الدواء..

فتناولها وابتلعها بانزعاج بسبب حجمها، ثم ما لبثت أن سألته:

- هل يوجد أحد تريد أن تتصل به؟

*****

قبل الخروج أتى ضابط وأخذ أقواله في محضر رسمي، وأخبره بأن الشرطة ستتولى مهمة القبض على المُعتدي، وعند وجود أي أخبار تخصُّ هذا الموضوع سيتصل به، ونصحه بأن يعود إلى القاهرة لعله هناك سيكون في أمان أكثر..

في تلك اللحظة اطمأنَّ وأدرك بأنه غير مطلوب للعدالة.. اللعنة على عقله المُشوَّش الذي كاد يُنْهِي مسيرته الأدبية قبل أن تبدأ.. ولكن أَلَحَّ عليه السؤال مرة أخرى لماذا صورته منشورة في الجريدة هل كانت صورته حقًّا؟ أم كان شخصًا يشبهه؟ بالتأكيد هو شخص يشبهه وإلا لماذا لم يقبض عليَّ البوليس؟ ولكن من هذا الذي حاول مهاجمته؟ تمنَّى أن تكون مجرد محاولة غبية لسرقته.. ولكنه يعرف بينه وبين نفسه أنه سيكون غبيًّا لو تصوَّر أن الأمور بتلك البساطة.

*****

كانت سيارته تحتاج إلى بعض الإصلاحات التي استغرقت في يد الميكانيكي ما يقرب من خمس ساعات، ثم بعد ذلك كانت جاهزة لينطلق بها على طريق العودة إلى القاهرة..

بمجرد أن عاد إلى منزله رنَّ هاتفه، كانت مروة تريد الاطمئنان عليه:

- هل كل شيء على ما يرام؟
- نعم أنا بخير.
- متى يمكن أن أراك؟
- لقد وصلت للتَّو وأنا مُرهق الآن، ولكن من الممكن أن نتقابل غدًا.
- هذا جيد، هناك بعد الأمور الخاصة أريد مناقشتها معك.
- إلى اللقاء.

في الغد ذهب في الموعد وجدها جالسة في تأفُّف بانتظاره.

- كيف حالك؟
- بخير.

صافحها بامتنان ثم جلس، فقالت ببرود:

- كنت قلقة عليك.. كان هاتفك مغلقًا طوال الوقت.
- أنا بخير.
- ماذا أصاب وجهك؟
- مجرد حادث بسيط.
- هل هناك أي شيء تخفيه عني؟
- لا.
- كنت أريد أن أحدثك اليوم في أمر خاص.

قالتها وصمتت لفترة وهو ينظر إليها باهتمام.

- أنا أسمعك.
- آدم، يجب أن نترك بعضًا، مشاعري هذه الأيام مضطربة وليست لديَّ القدرة على استكمال تلك العلاقة.
- ماذا حدث؟
- لا شيء، أنا فكرت كثيرًا، ووجدت أن هذا هو الاختيار الصحيح لكلٍّ منا.
- هل الأمر مُتعلِّق بحبيبك السابق؟
- لا لا، هذا موضوع انتهى منذ زمن.
- ما الذي جَدَّ؟
- أنا هكذا هوائية.. كل ما في الأمر أنني لا أريدك الآن في حياتي.
- بهذه البساطة؟

هزَّت رأسها، ثم استأذنت في الانصراف.

****

الحياة غدت مُقْرِفة لا تُتَحَمَّل..

إنها عبارة عن إخفاقات متتالية، خيبات أمل لا تنتهي، أوجاع وألم متكرر والجميع يحاول التعايش ويواصل النفاق والكذب حتى تمرَّ الحياة بسلام، والحقيقة أنه لا يوجد سلام على هذه الأرض.. الكل في صراع أبدي مع السؤال البسيط: كيف نعيش في راحة وسكينة؟

في كل مرة نستعرض فيها خيباتنا نجد خلفها أحلامًا بالغنا في تصديقها.. ولكن خيبته الكبرى كانت كابوسًا عندما حاول التخلص منه طارده في كل مكان ولم يستطع الإفلات منه.

عاد إلى المنزل.. بقلب موجوع وروح مُثقَلة بكل الهَمِّ والحسرة.. مروة هي وجعه الأبدي الذي لن يتخلص منه أبدًا.. حاول أن ينام ولكنه فشل.. كان يفكر ويفكر في كيف تُدار تلك الحياة؟ ولماذا كل هذه السيناريوهات المأساوية؟ ولماذا علينا أن نعاني؟

أفزعه سَمْعُ طَرْقٍ شديدٍ على باب الشقة.. ودارت في رأسه كل السيناريوهات الممكنة فزاد الخوف داخله وتردد في أن يفتح.. لكن الطَّرق الغاشم على الباب لم يتوقف، بينما هو واقف في منتصف الصالة حائرًا لا يعرف ماذا يفعل. ولم يمهله الطارق كثيرًا حتى وجد الباب أمامه ينكسر وهم يتسربون من خلاله، ليقفوا حوله يحاصرونه

وأسلحتهم مُشْهَرة نحوه حتى لا يفلت منهم، ولم ينتبه حينها سوى لصوت قائدهم وهو يقول بكل غضب:

- اقبضوا عليه.

- 10 -

الساعة 10:03 صباحًا

الأجواء داخل غرفة الاستجواب لم تكن أفضل ما يكون بالنسبة إلى آدم وهو جالس في توتر أمام الضابط مجدي لاستجوابه:

- لدينا أدلة تقودنا إلى أنك أحد المشتبه بهم في جريمة مقتل الناشر شريف رشدي، ما تعليقك على ذلك؟
- كنت في أثناء هذه الفترة في الإسكندرية.
- وبماذا تفسر وجود شاهد عليك في ليلة مقتل الناشر شريف رشدي؟

قال منفعلًا:

- بالتأكيد شخص كذاب.
- هل لديك ما يثبت صحة كلامك؟
- نعم، الشقة التي كنت بها كنت مستأجرها لأسبوع، وصاحب العقار يستطيع إثبات ذلك.
- ولكن من الوارد أنك استأجرت الشقة ثم عدت الى القاهرة ارتكبت جريمتك ثم غادرت مرة أخرى.
- لا، هذا لم يحدث.

قالها بخوف شديد وهو يهزُّ رأسه يمينًا ويسارًا.

- هل تستطيع إثبات أين كنت في توقيتات ارتكاب تلك الجرائم؟

أخذ نفسًا عميقًا وقال:

- في أغلب الأوقات كنت داخل الشقة لم أخرج إلا قليلًا.
- هل لديك ما يثبت ذلك؟
- لا أعرف كيف يمكن إثبات ذلك.. ولكنني لم أفعل أي شيء، ومن المستحيل أن أقتل شريف.. العلاقة بيننا لم يكن بها أي توتر.. لا يوجد أي سبب يدفعني لفعل ذلك.
- وجدنا رسمة متاهة بها العديد من الرموز والأرقام.. وصفها قريب جدًّا من وصف المتاهة في روايتك الأخيرة.. كما أن كل العمليات الإرهابية الأخيرة ذُكِرَت بالتفصيل في روايتك.. ما تعليقك؟
- إنها رواية خيالية ليس بها أي علاقة بالواقع.

- هل سبق لك الانضمام إلى جماعات متطرفة؟
- لا لم يحدث.. وطوال حياتي لا أحب السياسة ولا أتكلم فيها.
- هل يوجد ما تريد أن تضيفه إلى أقوالك؟
- لا يوجد أي شيء يدفعني لفعل ذلك بالإضافة أنه من الممكن أن يكون هناك جماعات متطرفة أُعْجِبَت بالرواية وقررت تنفيذها.
- المشكلة أن العمليات التي حدثت في الماضي روايتك أجابت على الجانب الذي كنا نجهله.. ما تفسيرك لهذا؟
- أنا بريء ولم أفعل أي شيء.. أنا كاتب ناجح وفي بداية المشوار.. من الغباء هَدْم كل هذا في لحظة واحدة.
- هذا الأمر تقرره النيابة..

وقال مجدي موجهًا كلامه إلى مَنْ يكتب المحضر:

- ويتم حبس المتهم إلى أن يُعْرَض على النيابة اليوم في الفترة المسائية.

*****

الساعة 56: 11 صباحًا

كانت رشا تحاول أن تتصل بمجدي من أجل أن تخبره بأن الطَّلْق داهمها، ويجب أن تذهب إلى المستشفى في الحال حتى تضع مولودهما، ولكن هاتفه كان مُغلقًا مُنشغلًا بالتحقيق مع أحد المتهمين.

عندما فرغ رتَّب مجدي كل شيء مع الطبيب المتابع لحالتها، ثم ذهب إليها ليأخذها معه.

كانت واقفة أمام مدخل العمارة في انتظاره وبجوارها حقيبة ملابس صغيرة، التقط الحقيبة في يد وباليد الأخرى ساعدها في الوصول إلى السيارة ثم الجلوس داخلها، وانطلق على الفور وهي تصرخ من ألم الطَّلْق الذي يباغتها على نوبات مستمرة متقطعة بين الحين والآخر.

- أنا خائفة.
- من ماذا؟
- من أن أموت.

فقال مطمئنًا:

- كل شيء سيكون على ما يرام لا تقلقي.

كان يسير أسرع مما كان ينبغي له أن يسير على الطريق.

- سنسميها آسيا.
- لا لا أحب هذا الاسم.. بل سيكون اسمها أسمهان.

رنَّ الهاتف.. كان الطبيب المتابع لحالتها، فقال له مجدي:

- نحن الآن في الطريق.. أمامي أقل من ربع ساعة.

وعلى غفلة ظهرت أمامه سيارة أخرى حاول أن يحيد عنها بأقصى استطاعته، فدارت منه السيارة، فقد على إثرها التحكم، وانقلبت عدة مرات إلى أن اصطدمت في عمود إنارة.

*****

بعد الحادث بأربع ساعات:

في أثناء نقل آدم من أجل العرض على النيابة اعترضت عربة الشرطة تريلا ضخمة، ومن خلفها تقف عربة جيب ينزل منها مسلحون يفتحون النار على كل مَنْ في العربة، وفي خلال دقائق كان كل مَنْ في عربة الشرطة مقتولين، بينما آدم يقفز داخل العربة الجيب ويبتعد عن المكان.

- **وهو لا يعرف مَنْ الذي قام بتهريبه وما هدفه.. ولكنها فرصة ذهبية للهرب وأُتِيحت له ويجب استغلالها حتى يستطيع إثبات براءته.**

توقف آدم عن القراءة من ورقة مسودة روايته الجديدة، ونظر إلى وسام وقال لها:

- ما رأيكِ فيما قرأته لكِ؟
- مسودة لا بأس بها، لكنها بحاجة ماسة للمزيد من العمل والتنقيح، توجد أجزاء في السَّرْد لم أحب أسلوبك بها، وأجزاء أخرى كانت ركيكة جدًّا لا تليق بك على الإطلاق.
- أعرف ذلك، أنا فقط أُخْرج كل ما في داخلي على الورق، أيًّا كان جيدًا أم سيئًا ثم أنقِّح كل شيء في النهاية.. في تلك المرحلة أنا أهتم بترابط الأفكار فقط ومدى قدرتي على تطوير الفكرة العامة حتى أصل إلى ما أطمح إليه.

- أعرف أن هذا أسلوبك، ولذلك أنتظر منك المزيد من الجودة حتى في مسوداتك الأولى.
- سأعمل على ذلك.. ولكن كيف يمكن أن أستكمل تلك الرواية؟ أشعر أنني فقدت خيوطها!
- الأمر يحتاج لإضافة تفاصيل أكثر تساعد مجدي على حل اللغز، مع استمرار ضخ المزيد من الغموض حتى الفصل الأخير، وهناك ملاحظة أخيرة طريقة هروب آدم تقليدية بعض الشيء.. والقارئ دائمًا ذكي ويصعب خداعه.
- معكِ حق، أنا في بعض الأحيان أستسهل.
- لذلك يجب أن تتعب أكثر على تطور الأحداث هذه المرة.. يجب أن تحافظ على مستوى الدهشة التي تصيب بها كل القراء عندما يصلون إلى نهاية الرواية.. وكذلك هناك مشكلة أنت تغامر بالظهور في الرواية باسمك الحقيقي وهذا ممكن أن يخلق لك المزيد من المتاعب مع القُرَّاء.
- أعرف أن الكل سيخلط بين شخصيتي في الرواية وشخصيتي الحقيقية، ولكنها مغامرة تستحق.
- اعمل بحذر شديد وأنت تكتب.
- سأتوقف قليلًا ثم أعيد الكتابة مرة أخرى.
- قرار مناسب، ولكن وَاصِل العَيْش داخل الحكاية.
- لا تفارق مُخيلتي.
- سأرحل الآن..
- سأنتظرك غدًا في حفلة توقيع الرواية.
- سيكون حفلًا رائعًا.

ودَّع وسام، ثم جلس أمام التلفاز يبحث عن أي شيء يُبَدِّد الوقت.. انتابه صداع نصفي كان مألوفًا لي في الفترة الأخيرة من كثرة التوتر وقلة النوم، وحتى يتخلص منه ابتلع قرصًا من علبه المُسكِّن مع كوب كامل من الماء شربه على دفعة واحدة، وجلس أمام التلفاز يبحث عن أي شيء يشاهده، وبعد مضي نصف ساعة كان في أفضل حال..

دَلَفَ إلى السرير وقبل النوم وكفعل اعتيادي يحب أن يقرأ، وسهرة الليلة مع رواية أجنبية غير مترجمة تحكي عن فتاة تشاهد قاتلًا من النافذة، ولسوء حظها شاهدها القاتل وقرر أن يتخلص من الشاهدة الوحيدة على فعلته، وراح يطاردها في كل مكان في هذا الوقت المتأخر من الليل، حتى أمسك بها في منزل صديقها الذي تخلص منه بطعنة سكين، أما هي فضربها على رأسها حتى فقدت الوعي وأخذها معه.

تتسلل أحدهم نحوه.. كانوا اثنين يهجمان عليه ويمسكان به حتى يتم شَلّ حركته، ثم يُخْرِج أحدهم من جيبه حقنة ينزع الغطاء عن سن الإبرة بأسنانه وهو ممسك بيد آدم المرتعشة بحرفية عالية تُظْهِر أنه مدرب بشكل كافٍ ليغرس الحقنة بعروقه، وفي خلال ثوانٍ كان قد دفع كل محتواها بجسده.. ثم يتركانه ويرحلان من المكان بينما هو يقاوم النعاس، وتثاقل يده، وتلبُّس الأفكار في عقله.. تسقط الرواية من بين يديه ومعها يفقد تدريجيًّا التحكم في أجزاء جسده إلى أن يفقد الحركة تمامًا ثم يستسلم للمُخدِّر.

الساعة 11:11

أخيرًا، سوف تتحقق إحدى رغباتي

- 0 -

إنها تبتسم لي أخيرًا.. تأخذني بين أحضانها الدافئة وتهمس لي: «هذه ليلتك.. ليلتك التي انتظرتها طويلًا وها أنت تصل إلى مُبتغاك».

هل حقًّا وصلتُ إلى مُبتغاي أم أن الطريق لا يزال طويلًا؟

في الواقع مرَّت عليَّ سنوات عِجَاف، عانيت فيها من قفلة الكاتب، وكدت في ذروة اكتئابي أن أعتزل الكتابة.. كنت مُحبطًا من حالة الكساد الإبداعي التي لازمتني منذ أن كتبت آخر رواية لي، والتي بالمناسبة لم تُحْدِثْ أي صدى يُذْكَر، ولم يحبها أحد قط، وبالتالي كانت المبيعات قليلة جدًّا يمكنك عدها على أصابع يدك الواحدة، وهذا يرجع لسبب بسيط أن شخصيتي تفتقد لجزء مهم يُدعى التسويق الاجتماعي.. طوال حياتي لم أجد بناء العلاقات وربط المعارف.. جلسات المثقفين لا أحبها، فالنفاق بها مادة سامة اعتادت عليها أجسادهم.. وأنا دمي غير دمائهم لن أتحمل أي جرعة بسيطة من قاذورات علاقاتهم الاجتماعية.. كما أن الجوائز الأدبية كلها مشبوهة، وتذهب بالاتفاق إلى معارفهم وأحبابهم سواء بالتراضي أو بالرشوة.. في يوم ما عرض عليَّ أحدهم الفوز بجائزة عربية ضخمة مقابل 50% من قيمتها المالية، ورغم قلة المال حينها؛ فإنني رفضت.. أنا كاتب شريف، نظيف اليد وطاهر السمعة.. لم أخن يومًا شرف الكتابة.. أنا الذي قال (لا) -في عز احتياجه- في وجه مَنْ قالوا (نعم).. وبسبب كل ذلك أحصل أنا الآن على مُبتغاي.. أنا الآن أنجح بمجهودي وقوة كلماتي وصلابة بنائي وبراعة حَبْكتي.. أنا الآن الأفضل في مصر والوطن العربي وقريبًا سأكون الأفضل في العالم كله.

مبيعات روايتي الأخيرة تخطت الطبعة المائة.. نعم المائة.. والطبعة الواحدة عشرون ألف نسخة، أي وصلت لاثنين مليون نسخة بشكل رسمي في أقل من شهرين.. بالطبع لم أضف الأرقام غير الدقيقة والتي يصعب حصرها للنسخ الورقية المضروبة والنسخ الإلكترونية المُقرصنة.

أنا الآن مشهور وناجح وسأظل هكذا.. لم أسعَ للشهرة، ولم أرفع شعارات رنانة ثم أُغَيِّرها كأن أهاجم كاتبًا شابًّا مشهورًا، وأتهم كتاباته بالسطحية وقله القيمة، ثم في لحظة ما قبل انطلاق معرض الكتاب -ولأنه يخشى على مبيعات كتبه- يذهب إليه ويصالحه ويتمحك في جمهوره الذي كان من وقت قريب يتهمه بالسطحية.. ولم أهاجم الجائزة الفلانية ولم أزايد في الهجوم عندما ترشح كاتب (البيست سيلر) المعروف، وأتهم الجميع بأنهم مُرْتَشُون يدفعون بالجوائز لمَنْ لا يستحق، والغريب عندما يفوزون بها نجدهم يحدثوننا عن أهمية الجائزة ودورها في صناعة الثقافة العربية.

أنا آدم وحيد، أهم كاتب حاليًا في مصر.. أنا حاضرها ومستقبلها، وأهم روادها.. أنا ناجح وروايتي ستتحول إلى فيلم.. بعت حقوق تحويلها إلى عمل سينمائي مع منصة نتفليكس الشهيرة.. أقنعني المنتج المنفذ هاني عارف بتعديل النهاية ورغم سذاجة التغيير؛ فإني وافقت حتى أثبت له أن النهاية التي اختارها لا تصلح، وأننا لا يجب أن ننجرف خلف النهايات دون تفكير في كيفية الترابط القوي مع البدايات.. فالخيال الموجود داخل عقولنا يختلف تمامًا عند وضعه على الورق.. لأرض الكتابة قواعدها الخاصة وعلى الجميع أن يحترمها.

روايتي كتبتها في شهر واحد فقط، ولكنني أعلنت أنني استغرقت في كتابتها أربع سنوات حتى يقتنع الجميع أنها كُتِبَت بإتقان شديد وأنها جديرة بوقتهم الثمين.. المشكلة أنني لو قُلتُ الحقيقة لن ينظر لها أحد باهتمام ظنًّا منهم أن العملية الإبداعية إذا لم تأخذ سنوات فهي غير جديرة بالقراءة، وكان حينها سيخرج عليَّ أحد القراء قائلًا: الرواية فن عظيم لا يُكْتَب على عجل. وسيخبرني كم كنت بحاجة للمزيد من الوقت حتى تختمر الفكرة.. وآخر سيقول ساخرًا: يكتبون كل يوم رواية، لقد أصبح عدد الكُتَّاب أكثر من عدد القُرَّاء، إنه السخف كما ينبغي.. وفي الحقيقة لا أحد أسخف من هؤلاء القراء وفهمهم السطحي للإبداع..

أنا أفتخر أنني لم أدخل في مشادات كلامية مع غيري من الكتاب نتيجة النفسنة والغيرة، ولم أدعُ أنني أدافع عن شرف الرواية والثقافة، والأكيد والأهم أنني لم أطبِّل لأحد.. ولن أكتب (مُحْن رومانسي) على الطريقة الليبرالية أو الإسلامية.. لم أكتب رعبًا ولا غيره من الأدب الرخيص.. أنا فقط أكتب أدبًا حقيقيًّا جذابًا يترك أثره من الجملة الأولى.. لا أرغي بلا مبرر مثل هاروكي موراكامي.. ولست مُملًّا مثل مارسيل بروست؛ لذلك وصلت للجمهور بمنتهى البساطة ومن أقصر الطرق، لذا لا تتعجب عندما ترى في حفلة توقيعي المئات من الناس يملأون القاعة عن آخرها.. أتذكر أول حفل توقيع لي لم يحضر أحد، وجلست وحيدًا لمدة ساعتين هي مدة الحفل، وعدت إلى المنزل مصدومًا وخائبًا.. ورغم أنني أعرف أسباب العزوف عن حفل توقيعي؛ فإنني قلت لنفسي لن أفعلها مرة أخرى.. فأنا لا أعزم أحدًا على حفلات توقيعي، ولا أطلب من أحد أن يشتري كتبي.. لا لن أنزل إلى هذا المستوى، ولن أذهب إلى حفل توقيع زميل متعمدًا حتى لا يردها لي في حفلة توقيعي.. تشعر وأن الأمر أصبح مثل هدايا الأفراح والمناسبات..

- بقي ربع ساعة.

كنت على وشك اعتزال الكتابة.. مررت بظروف قهرية وإحباطات عديدة إلى أن كتبت تلك الرواية والتي كنت مُقرِّرًا بيني وبين نفسي بأنها في حال لو فشلت مثل ما سبقها سأعتزل الكتابة بلا رجعة.. أنهيتها في شهر ثم أرسلتها إلى العديد من الناشرين وتوالت رسائل الرفض على بريدي الإلكتروني، وفي اللحظة التي استسلمت

فيها لخيبتي جاءتني رسالة من الناشر شريف بموافقته على نشر الرواية، وأن الدار ستتكلف بكل مصاريف الطباعة والتوزيع، وهذا ما حدث بالفعل.. في هذه الأيام ليس هناك الكثير من دور النشر التي تتحمل تكاليف الطباعة والنشر والدعاية، فنحن في زمن بعض الناشرين يطلبون فيه من الكاتب آلاف الجنيهات دون أي تقييم لما يُكْتَب.. فأنت تنشر بمالك ودون أي اعتبار.. وبمساعدة وسام محررتي الأدبية كانت الرواية جاهزة في أفضل صورة بدون جمل زائدة أو أحداث غير منطقية، وتجتاح بعدها سوق النشر في العالم العربي.

- استعد الآن.

أنا مستعد تمامًا للصعود على المسرح لبدء مراسم حفل توقيع كتابي الجديد.. الحضور الكثيف لم يَعُدْ يخيفني فقد هيأتُ نفسي جيدًا له، أصبحت مستعدًّا لتلك الخطوة المهمة في حياتي.. لي جمهور محب.. يحبني ويحب أبطال رواياتي ويتأثر بهم.. أنا الآن مؤثر في هذا الجيل ومُلهِم له وسأعمل على أن أكون كذلك في الأجيال القادمة.. إنها رسالة ويجب أن تصل للجميع.. دعني أخبرك أن أكبر خدعة فعلها الشيطان في البشرية أنه أقنعهم أن الأدب والفن رسالة.. وفي الحقيقة الأدب والفن خُلِقَا للمتعة ثم المتعة ثم المتعة.. وإذا لم تستمتع فلا قيمة لهذا العمل حتى لو كان يحتوى على كل رسائل الدنيا والآخرة.

- السيدات والسادة أهلًا ومرحبًا بكم في حفل تدشين رواية مصيدة الكتاب الأزرق للكاتب الفذ آدم وحيد..

مقدم الحفل ممثل شاب ما زال يتحسس طريقه نحو النجومية، وها هو يتحدث عن مبيعات الرواية وتأثيرها غير الطبيعي في كل من يقرؤها وتساءل قبل أن يعطيني الكلمة:

- كيف سيتم حل لغز المتاهة الغامضة؟ وكيف ستكون طبيعة الأحداث في الأجزاء التالية؟
- أولًا، أشكرك على هذه المقدمة الجميلة واسمح لي أن أعبِّر عن خالص شكري وامتناني لكل الحضور.. والإجابة عن سؤالك المتاهة هي محور الأجزاء التالية من الرواية، وستتكشف طبيعتها بشكل تدريجي، وأعدكم أنها ستكون شيقة إلى أبعد مدى ممكن تخيُّله.
- ونحن في انتظارها.. أستاذ آدم الرواية كانت تحمل هدفا عظيمًا وقضية شائكة لمست كل القراء وتحديدًا مشكلة هَمِّ الحياة وأوجاعها وكيفية اتخاذ قرارات مصيرية في أوقات عصيبة الخطأ فيها ممكن أن يكلفك حياتك.
- الحكايات هي أصل البشرية.. فالإنسان عبارة عن ذكريات متراكمة وحكايات نرويها جيلًا بعد جيل، وكلما تعلق الأمر بحكاية صادقة لن تحتاج إلى أي شيء لتنفذ داخل

قلبك.. حكاياتي كُتِبَت عن تجربة حياتية.. كُتِبَت بمنتهى الصدق والأمانة.. كنت مُخلِصًا في وصف مشاعري وأزماتي النفسية.. كنت صادقًا في كل سِرٍّ قُلته وكل موقف حدث..

- هل نستنتج من هذا أن الرواية عن قصة حقيقية؟
- ليس بشكل كامل.. لكن بالتأكيد الرواية بها أشياء حدثت في الواقع وأشياء لم ولن تحدث.

*****

اصطفَّ الحضور لتوقيع نسخهم الخاصة.. يُقَدَّرون بالمئات من البشر الذين تركوا كل شيء وأتوا من أجل توقيعي، كم أنا سعيدٌ أن يأتي كل هؤلاء من أجلي.. يلتقطون الصور معي وينشرونها بكل فخر عبر حساباتهم على وسائل التواصل الاجتماعي.. إنه انتصار حقيقي لي ككاتب، ودليل على أنني وضعت قدمي على أول سكة المجد والشهرة، وأقسم بالله لن أُفَرِّط في تلك الفرصة مهما حدث.

قرب منتصف الليل انتهى الحفل وخرجت مع ناشري شريف رشدي نتمشى حتى نصل إلى السيارة، وقال لي مُبشِّرًا:

- نجاح اليوم لن يُقَارن أبدًا بما هو قادم.

وزَفَّ لي خبرًا سعيدًا:

- شركة إنتاج خليجية قدمت عرضًا ضخمًا لشراء حقوق تحويل الرواية إلى مسلسل درامي ليُعْرَض على منصتهم الإلكترونية.

كنا تعاقدنا مع نتفليكس على إنتاج فيلم سينمائي فقط خلال العام الحالي.. ولكن بشرط أن يكون الإنتاج الدرامي بعد عام من إنتاج الفيلم.

ابتسمتُ له، وقلتُ بلا مُبَالاة:

- يجب أن أجلس معهم وأتناقش في كل شيء قبل الموافقة.. خاصة أننا أمامنا مُتَّسَعٌ من الوقت.
- بالتأكيد ستوافق.. عرضهم المالي مُغرٍ جدًّا.
- سأفكر في هذه الخطوة.
- الأمر ليس بحاجة إلى التفكير.. كل ما في الأمر أن تترك نفسك لي وأنا سآخذك إلى سابع سماء.

- وهذا ما أفعله دائمًا.. الثقة بك هي سلاحي السري في هذا الوسط..

ابتسم لي بامتنان، ثم قال:

- إذا أراك في الصباح.

أومأت له وتركني ورحل في سيارته بينما مشيت قليلًا بحثًا عن المكان الذي تركت به سيارتي الجديدة.. بمجرد أن ضغطتُ على زر الفتح، أصدرت السيارة صوتًا مُميَّزًا جعلتني أعثر عليها بشكل أسرع، وقبل أن أركب لفت انتباهي وجود ورقة بيضاء مطويَّة تحت مساحة الزجاج الأمامية.. مددتُ يدي في استغراب وفتحتها وجدت بها جملة واحدة كانت كفيلة بقلب يومي رأسًا على عقب:

«رغم أنه من المفترض أن يكون هذا أفضل يوم في حياتك؛ فإنني أحب أن أخبرك بأنه سيكون أسود يوم مَرَّ عليك وأنت حي.. استعد لأسوأ كوابيسك».

- 1 -

- هزار سخيف.. لا تهتم به.

هكذا قال لي شريف عندما اتصلت به وأنا في السيارة لأخبره بما هو مكتوب في الرسالة وقال لي أيضًا:

- ارمِ كل شيء خلف ظهرك.. أنت الآن أهم كاتب في مصر، ومن الطبيعي أن يكون لك حاقدون.

تنهدتُ قائلًا:

- ولكن أنا خائف..
- هذه ورقة لا قيمة لها، لا تشغل بالك بها مطلقًا.
- هل تعتقد ذلك؟
- نعم، بكل تأكيد.

استطاعت كلماته البسيطة الواثقة أن تهدئ من روعي قليلًا، وشعرت نحوه بالامتنان.

لدى العودة إلى منزلي، صرتُ اضغط على كل مفاتيح الكهرباء، ثم أشعلتُ المذياع على موسيقى كلاسيكية، ورفعتُ الصوت إلى مداه الأخير.. أحاول تجاوز تلك الرسالة التي شوشت تفكيري، وسحبت الفرحة من روحي، وجعلتني أرتبك وأرسم سيناريوهات سوداء في عقلي.. لكنني قلتُ لنفسي أيًّا يكن الذي أنا مقبل عليه سأتجاوزه لا محالة.. لقد تجاوزت من قبل ما هو أسوأ.

وضعتُ النظارة على الطاولة ثم خلعت كل ملابسي، ودخلت تحت الدش أحاول التخلص من إرهاق اليوم.. لقد عانيت كثيرًا حتى أصل إلى تلك السعادة.. كل شيء حلمت به قد تحقق أخيرًا.. ولن أترك كل هذا مهما حصل.

أحكمت ربط حزام البرنس حول خصري، واتجهتُ نحو المطبخ أصنع فنجان قهوة.. رنَّ هاتفي.. كان الرقم غير مُسجَّل في قائمتي.. ترددتُ قليلًا وكدت أترك الهاتف، ولكنني في النهاية فتحت الخط..

- أهلا بحضرتك أستاذ آدم.

تمتمتُ:

- أهلًا بك.
- معك أشرف فتحي الصحفي من مجلة الأدب والمستقبل الأسبوعية.

«تلك المجلة التي يسطو عليها بضعة كتاب يمدحون في كتابات بعضهم البعض ولا يعيرون الآخرين أي اهتمام، وكأن لا أحد يجيد الكتابة غيرهم».

- تشرفت بك.
- كنت أريد إجراء حديث صحفي معك لو وقتك يسمح بذلك.
- طبعًا يشرفني ذلك، ولكن هل من الممكن أن يكون في وقت لاحق؛ لأنني مُتعب الآن؟
- بكل تأكيد.. هل يناسبك الغد في نفس الموعد؟
- نعم، ميعاد مناسب جدًّا، على الرغم من أنه متأخر.
- أعلم أنك تحب السهر وتنام بالنهار.
- لديك حق.
- إذًا على موعدنا، إلى اللقاء.
- إلى اللقاء.

وأغلقت الخط، ثم قمت بإضافة رقمه إلى القائمة السوداء للمكالمات حتى لا يصدع رأسي مرة أخرى.

تراجعت عن صنع فنجان القهوة، وذهبت إلى غرفتي ارتديت ملابسي واستلقيت على سريري.. فكرت أن أهاتف مروة وأحكي لها عن نجاحي الذي وصلت له بعد عناء طويل، وأسألها هل تتابعه أم غيَّرت عادتها.. ولكنني صرفت النظر عن هذا الأمر، إنها فتاة كئيبة وأنا الآن سعيد وسأكون سعيدًا إلى الأبد.

دارت عيني في المكان مُتطلعًا إلى الصور التي على الجدار، توقفت على صورة عائلية. الأب والأم جالسان على كرسي ويحملان في حجرهما ثلاث أطفال، أنا من ضمنهم.. أتذكر في يوم سألت أمي عن الاثنين الآخرين قالت لي لقد أُخْتُطِفا وهما صغيران، وقضت سنوات عمرها تبحث عنهما ولم تعثر عليهما أبدًا.. أخفت عني وجعها على فراقهما، وتظاهرت بأن الأمر هيِّن ولكن لا شيء يُهوِّن مرارة فراق الأبناء.

رنَّ جرس الباب.. نظرت في ساعة يدي كان الوقت متأخرًا.. مَنْ يكون قد أتى في هذا الوقت؟

قمت من مرقدي وفتحت الباب بحذر، لم أجد أحدًا، وقبل أن أغلقه وقع نظري على الأرض.. أمام قدمي مباشرة حيث وجدت كتابًا.. انحنيت والتقطته.. وبطرف إصبعي فررت صفحاته سريعًا. كان كتابًا بغلاف أزرق باهت، ومُصفر الحواف وطبعته عتيقة جدًّا.. أغلقت الباب وعدت إلى الصالة وأنا أتفحصه جيدًا.. من الوهلة الأولى لم أنتبه

إلى العنوان المكتوب بخط هامشي على الغلاف والذي يحمل اسم (**المسودة 107**).. وعندما أكملت تصفحها وجدت وكأنني أقرأ روايتي مرة أخرى، كل شيء كما هو، الأحداث، والشخصيات، نسخة طبق الأصل، وكأنها روايتي تمت إعادة صياغتها لتتناسب مع ذلك الزمن القديم الذي تدور فيه أحداث هذا الكتاب القديم.. أنهيت الكتاب في قراءة سريعة وخاطفة، وفي آخر صفحة وجدت مكتوبًا بخط اليد:

«**أنت الآن لص، ونجاحك لن يطول بمجرد كشف حقيقتك إلى الناس.. سأقلب حياتك إلى جحيم مثلما قلبتها على مَنْ سبقك**».

- 2 -

تفحصت الكتاب الذي معي أكثر من مرة.. لم أصدق ما أراه بعيني، ولوهلة شعرت أنها نهايتي وكل ما بنيته سيُهْدَم على رأسي.. في ذهني يتدافع ألف سؤال، كيف لكتاب مثل هذا أن يُكتب قبل روايتي؟ هل هي خدعة من خدع التكنولوجيا أم أنها حقيقة وعليَّ التعامل معها؟! عقلي يمتلئ بالأفكار وكلما مرَّ الوقت توترت أكثر ومن ثَمَّ يصعب عليَّ التفكير في أي شيء..

رنَّ جرس الباب، كان شريف دخل سريعًا وهو منزعج، وقال:

- هل طالعت فيسبوك اليوم؟
- لا.. أنت تعرف أنا لا أحب هذا التطور البغيض.. فأنا منذ ظهور هذه...

قاطعني شريف منزعجًا من استرسالي:

- المهم.. أحدهم يتهمك بسرقة رواية والده العجوز.

الآن فقط فهمت مغزى تلك الرسائل الغامضة، فسألت مستفسرًا وأنا أعرف ما يرمي إليه:

- أي رواية؟
- رواية مصيدة الكتاب الأزرق.

وتصنَّعتُ الدهشة:

- كيف ذلك؟
- لا أعرف، ولكنه أعلن أنه سيلجأ للقضاء حتى يفصل بينكما.

وقُلتُ بغضب:

- لم أسرق أحدًا.. يجب أن تصدقني.
- أنا أصدقك وغالبًا هو يسعى للشهرة.. مثلما يكون الهدف دائمًا في مثل هذه القضايا.

صمتُ قليلًا وأنا أفكر وسألت:

- كيف سنحل هذا الموضوع؟

- نتجاهله، وهكذا سيُحَلّ من تلقاء نفسه.
- أريد مقابلة هذا الشاب.
- هذا ما يريده يا غبي.. أن تعطي له الاهتمام.

ثم تابع بنبرة واثقة:

- مثل هذه القضايا لا ينتج عنها أي شيء.. مجرد تضييع وقت لا أكثر.

وقفتُ أمامه عاجزًا عن فعل أي شيء، فقال في مرح:

- أريد أن أشرب.. هل لديك؟

هززت رأسي بالإيجاب، وذهبت إلى المطبخ، وعدتُ بزجاجة من الويسكي وكأسين فارغتين وضعتها على الطاولة، وقبل أن أصب له كأسه قُلتُ:

- ستكون كارثة إذا حكم القاضي له؟

ردَّ عليَّ بيقين:

- لن نصل إلى المحاكم.. أعدك بذلك.. وحتى لو وصلنا لن يحكم له أحد بشيء.

وتابعت ملء الكأسين وقُلتُ في حزن:

- يبدو أن النحس لن يتركني أبدًا.
- الآن أنت من تتحكم بمصيرك، وسوف تغيره للأفضل إذا أردت فعل ذلك.
- أنا خائف.. لقد تعبت من مشكلات هذه الحياة.
- تعتقد ما الذي سيحدث إذا ساءت الظروف؟
- سأفقد كل شهرتي.. وكل ما حققته.
- لا.. في أسوأ الظروف ستتأثر شهرتك قليلًا.. ولكن بمجرد أن يمر بعض الوقت ويصدر لك عمل آخر سينسى الناس كل شيء والأمثلة كثيرة على ذلك.. ولكن المشكلة أنك في مرحلة لا يجب أن يؤثر أي شيء على اسمك مهما كان الثمن.. خاصة أن هذه سيهز بعنف كل الخطوات التي حققناها في الشهور الماضية وبالتحديد خطوة بيع حقوق تحويل الرواية إلى فيلم ومسلسل.. لا نريد أن تنهار هذه الخطوات.
- لذا يجب عليَّ مقابلته حتى أعرف ماذا يريد!
- لا داعي لذلك.. أخشى أن يستغل الأمر في إثباته عليك.
- هل تصدق أنني سرقت تلك الرواية؟

- أنا أثق بك، ولكن أعداء النجاح سيصدقون الكذبة ويروجون لها.. أنت تُشعِرهم بالعار لأنهم لا يستطيعون بيع مئة نسخة بينما أنت تبيع الملايين.. إنهم حُثَالة يجب مواجهتهم بكل قوة وحزم وتبجُّح.
- شريف.. أنا آسف على كل ما سببته لك.. حتى أنني..

قال مُقاطعًا:

- أنت من صنعت كل ما أنا فيه الآن، والفضل يعود لك وحدك، حولتني من ناشر نكرة إلى أكبر ناشر في الوطن العربي.. من ناشر يربح الفُتَات إلى ناشر يربح الملايين.. وصدقني لن يحدث شيء، وستمر الأزمة وكأن شيئًا لم يحدث مثل كل القضايا التي سمعنا عنها من قبل.

كلامه جعلني أشعر بالراحة بعض الشيء والكثير من الامتنان.. ولكن عندما تذكرت النسخة القديمة التي أُرْسِلت إليَّ أدركتُ أنني الوحيد الذي يعرف الخطر الذي أنا مُقبلٌ عليه.

*****

هناك حكمة تقول: «الجدار الذي لا تستطيع تفاديه، اصطدِم به بكل قوتك».

وأنا الآن مُجبرٌ على المواجهة وحتمية الوصول إلى حلول جيدة أخرج بها منتصرًا قاطعًا ألسن كل الشماتين.. كل شيء سينهار إذا لم أعالج الموضوع بحكمة وبأقل الأضرار.. صحيح أن كل القضايا المماثلة لم يحدث فيها شيء حتى من حكمت عليهم المحكمة بالسرقة.. لا أنا مشكلتي ليست في المحكمة والغرامات أو حتى السجن.. أنا مشكلتي بأن اسمي سيتلوث وسيظل هذا عاري طوال حياتي.

ظللت منزعجًا، والاكتئاب يهاجمني بلا رحمة، وأنا مستسلم له.. هل سينتهي كل شيء بهذه السرعة؟ يا لخيبة أملي.. أنا هكذا دائمًا منحوس وتستخسر فيَّ الدنيا أي فرحة.. هذه الحياة حقيرة..

أمسكت هاتفي ورحت أُقَلِّب في الأخبار وأتابع منشورات مواقع التواصل الاجتماعي عن تلك القضية السخيفة، وعندما مللتُ وجدت نفسي أبحث عن اسمها في قائمة أرقام الهواتف، ترددتُ قليلًا ولكنني استجمعت قوتي وطلبت مروة.. وسريعًا ما أتى لي أن الرقم لم يَعُدْ موجودًا بالخدمة، لقد غيرت رقم هاتفها، يبدو أنها كانت تتوقع أنني سأتصل بها، كم أنتِ حمقاء يا مروة، سأدعك تتعذبين هكذا في غيابي، ولن أحنو عليك مرة أخرى.. ولكنني الآن بحاجة لوجودك، أريد أن أستعيد بعضًا من قوتي..

أريد من يطمئنني.. بحثت عن حسابها على فيسبوك فكانت غير موجودة، يبدو أنها قامت بحظر حسابي.. لم أستسلم هناك حسابها على إنستجرام، وبالفعل كتبت لها أسأل عنها، فردت عليَّ بأنها تريد مقابلتي بعد ساعة من الآن ثم قامت بحظر حسابي، وقبل أن أغلق اللاب توب جذبني إشعار برسالة من حساب فيسبوك كان من حساب مجهول، ودار بيننا هذا الحوار كالتالي:

«مساء الخير، أنا مايكل الذي اتهمك بسرقة الرواية».

«أهلًا بك.. كنت أبحث عن وسيلة للتواصل معك».

«سأقابلك في أسوان».

«أسوان! ولماذا ليس هنا؟».

«يجب أن تكون هناك خلال يومين على الأكثر».

«لماذا؟»

«أنت الذي تريديني وليس أنا»

«كيف أصل إليك؟»

«سأرسل رسالة لك بها كل التفاصيل.. المهم أن تتحرك في أسرع وقت»

*****

ذهبت لمقابلة مروة بعد ساعة.. كان لقاء مُملًا، وكأننا لم تكن لدينا رغبة حقيقية في رؤية بعضنا بعضًا.. طلبنا عصير مانجو نرتشف منه باهتمام متحاشين الحديث، ولكنها بعد وقت طويل تمتمت:

- أنا تقدَّم لي عريس.
- وما رأيك به؟
- لا أعرف، ولكنني سأقابله الليلة.
- هل ترغبين في الزواج؟
- هذه هي النهاية الحتمية لكل فتاة.

هززت رأسي لها مُتفهمًا ما تطلبه.

- ماذا كنت تريد؟

قلت بإحباط:

- لا شيء..
- أرجو أن تكون متفهمًا الوضع الجديد.

هززت رأسي لها.. بينما نظرت هي في ساعتها وقالت:

- عليَّ أن أغادر الآن؛ لديَّ العديد من المواعيد المهمة.
- من الجيد أنني لم أعد من تلك المواعيد.

وتركتني ورحلت.. تركت ذهني مُشوَّشًا ومحتارًا، وقلبي من هلعه لا يحاول أن يُصدِّق ما وصل إليه.. ظللت جالسًا أفكر ثم أمسكت هاتفي، ومن القائمة السوداء رفعت الحظر عن الرقم ثم اتصلت به:

- أنا جاهز للحديث الصحفي.

*****

ردًا على اتهامات سرقة (مصيدة الكتاب الأزرق).. آدم وحيد القافلة تسير

الكاتب الأكثر إثارة للجدل، هو التوصيف الأنسب للروائي آدم وحيد.. روايته (مصيدة الكتاب الأزرق) حققت نجاحًا غير مسبوق في تاريخ الأدب العربي، كما أنها رواية استطاعت أن تفك ألغاز الماضي وتتنبأ بالمستقبل من خلال الكشف عن أسرار ومواعيد التفجيرات والعمليات الإرهابية التي استهدفت مصر في السنوات الماضية والسنوات القادمة.. رواية غريبة لم نعرف كيف كُتِبَت وكيف تنبَّأت بكل هذه العمليات الإرهابية، ورغم تجاهُل تام من المشهد النقدي والصحفي العربي لما يقدمه آدم وحيد، فقد فازت روايته (مصيدة الكتاب الأزرق) بجائزة رواية العام.. ولذا كان هذا الحوار مع مؤلف الرواية الكاتب المتميز آدم وحيد، في محاولة لقراءة تجربته الأدبية المتميزة.

في البداية يجب أن نتحدث عن الموضوع الذي أُثِير مؤخرًا حول الاتهامات بسرقة رواية مصيدة الكتاب الأزرق ؟

أنا لا يشغلني مثل تلك الاتهامات، هناك قضاء عادل سيحكم في هذه القضية، وحاليًا تركيزي مُنصبٌ على الانتهاء روايتي الجديدة والتي على وشك الانتهاء منها، وأعد كل قرائي بعمل استثنائي سينال إعجابهم..

رواية مصيدة الكتاب الأزرق ستكون كم جزءًا؟

هذه السلسلة سوف تصل إلى خمسة أجزاء ويمكن أكثر.

رواية (مصيدة الكتاب الأزرق) رغم قرصنتها، فإنها تتصدر قائمة الأكثر مبيعًا في كل مكتبات ومواقع الكتب في العالم العربي.. هل كنت تتوقع ذلك؟

لا أحد يتوقع النجاح ولا يستطيع أن يجزم به، خاصة في عالمنا العربي الذي يتم فيه تزوير قوائم الأكثر مبيعًا، بالإضافة لعدم الإفصاح عن حجم المبيعات.. فالجميع يقول إنه بيست سيلر، ولكن كم رواية تم بيعها؟ أرقام هزيلة جدًّا.. ولكن روايتي كما ترى حققت نجاحًا يستطيع الجميع تحسُّسه من مبيعات الكتب.

لماذا أنت مُقِلٌ في ظهورك الإعلامي؟

إنني أحب الهدوء، وأريد أن أركّز في الكتابة فقط، كما يكفني جدًّا أن تتحدث روايتي عني.. هذا أفضل بالنسبة لي، ولكل كاتب مجتهد وجاد.

هل تُوجد مفاجأة تريد أن تُخبِر بها جمهورك؟

نعم، تم بيع حقوق تحويل الرواية إلى فيلم سينمائي من إنتاج المنتج الشهير هاني عارف، وسوف يتم عرض الفيلم خلال هذا العام على منصة نتفليكس العالمية.[(4)]

[(4)] حديث صحفي نُشِر في جريدة الأدب والمستقبل الأسبوعية

- 3 -

الحياة ما هي إلا محطات متعددة، نمرُّ عليها حتى تنتهي حياتنا، وأنا الآن في أهم محطة في حياتي، ومهما حصل لن أغادرها إلا إلى المحطة الأكبر والأكثر نجاحًا.

ركبتُ القطار، وما لبث أن تحرك مُغادرًا المحطة منطلقًا نحو المجهول الذي ينتظرني، والخوف والقلق هما كل ما أملكه في هذه اللحظات المتوترة التي لم أعرف مثيلًا لها من قبل.

في بوفيه القطار جلست وطلبت فنجان قهوة.. العربة ليست مزدحمة وهادئة بعض الشيء. وضع النادل الفنجان أمامي وهو يبتسم ثم رحل.

تناولت كوب القهوة واِزْدَرَدَتُ بقيته، لم أشعر بمذاقه.. كان البن سيئًا ورخيصًا، نتج عنه سائل لزج مُرٌّ.. أخرجت علبة سجائري الميريت من جيب سترتي، ووضعت واحدة في فمي، ثم أشعلتها.. عندئذ نظرت في ساعتي وقبل أن أرفع نظري سمعت:

- لا تقلق الأمور الجيدة قادمة.

نظرت نحوه محاولًا تجاوز دهشتي.

- لن آخذ من وقتك سوى دقيقة واحدة.
- لا مشكلة.. تفضَّل.

جلس الرجل الغريب.. أطرق برأسه مفكرًا كأنه يبحث عن طريقة جيدة لمواصلة حديثه ثم سأل:

- السفر شاق عليك؟
- لا بأس به.. القطار مريح.. وسريع.
- لكن رحلتك لن تكون مريحة ولن تكون سريعة.

سألت منزعجًا:

- ماذا تقصد؟
- أعرِّفك بنفسي.. أنا الدكتور عزت الزناتي، أستاذ علم النفس في جامعة سوهاج.
- تشرفت بحضرتك يا دكتور.

- كنت أجري بحثًا حول الأشخاص الشاردين في المواصلات العامة ومدى علاقة ذلك بهمومهم اليومية.
- الكل لديه هموم يصعب التوقف عن التفكير بها..
- وأنا أعمل على نظريات تجعل عقل الإنسان يتوقف عن التفكير في الأفكار السلبية.

هتفتُ:

- عظيم..
- هل تسمح لي ببعض التطفل؟
- بكل تأكيد تفضَّل، لقد أثارت فكرة بحثك فضولي.
- وجهك مألوف بالنسبة لي.. هل تقابلنا من قبل؟

قلت بفخر:

- أنا الكاتب آدم وحيد صاحب رواية مصيدة الكتاب الأزرق الشهيرة.
- عذرًا لم أسمع عنها، فاهتماماتي كلها مُنصبَّة نحو الكتب العلمية والبحثية.
- الأدب دائمًا مظلوم مع العلماء.
- ليس كلهم.. ولكن أنا أشعر بأننا تقابلنا من قبل!
- لا أعرف، ربما.
- على كلٍّ ما أكثر شيء يشغل بالك؟
- بعض المشاكل الشخصية.
- ما يشغلك أسباب تتعلق بالأوهام الزائفة التي تجري وراءها.
- أي أوهام تقصد؟
- أنت تمارس في عقلك واقعًا مثاليًّا وتُجبر نفسك على العيش فيه.. وبمجرد أن يحاول أي دخيل زعزعة هذا العالم تُصاب بالخوف من انهيار كل شيء.
- لا، هذا غير صحيح.
- هذا رأيك وهذا رأيي.. استأذنك في الانصراف.

وهَمَّ واقفًا وهو ينظر في ساعته، فقُلتُ له:

- لكنني لم أعرف الكثير عن نظريتك؟
- في وقت آخر سوف أحكي كل شيء، ولكنني مُنشغل الآن، سنتقابل مرة أخرى.. اسمح لي بالانصراف.
- لا أعرف متى يمكن أن نتقابل ثانية فهذه أول زياراتي للصعيد..
- دع الحياة ترتب المقابلة التالية.. ما اسم الفندق الذي ستنزل به؟
- فندق هاي أوتيل.

واختفى من أمامي سريعًا بعدما أثار اهتمامي لدرجة لم أتوقعها.

*****

وصل القطار في الصباح الباكر، كانت المحطة شبه خاوية من الركاب، ولكنني وعلى غير العادة شعرت بالراحة وأنا أتنفس هواء هذه المدينة، إنه أحساس غريب يختلف كليًّا عن إحساسي عندما ذهبت إلى القاهرة أول مرة.. عندما تنزل في محطة مصر لا تشعر بشيء سوى الكآبة والهَمِّ الذي يكبس على صدرك.. وهذه طباع العواصم في كل مكان..

أخذتُ سيارة أجرة، وفي استرخاء رحت أتابع كل شيء حولي إلى أن توقفت أمام فندق قديم ومتواضع يُدعَى (هاي أوتيل) ذو وجهة كلاسيكية من الخارج، ولكن عفا عليها الزمن، فالطلاء أكلته الشمس وتساقط شظاياه على الأرض..

أما في الداخل فالمكان هادئ جدًّا والأثاث مُتهالك، وعدد النزلاء يكاد يكون معدومًا، وهذا جيد حتى أحصل على بعض الراحة والكثير من الخصوصية.. يا لغبائي! أيُّ راحة هذه التي أبحث عنها وأنا في ورطة إذ لم أخمدها ستنتهي حياتي إلى الأبد؟!

صعدت إلى غرفتي، لم أغيِّر ملابسي واكتفيتُ بتناول كوب من الماء، وجلست على السرير أستريح.. أحدِّق في سقف الغرفة وأفكر كيف سأقنع هذا الرجل بالتراجع عن قضيته سواء كان على حق أو لا.

طرق الباب ففتحت، طالعني شاب لم أعرفه، قدَّم نفسه سريعًا:

- أنا مايكل جورج.
- أهلًا وسهلًا.. كيف يمكنني مساعدتك؟
- أنا هنا من أجل أن أساعدك أنت.
- كيف؟!
- ألست في انتظاري؟
- مَنْ أنت؟

فقال مُعرِّفًا نفسه بتَهَكُّم:

- صاحب النسخة القديمة من روايتك.
- وماذا تريد؟
- هل سنتحدث هنا؟
- تفضَّل

دخل ثم أغلقت الباب.. انطلق حتى جلس على المقعد فجلست أمامه.

- كاتبنا الكبير أنت الآن على وشك فقدان كل شهرتك التي بنيتها في سنوات، هذا بالتأكيد شيء مُحزن، ولكن حتى تحافظ على كل ما وصلت له فهذا مُكَلِّف.
- كم تريد؟
- كلك نظر.
- أين أبوك؟.. أريد مقابلته.

ارتبك قليلًا، وقال:

- بالطبع سيقابلك.
- أين؟
- في أسوان.
- أسوان!! نحن الآن في أسوان.
- ولكن أي أسوان تقصد؟!
- لا أفهم إلى ماذا ترمي!
- ستفهم كل شيء في وقته لا تقلق.
- هل والدك حقًّا ينتظرني؟
- نعم، لا تتأخر عليه.
- عنوانه؟
- أنت ستعرف جيدًا كيف تصل إليه.
- كيف ذلك وأنا لا أعرفه من الأساس.
- ستعرف مكانه في اللحظة التي كتب لك فيها أن تقابله.
- لا أفهم شيئًا أرجوك كف عن لعب ذلك الدور معي لا أحب الألغاز.. أنا عقلي مُشتت ولا أستطيع استيعاب أي شيء مما تقول.
- لذلك يجب أن تهدأ.. فأنت ملك الألغاز والحَبْكَات المُعقَّدة.

تنهَّد آدم وهو خانقٌ مما يحدث له، ثم قال له مايكل:

- والآن أريد نصيبي.
- لم أفهم؟

فأوضح بمنتهى الصراحة:

- أريد مليون جنيه مقابل أن أسكت.
- ألم تقل لي بأنني سأقابل والدك؟
- نعم وهذا أمر خاص به، أما أنا فلي أعمالي الخاصة وأنت جزء منها الآن.
- ولكنني لا أملك هذا المبلغ.

- لكنك تعرف كيف تتصرف لتحصل عليه.

وغمز لي بعينه.. لم أفهم مقصده فقُلتُ بغضب:

- لن أتمكن من تدبير المبلغ.
- يجب أن تدفع إذا أردت أن يبقى هذا الحوار بيننا.

وأخرج هاتفه من جيبه وتابع:

- لقد قمت بتسجيل كل ما دار بيننا.
- أنت حقير.. أنا لم أسرق شيئًا.
- وهذا لا يفرق معي.. المال هو فقط ما أريد.
- لا تكن مُستفزًّا.
- أنت لص ويجب أن تدفع ثمن سرقتك يا أديب.
- قلت لك لستُ بِلِصٍّ.

وانفعلتُ عليه بشدة.. اندفعت مُزَمْجَرًا رافعًا يدي وهويت بها على وجهه فامتص الضربة بغضب شديد ولكمني بكل قوته في صدري، فأخذت الضربة وسقطت على الأرض.. التقطت أنفاسي، ولكنه سحبني من شعري وضرب رأسي في الجدار ودار بي في الغرفة زحفًا على بطني، ثم بركلة قوية من قدمه لرأسي جعلتني لا أشعر بعدها بأي شيء.

*****

عندما أفقت وجدت خدي الأيمن ملاصقًا لبلاط الغرفة وحول وجهي بركة صغيرة من الدماء.. رفعت نظري قليلًا ودارت عيني في المكان ثم تسمَّرت فزعًا.. جثة الشاب مايكل جورج أمامي وغزير الدماء يغرق المكان.. اختجلت عيناي عدة مرات وأنا أحاول أن أتذكر ما حدث ولكن عقلي لم يساعدني.. لا أتذكر سوى أننا تعاركنا فقط حتى أنه هو الذي ضربني.. هل تماديت في هذا العراك؟ لا أعرف ولكن النتيجة واضحة.

- لا تخف.

قالها صاحب الصوت وتقدم نحوي.. تطلعت به في حيرة وقُلتُ:

- مَنْ أنت؟

قال مُستنكرًا:

- أنا صاحب الفندق ألا تتذكرني؟

سألته بارتباك:

- ما الذي حدث؟
- لا شيء سوى أنك قتلت هذا المسكين.
- كيف؟
- كنت تتعارك معه وتطوَّر الأمر إلى أنك أمسكت به ورطمت رأسه بقوة في الجدار..
- هو مَنْ فعل هذا بي.. ألا ترى الدم الذي يتسرب من رأسي.

قلتها وأنا أضع يدي لألطخها بالدم الذي يتسرب من شعري.

- كف عن هذا الدور الذي تمارسه، لقد شاهدتك وأنت تقتله.
- دعه يهدأ.

ظهر رجل آخر قال جملته وهو يقترب منا، ثم تابع:

- إنه على وشك أن يُحْكَم عليه بالإعدام.
- إعدام!!
- هل تنتظر عقوبة أخرى للقتل المُتَعمَّد؟
- إذًا هي نهايتي.

وبكيت على حالي.

- الأمر يتوقف عليك.

توقفت عن البكاء وسألته بلهفة مَنْ رُمِي له طوق النجاة.

- ماذا تقصد؟
- ببساطة تتخلص من الجثة.

فكرتُ في الأمر، ولكنني قُلتُ في استنكار:

- كيف يمكن أن أفعل ذلك؟
- ترميها في النهر.
- وهل ينتهي الأمر بتلك البساطة؟
- نعم.. هذا الفندق لا يوجد به أحد سوانا، وطالما أننا لن نتكلم فلن يعرف أحد.

- كم تريد من المال؟
- الأمر أكبر من مجرد نقود.
- ماذا تقصد؟
- ستعرف كل شيء في وقته.. والآن لنتخلص من الجثة.
- مَنْ أنت؟

نظر لي وابتسم بثقة وقال:

- أنا.. سعيد سعيد

*****

الإنسان ما هو سوى مجموعة من الاختيارات.. وكل اختيار يترتب عليه مجموعة من المسارات التي يمضي بها دون وعي منه بالنهاية التي يقدم عليها.. ولكن لا مفر من سَلْك تلك الدروب والوصول إلى القدر المكتوب.

ساعدني صاحب الفندق في معالجة جروحي وربط رأسي.. كان وضعي بسيطًا، ثم وضع لي الجثة داخل (شوال من الخيش) الذي ربط عنقه بخيط سميك من القطن ثم وضعناه في السيارة.. وقبل أن أنطلق سمح لي باستخدام الحمام من أجل إزالة الدماء عن وجهي ويدي، وأرتدي قميصًا جديدًا بدل الذي تعكَّر بالدماء، ثم قال لي في صرامة وهو يقطب حاجبيه:

- بعدما ننتهي يجب تنظيف شنطة السيارة جيدًا.. لا يجب ترك أي أثر.. إنها فرصتك الوحيدة حتى تتخلص من هذا الكابوس وتنجو منه.
- ما اسمك؟
- شكري.. شكري السملوطي.

وصف لي المكان الذي سنذهب إليه.. مكان مهجور يطل على النيل يبعد عن المدينة قرابة 90 كيلو مترًا.. ركب معي السيارة، تولى هو القيادة.. حكى لي بعض الأشياء عن حياته المملة، وكيف أن الفندق لم يَعُدْ أحدٌ يأتي إليه لسوء الخدمة به، حيث مر بعدة تعثرات مالية بسبب لعبه للقمار وضاع كل شيء.. وأخبرني أنه ينتظر أن يلعب في يوم ما ويكسب ما يعوضه عن هذا الغُلْب.

لم يستغرق الطريق أكثر من ساعة ونصف الساعة حتى كنا في مكان مناسب للتخلص من الجثة في النيل واستعادة حياتي مرة أخرى، فتحت الشنطة وبمساعدته حملنا الجثة، كل واحد منا يحمل من اتجاه، هو يحمله من الرأس وأنا من قدميه،

تتعثر قدمي في أثناء السير لدرجة كنت سأقع على وجهي ولكنني تماسكت، شعرت بأحدهم يراقبنا فالتفتُ خلفي فلم أجد أحدًا، فأنا متوتر جدًّا وخائف، والوساوس تضرب رأسي بلا رحمة.. في عجالة رمينا الجثة في النيل.. ومن هنا لقطت أنفاسي المُتعبة وبدأ إحساس الراحة يسري في عروقي، ولم تنسني الفرحة أن نرحل من هذا المكان في لمح البصر.. فجأة ظهر شخص مُلَثَّم وفي يده مسدس مُصوَّب نحونا، وقال لشكري:

- ستترك لي السيارة.. وتبقى هنا لبعض الوقت.. ما رأيك؟

هزَّ شكري رأسه بالموافقة في استسلام، وتابع الرجل المُلَثَّم:

- هل تجيد العوم؟

هزَّ شكري كتفيه وهو لا يعرف إلى ما يرمي إليه.. لكن الرجل أوضح له سريعًا وهو يركله بقدمه في صدره فانقلب شكري على ظهره متألمًا، ثم انهال عليه بالضرب في وجهه، ثم أمسكه من يده وسحبه بكل قوته إلى أن أسقطه في النيل.. وضع يديه على ركبتيه يلتقط أنفاسه، ثم مَدَّ يده وتناول مسدسه الذي سقط منه ونظر نحوي وهو يبتسم:

- لا تقلق أنا هنا لمساعدتك.

- 4 -

ركبت معه السيارة، لم يكشف عن وجهه ولم يخبرني مَنْ هو، ولكن حذرني من أن أعود إلى الفندق، وطلب مني أن أذهب معه، ولكنني رفضت على الفور دون تفكير.. كنت كل ما أرغب به أن أعود إلى القاهرة في أسرع وقت ممكن.. لم يَعُدْ هناك رغبة في مشاهدة المزيد من الجثث.. انتهزت توقفه ليضع الوقود في السيارة ففتحت الباب ونزلت هربًا منه، لكنه لم يتبعني.

ذهبت إلى فندق آخر لكي أبيت به وأختفي عن الأنظار قبل السفر، حيث إنني لم أجد أي وسيلة تنقلني إلى القاهرة في هذا الوقت المتأخر.

لقد مَرَّ بي يوم لم أمر بمثله في حياتي، ودعت الطمأنينة، وركبني الهَمُّ الثقيل وها أنا مُقبلٌ لا محالة على الهلاك.. الهروب ليس حلًّا، ولكن في وضعي هذا هو أفضل الحلول.. ربما يحالفني الحظ وتُسجَّل القضية ضد مجهول.. وإن عثروا على الجثة فلا أحد يعرف أنني ذهبت إلى أسوان سوى شريف.. أما سعيد وشكري -إذا نجى من الموت- فلا أعتقد أنهما سيبلغان عني وإلا فَلِمَ ساعداني؟.. ولكن هل كانت المساعدة دون مقابل؟

في الصباح جهزتُ نفسي للرحيل.. أفطرت ودفعت الحساب، وقبل أن أغادر قال لي عامل الاستقبال إن أحدهم ترك لي جوابًا، فقرأته. كان مكتوب به:

«أنا في انتظارك لمناقشة موضوع سرقتك لروايتي.. لا تتأخر».

وترك لي العنوان والموعد حتى أذهب إلى مقابلته.

كُنت محتارًا أن أذهب إليه وأحل تلك المشكلة أم أغادر وأهرب قبل أن يعرف أنني من قتل ابنه، ولكن قُلتُ لنفسي سيستغرق الأمر بضعة أيام حتى تطفو الجثة على السطح وحينها أكون قد حللت تلك المشكلة ثم أغادر وتعود حياتي لطبيعتها.. يبدو أنني أحببت المغامرات.

وضعت يدي في جيبي أخرجت منه الجواب وقرأته مرة ثانية، وسألت أحدهم عن كيفية الوصول إلى هذا العنوان فدلَّني.. إنها فرصتي الأخيرة حتى أقفل هذا الموضوع إلى الأبد، وأعود إلى القاهرة منتصرًا.

*****

ظللت أسير حتى وجدت نفسي في مكان أقرب إلى الغابة والممر الممهد للسير به ببرك ماء لا تُعَد ولا تُحْصَى، ومع سطوع أشعة الشمس شعرت بالضياع وقلة الحِيلة، لم يزعجني

انتهاء البنايات، وظهور المساحات الخضراء الشاسعة حولي، فالمكان أشبه بالجنة.. بدأت أشجار الصنوبر والكستناء في الظهور تدريجيًّا، بينما المنحدرات تجرف قدمي إلى المجهول.
عبرت سلسلة من الطرق الالتفافية المنحدرة، ثم تابعت سيري.. كانت الطرق تتشعب عند كل انعطافة، وكان عليَّ أن أختار في كل مرة طريقًا من بين عدة طرق.. ثم أجد نفسي وسط عشب طويل يصل إلى ساقي، ومع الصوت الذي يصدر من احتكاك بنطالي مع العشب كنت أرتجف.. أخذ لهاثي يتزايد من دون أن أجرؤ على التوقف، شيء ما كان يجبرني على المواصلة دون تفكير.
خطر في بالي أنه حلم، ولم أعرف كيف أثبت ذلك حتى أخرج منه.. لقد تعبت وقبل أن تخور قواي لمحت في الانعطافة الأخيرة شخصًا يقف وهو يبتسم لي في سرور.

بمجرد أن اقتربت من العجوز الذي يلوح لي بيديه قُلتُ مندهشًا:

- معقول أنت؟
- نعم.. هكذا الدنيا ضيقة.
- أنت من قابلني في القطار.. واسمك على ما أتذكر دكتور عزت الزناتي.

فأوضح مبتسمًا:

- وساعدتك في التخلص من صاحب الفندق أيضًا.. هل اعتقدت أنك هربت مني؟

- 5 -

- مَنْ أنت؟
- اسمي سليمان الحافي.. آسف إن كنت قد كذبت عليك.. ولكن كان هذا في مصلحتك.. ألم يخبرك إمبابي؟

ظللت مذهولًا لا أتحرك.. وطلب مني الدخول أولًا إلى الكوخ الخاص به فدخلت.. قدَّم لي الشاي ارتشفت منه رشفة، وهو يبتسم، فقلتُ له:

- هل يمكن أن توضِّح لي ما يحدث؟
- أخبرني إمبابي أنك قادم إلى أسوان على الرغم من أنه نصحك بالهروب، فكان يجب أن أتتبعك حتى أنقذك مما أنت مقبل عليه، ولكن في اللحظة التي كنت على وشك أن أخبرك وجدتهم خلفك يتابعونك.. فانسحبت حتى لا ألفت نظرهم لي.. وظللت أراقبك حتى وصلت إلى الفندق، ثم شاهدتك وأنت تقوم بنقل الجثة في السيارة وتلقي بها في النيل.. كان يجب أن أظهر في هذا التوقيت وأنقذك لأنهم كانوا سيأخذونك إلى الجحيم.. وعندما هربت مني راقبتك بهدوء حتى لا نثير الشبهات، وحينما ذهبت إلى الفندق كانت فرصة جيدة أن أترك لك رسالة.
- هل كنت تراهن على مجيئي؟
- نعم.. وإذا لم تأتِ كنت سأخطفك.. لأن هنا أفضل مكان لك بعيدًا عن أنظارهم.
- ولماذا تتبعني؟
- أليس أنت مَنْ سرق الرواية؟

باغتني بسؤاله ففهمت ما يرمي إليه، فسألته:

- كم تريد؟
- المال لا يلزمني.. ليس هو غايتي، ولن يكون.

فَصِحتُ غاضبًا:

- هل أصبح الجميع لا يحب المال وليس غايتهم؟

فنهرني قائلًا:

- لا تنفعل عليَّ، أنت في بيتي.

فقلتُ مُتداركًا الأمر:

- أنا آسف.. ولكن ابنك قال لي إنه يريد المال، بل الكثير من المال.
- ابني؟! ليس لي أبناء.
- نعم! ولكنه قال لي إنه أبنك.. وأنك ستقابلني.
- لا أحد هنا يعرفني.

صمت قليلًا، وقال وهو يهزُّ رأسه.

- كما توقعت، كانت خطة، وكنت على وشك أن تقع في المصيدة.. أتوا بك إلى أسوان ثم ورطوك في جريمة قتل حتى تكون لقمة سائغة في فمهم.. يبدو أنهم كانوا يخططون لشيء كبير من أجلك.. شيء أكبر من قتلك.
- مَنْ هم؟
- ستعرف كل شيء في وقته.
- ومتى يأتي هذا الوقت؟
- عندما تهرب من هنا.
- لم أفهم لماذا أهرب؟!
- أنت الآن مُطاردٌ من لعنة هذه الرواية التي كتبتها أو التي سرقتها، على كلٍّ لن تفرق، النتيجة واحدة، يجب أن تهرب.
- لعنة! أي لعنة تقصد؟
- لقد ورطت نفسك مع هذه الرواية المحظورة.
- محظورة.. محظورة مِنْ مَنْ؟ أنا لم أعد لا أفهم أي شيء.
- ولن تفهم أبدًا، إن عبء الحياة أثقل عبء قد تواجهه طوال حياتك، ولذلك عليك أن تهرب الآن.
- إلى أين؟
- أي مكان بعيد عن هنا.. أي مكان تكون فيه بأمان.
- مثل ماذا؟
- الإسكندرية مثلًا مكان جيد.. فكلما ابتعدت كان هذا أفضل لك.
- ولكن هل يمكن أن توضِّح لي ممَّن أهرب؟ حكى لي إمبابي أشياء غريبة.
- يجب أن تصدق كل كلمة قالها لك.
- أنت تزيد حيرتي وخوفي..
- سأخلد للنوم.. لماذا لا تنام أنت أيضًا؟ فأنت لم تنم منذ مدة طويلة، والأيام القادمة لا نوم بها.
- لكنني أريد أن أفهم أولًا!
- لن تفهم شيئًا إلا عندما تستيقظ في الصباح وتهرب من هنا.

نظرت نحوه مثل الأبله، فتابع حديثه:

- يجب أن تنام جيدًا قبل أن تسافر غدًا..
- لا أريد النوم.. أريدك أن تشرح لي ما يحدث.

وتابع حديثه دون أن يهتم بكلامي.

- ولو كنت جائعًا يجب أن تأكل.. العشاء هذه الأيام ليس رفاهية.
- كلامك غامض وغير مفهوم.
- بهذه الطريقة ستكون سجينًا لمخاوفك.. نصيحة لا تبحث بين السطور ولكن خذ الأمور كما هي بسطحيتها.

لم يعطني أي جواب شافٍ على أسئلتي، ولم يترك لي سوى الهواجس التي أضفتها على هواجسي.. وتركني واستلقى على سريره، ثم جذب الغطاء على جسده كله حتى رأسه، ولم تمضِ لحظات حتى كنت أسمع صوت شخيره.

- 6 -

استيقظت هربًا من كابوس مزعج، حاولت التماسك وأنا ألتقط أنفاسي وأمد أطراف يدي لأمسح عرقي.. وقلتُ لنفسي: طبيعي أن أحلم بالكوابيس وأنا في مثل هذه الظروف.

نظرت حولي، كان الصباح قد أتى، لكنني لم أجد الرجل العجوز في مكانه، فقمتُ للبحث عنه، فلم أجد سوى كشكول أزرق قديم به ورقة عندما سحبتها كان مكتوبًا بها: «**خذ الدفتر، إنه لك؛ من أجل الجزء الثاني من عملك**».. هذا العجوز لا يضيف لي سوى المزيد من الغموض.. تلخبط كل شيء داخلي وازداد القلق والخوف مما أقحمتُ نفسي به.. لماذا يحدث لي كل هذا؟ أريد أن أعود إلى البيت وأنام وأرتاح.. ولم يكن أمامي سوى أن أشعر باليأس لأن هذا ما يتناسب مع هذا الموقف، وقبل أن أهم بالرحيل وجدته داخلًا عليَّ.

- هل كنت سترحل قبل أن أودعك؟
- أنا خائف ولم يعد عندي أي طاقة لتحمُّل المزيد.

رَبَتَ على كتفي، وقال:

- سنرحل الآن.. سأوصلك إلى محطة القطار.. ونصيحة مني لا تلتفت إلى كل ما حدث هنا.. ارمِ كل شيء خلف ظهرك وامضِ في طريقك.
- وماذا تقصد بهذه الورقة التي وجدتها في الدفتر القديم؟
- عندما تعود إلى البيت وتهدأ اقرأه، وأنا واثق بأنك ستأخذ القرار الصحيح.

*****

الأمور السيئة أيضًا تنتهي.. مَنْ كان يصدِّق أنني سأخرج من كل هذا على قدمي.. إنه الحظ وأيُّ حظ هذا؟.. يبدو إنه يوم حظي.. نقلني إلى محطة القطار، وودعني ثم قال محذِّرًا:

- لا تعد هنا مهما حصل.

وسألته مستفسرًا:

- لماذا تساعدني؟
- الأمر مُعقَّد ولا يمكنني شرحه بسهولة.. ولكن أنا أعرف أنك مظلوم وفي الوقت نفسه مُستهدف.. هناك مَنْ يريد توريطك في العديد من المشكلات.

- مُستهدف مِنْ مَنْ؟؟
- صعب أن أخبرك الآن، ولكن أنا معك لحمايتك.
- وضِّح أكثر، لا تتركني هكذا.
- من الرواية التي تكتبها أو التي سرقتها.
- لا أعرف ما حكاية تلك الرواية.. ولكن أنا مستعد أن أتوقف عن الكتابة حتى أتخلص من هذا الكابوس.
- بالعكس يجب أن تستمر وتستمر إلى أن تنتهي منها، وعندها كل شيء سوف يتوقف من تلقاء نفسه.. ولا تنسَ الدفتر الذي أخذته مني هو ملكٌ لك، افعل به ما تريد.

وتركني ورحل.. لقد جن جنوني من هذا الحديث الغامض، الكل يتحدث بغموض شديد ولا أعرف ما الذي يجب عليَّ فعله!

دخلت المحطة وحجزت مقعدًا، وفي أثناء سيري اصطدمت بأحدهم فقال مُعتذرًا:

- أنا آسف.

ثم حدَّق بي لبُرهة كمن يشبه عليّ، وتابع:

- آدم وحيد؟

هززت رأسي له، فعرَّف نفسه قائلًا:

- الضابط مجدي المهندس.

ارتبكت، ولكنني تداركتُ ذلك ومددتُ يدي وسلمتُ عليه.

- تشرفت بحضرتك.
- الشرف لي، لقد قرأت روايتك وأنا مُعجب جدًّا بها.
- هذا شرف كبير لي أن تنال روايتي إعجاب رجال الأمن.
- هل أنت عائد إلى القاهرة؟
- نعم كنت في حفلة توقيع.
- إذا سنُسلي بعضنا إلى أن يأتي القطار.

كان لا يزال على موعد وصول القطار أكثر من نصف ساعة، فجلسنا في قهوة المحطة، وطلب مجدي فنجانين من القهوة.

- من أين أتيت بهذه المعلومات التي ذكرتها في روايتك؟

- إنها مجرد خيال لا أكثر.
- لكنه خيال يقرأ الماضي بذكاء ويتوقَّع المستقبل بكل وضوح.
- مجرد ضربة حظ.. لم أكن أقصد أي شيء.
- وما تفسيرك لحدوث نفس العمليات الإرهابية في الواقع كما حدثت في روايتك.
- الأمر بسيط ربما هناك جماعة إرهابية أُعْجِبت بالرواية وقررت محاكاتها على أرض الواقع كما يحدث في الأفلام.
- هذا احتمال قائم بكل تأكيد.. بل احتمال أكثر منطقية.

ثم سألت في استنكار:

- هل أنا مُتهمٌ في شيء؟
- لا.. أنا فقط أستفسر منك عمَّا يدور في ذهني كأحد قرائك ومعجبيك.
- يا له من شرف لي.
- هل كنت تتوقع نجاح الرواية بهذا الشكل؟
- النجاح جزء كبير منه معتمد على الحظ، وعلى غير العادة وقف الحظ معي في البداية، وكنت مستعدًّا بما يكفي حتى أدفعه نحوي باستمرار.
- هل الشهرة مناسبة لك؟
- الشهرة مناسبة لكل كاتب.. نحن نكتب للجمهور وبالتالي نريد الشهرة.. ومن يقول عكس ذلك مجرد حمار.
- في فترة ما في حياتي كنت أتمنى أن أكتب مذكراتي وأنشرها، ولكن كما تعرف منصبي الحساس لا يسمح بذلك.
- دائمًا هناك قيود.
- القيود عليَّ أكثر من غيري بحكم المكان الذي أعمل به.
- كنت أتابع قضية ذلك الشاب الذي كان يَدَّعِي أنه قتل السادات.. في نهاية الأمر لم أتعاطف معه.
- التعاطف من عدمه ليس مهمًّا.. المهم تحقيق العدل والأمان.

هززت رأسي له مُؤمِّنًا على كلامه.. وفي أقل من دقيقة كان القطار يتوقف في المحطة:

- أتمنى أن أراك مرة أخرى.
- ألن نركب معًا؟
- لا.. ستكون في عربة وأنا في عربة أخرى.. أنت تعرف موقعي الحساس لا يسمح بأن يشاهدني أحد معك.

هززت رأسي مُتفهمًا، وقبل أن نركب همس لي:

- أنا في انتظار الجزء الثاني من الرواية لا تتأخر علينا.

ابتسمتُ له وقلتُ:

- سيكون ذلك قريبًا جدًّا.

- 7 -

حياة المسافرين دائمًا تتشابه، الكل يمتلك تقريبًا نفس الملامح ونفس الشرود، والحياة بطبيعتها لا تهني بال أحد، الكل مهموم ويفكر في العواقب، ولكني عندما دخلت القطار شعرت بأن الحياة قد عادت لي أخيرًا، وأن هناك ساعات قليلة فقط تفصلني عن الخروج من هذا الكابوس المزعج.

- هذا مقعدي.

انتبهت إلى الصوت القادم بجواري كانت فتاة في العشرينيات من العمر تحدق بي وفي يدها تذكرة، ولم أعرف ماذا عليَّ أن أقول لها بالبلاهة التي ظهرت على وجهي.. فأوضحت جملتها:

- هذا مقعدي كما تشير تذكرتي.

ارتبكت ثم قلت:

- لا مشكلة أعتذر، يبدو أني لم أركز في رقم المقعد الخاص بي.

وقمت تاركًا المكان، وبدأت أحدق في أرقام المقاعد حتى عثرت على مقعدي وجلست به فاتحًا ظهر المقعد على اتساعه حتى شعر جسمي بالراحة وحاولت إغماض عيني.. ولكن ارتعاش وتوتر الفتاة التي بجواري أربكني.. ودار في ذهني سيناريوهات عديدة ربما كانت هاربة من أحدهم.. أو قتلت شخصًا ما.. أو قامت بسرقة شيء مهم.

- لو سمحت يا أستاذ؟

فتحت عيني نحو مصدر الصوت فطالعتني الفتاة التي تجلس بجواري، في العشرينيات من العمر يبدو عليها الخوف والتوتر، وقالت لكي تزيل علامات الدهشة عن وجهي بلكنتها المحلية:

- كم ساعة يستغرق الطريق؟

ابتسمت لها ببرود وقلت:

- نحو 11 ساعة على ما أظن.. وربما أكثر.

هزَّت رأسها، وقالت:

- شكرًا لك.

وجدتها فرصة لفتح باب للحديث بهدف التسلية فسألتها:

- هل هذه أول زيارة للقاهرة؟
- نعم.. ولا أعرف أي شيء هناك.. لذلك أنا مرتبكة قليلًا.
- ستكون الأمور على ما يرام.. هناك مكان معين ستذهبين إليه في القاهرة؟
- لا.. سوف أذهب للبحث عن عمل بمجرد أن أصل.
- هل أنتِ محترفة في عمل ما؟

قالت بحزن:

- إنها أول مرة لي، ولكن أي عمل أستطيع القيام به.
- الأمور في القاهرة ليست بتلك البساطة التي تعتقدينها.. أين كنتِ كل هذه السنوات؟
- هاربة من أهلي.. يريدون أن يزوجوني بشخص لا أحبه.
- والقاهرة مكان مثالي للهرب.. ما اسمك؟

ارتبكت قليلًا واحمرَّ وجهها وقالت:

- دعاء.. اسمي دعاء.

ابتسامتها سحرتني، وعلى الرغم من نحافة جسدها وقصر قامتها؛ فإنها كانت جذابة تشع أنوثة، إنني أرتاح في النظر إليها، فقد كانت لها طريقة غير اعتيادية في جذب انتباهي، لم تكن متصنعة، بل كانت تلقائية وبسيطة، لذا أبهرتني.

وطوال الطريق تعرفنا على بعضنا، تحدثنا عن الأدب والفن والرياضة، لم يكن لديها خلفية عن أي من هذه المجالات، مما زاد إعجابي بها، فيمكن تشكيلها كما أريد، وجال بخاطري: «أيُعقل أن يكون في هذا العالم مَنْ لا يعرف أي شيء عن كل رفاهيات الحياة؟».. لقد أنستني حقًّا كل كوابيسي، وكل ما حدث لي..

*****

في اليوم التالي وصل القطار، وقبل أن أودِّع دعاء ساعدتها في الحصول على هاتف محمول بالخط رخيص الثمن، وتبادلت معها الأرقام، ودللتها على سيدة ستوفِّر لها عملًا مناسبًا في وقت قليل.

بالسيارة الأجرة عدتُ إلى المنزل، ولم يكن أمامي أي خيار سوى أن أنام، كنت أعاني من الصداع والإعياء نتيجة السفر الطويل.. وضعتُ الدفتر التي أخذته من العجوز سليمان الحافي على الطاولة، وذهبت إلى المطبخ أضع قرص الفوار في نصف كوب ماء، وانتظرت حتى انتهى من الفوران وتناولته دفعة واحدة، ثم خرجت مُتجهًا إلى غرفة نومي، حاولت النوم ولم أستطع، هاجمني الأرق والنوم المتقطع، وفي النهاية أتت الكوابيس المُزعجة.

تركتُ السرير بعد منتصف الليل وخرجت إلى الصالة.. كان لديَّ إحساس ثقيل بالكآبة ومزاجي أصبح في أسوأ حالاته، جلست على كرسي الأنتريه.. إنه شعور مُقبض أن أتذكَّر كل ما حدث لي في رحلة أسوان، وعلى الرغم من محاولاتي المضنية حتى لا أفكر فيما حدث؛ فإن عقلي يخونني ويستمر في التفكير.. جلبت زجاجة نبيذ وبدأت في الشرب لعل ذلك ينقذني من لعنة التفكير، شربت كأسًا، ثم لفت نظري الدفتر الذي أخذته من سليمان الحافي.. أمسكته، كان مكتوبًا على غلافه بخط صغير المسودة 107 الجزء الثاني.. فتحت أول صفحة على مضض وقرأت، ولكنَّ شيئًا ما جعلني أكمل تلك السطور العجيبة.. إنه يكتب مثل شياطين الكتابة.. فتنني أسلوبه.. ولم أتركه إلا وأنا قاضٍ على كل سطوره.

لقد أعطاني العجوز مذكرات كاملة بها كل شيء أتمناه، أعتقد بأنه كل ما ينقص مسودتي الأولى، بل إنها التكملة المثالية للجزء الأول من رواية مصيدة الكتاب الأزرق، ولكن هل من الممكن أن يصبح توارد الأفكار بهذا التطابق؟

فكرت كثيرًا وبعدما فشلت من الوصول لسبب منطقي أخذني عقلي للتفكير في شيء آخر، وظللت أفكر حتى فجأة لمعت الفكرة في رأسي، واستقر عقلي على أنها الحل الوحيد أمامي، ثم أمسكت هاتفي واتصلت بالناشر شريف، وقلتُ له:

- لقد أنهيت روايتي الجديدة.. الجزء الثاني من رواية مصيدة الكتاب الأزرق.

- 8 -

الكابوس لا يريد أن ينتهي..

بدأ ناشري شريف في تجهيزات الرواية الجديدة بداية من المراجعة اللغوية وصولًا إلى تصميم الغلاف، ولكنني لم أكن مبسوطًا، كنت أشعر أنني سارق، وأنني خنتُ شرف الكتابة، ولكن كنت أردُّ على نفسي بأنهم اتهموني ظلمًا بسرقة شيء لم أرتكبه، ولم يسمعني أحد بل استعد الجميع للنَّيل مني، ولكن هذه حرب وأيًّا كان الأسلوب الذي أتبعه يجب أن أنتصر..

استقبل هاتفي رسالة كانت من سعاد لم أرد عليها وتجاهلتها.. وبعض لحظات رنَّ هاتفي ظننت أنها هي ولكن تخميني لم يكن في محله، كانت دعاء، قالت لي إنها تريد مقابلتي في أمر مهم، فاتفقنا على ميعاد في تمام الخامسة مساء، ثم اتصلت بسعاد لأطمئن عليها وطلبت مقابلتها، واقترحت السابعة مساء، فكان مناسبًا لها.. وحتى تحين هذه المواعيد، جلست خلف مكتبي أكتب النبذة التي ستُكْتَب على ظهر الرواية، لم أستغرق وقتًا طويلًا حتى فكرت وكتبت:

«كاتب عديم الموهبة حققت روايته الأولى نجاحًا ساحقًا، وتصدرت قوائم الأكثر مبيعًا.. لكن سريعًا ما تتحول تلك الرواية إلى لعنة تجعل حياته على المحك.. فترى ماذا تحتوي هذه الرواية حتى تجعله هدفًا مطلوبًا للشرطة ولجماعة إرهابية غامضة؟ في إطار من التشويق والغموض تدور أحداث الرواية».

*****

في الموعد كنت في انتظارها.. لقد تأخرت ومن عادتي لا أحترم مَنْ يتأخر على مواعيده.. يا لها من سخيفة مثل كل الفتيات.. لكن إعجابي بها يلغي ذلك، إنها فتاة أحلامي.. أشعر بأنني أخيرًا عثرت عليها.

في الماضي كل الأشياء التي كنت أحلم بها ليل نهار عندما تحققت لم أشعر بِلَذَّتِها، كانت باردةً، ولم أكن سعيدًا بها كما كنت أتصوَّر، فدائمًا الأشياء صعبة المنال نتصور أنها كل ما ينقصنا، وأن حياتنا دونها تكون سيئة، ولكن في الحقيقة أن ما ينقصنا هو أن نعرف أنه لا شيء ينقصنا على الإطلاق.

بعد نصف ساعة أتت دعاء.. حكت لي بأنها وجدت عملًا جديدًا مؤقتًا، وهي الآن سعيدة ولا تبحث سوى عن السعادة والشغف.

- تتحدثين وكأنك وُلِدتِ من جديد.
- بالفعل أنا الآن لديَّ حرية الاختيار.. لديَّ ميزة القبول والرفض لأي شيء في حياتي.
- هل كانت أسرتك متشددة؟
- بل البيئة التي وُلِدتُ بها.. كل شيء بها يجعلنا مثل العبيد.
- إذًا هي فرصة لتعرفي هنا معنى الحرية الحقيقية.

ابتسمت لي وصمتنا قليلًا ثم قلتُ لها:

- سأسافر إلى الإسكندرية لمدة أسبوع وربما أكثر.
- هل لديك حفلة توقيع؟
- لا.. أنا ذاهب إلى الاستجمام.

لم يعجبها ما قلت، ولكنها حاولت أن تخفي ذلك من ملامح وجهها، فأوضحتُ لها:

- إنني أمر بفترة عصيبة.. وأريد أن أبعد لبعض الوقت.
- أتمنى أن تكون بخير.
- سنكون على تواصل دائم.

انشرح وجهها وقالت بابتسامة وهي تهتف:

- بالتأكيد.

*****

لم أخبر أحدًا غيرها أنني مسافر.. أرسلت لي سعاد رسالة أخرى وكالعادة تجاهلتها.. منذ أسابيع، وهي لا تكف عن مطاردتي، وأنا سئمت ذلك.

سافرت إلى الإسكندرية للاستجمام والبُعد كما طلب مني سليمان الحافي، ولكن هناك شاهدت صورتي في الجريدة، وتعرضت للهجوم من قِبَل مجهول داخل سيارتي، ثم تم نقلي إلى المستشفى، وعندما عدتُ إلى القاهرة تم القبض عليَّ بتهمة قتل شريف رشدي والتخطيط لكل العمليات الإرهابية التي تحدث في البلاد.

وفي أثناء نقلي للسجن اعترضت عربة الترحيلات التي كنت بها عربة تريلا ضخمة ومن خلفها وقفت عربة جيب نزل منها ثلاثة مسلحين فتحوا النار على كل من الحراس والضابط والسائق، وفي خلال دقائق كان الباب الخلفي للعربة يُفتح ويطلب مني أحدهم أن أتحرك بسرعة بينما بقية المساجين قال لهم محذراً:

- من الأفضل ألا تهربوا.. حرصًا على سلامتكم.

نزلت معه، فدفعني نحو السيارة الجيب وقال لي:

- اركب.. لا يوجد أمامنا وقت.

فركبت وفي خلال دقائق تحركت التريلا ثم السيارة الجيب مبتعدتين عن المكان.. لقد تم تنفيذ العملية بمنتهى السلاسة والبساطة.

داخل السيارة أزال الجميع الأقنعة فعرفت قائدهم على الفور، إنه سعيد سعيد الذي قال مطمئنًا:

- لا تخف أنا لن أسبب لك أي أذى.. لم تعد بيننا عداوة من الآن فصاعدًا.
- وما الذي يضمن لي ذلك؟
- لم أعد مُكلَّفًا بالتخلص منك.
- ومن الذي كلفك؟
- لا يهم.. المهم أنك الآن حر طليق ويجب أن تثبت براءتك وتحافظ على حياتك.
- ماذا تقصد؟
- لن أستطيع أن أقدم لك أي نصيحة أنت من ستقرر الحياة التي تناسبك.

وتركني في مكان آمن وقال لي:

- لقد انتهت مساعدتي لك.. تصرَّف بحكمة وحاول أن تختبئ لفترة من الزمن حتى تهدأ عيون الشرطة عنك.. ثم بعدها افعل ما تراه صحيحًا.

*****

لساعات طويلة ظللت مختبئًا.. ومرَّ يوم والثاني حتى مرَّ أسبوع كنت لا أخرج سوى لشراء الطعام.. وعندما أوشك المال على النفاد اتصلتُ بدعاء، وطلبت مقابلتها في مكان غير عام..

في المساء كنت معها، خائف وألتفت كثيرًا حولي، كأن الجميع قد عرف أنني مجرم هارب، وهي لاحظت ذلك فقالت بلُطف:

- لا تحاول أن تثير الانتباه.. تعامل على طبيعتك.. أنت لست أخطر مجرم في مصر حتى يطاردك الجميع..

- لا أعرف لماذا يحدث معي كل هذا.. هل تصدقين أنني بريء؟
- نعم.. ولكن لديَّ فضول في معرفة ما حدث لك حتى أستطيع مساعدتك.

فحكيت لها بإيجاز ما مررت به ومثلما نصحني سعيد نصحتني أن أختبئ.

- أين؟ لا يوجد لديَّ مكان آمن.

فكرتْ لثوانٍ ثم قالتْ:

- أعرف مكانًا مناسبًا.

أوضحت لي بأن العمارة التي أمامها توجد بها شقة خالية وصاحبها يريد تأجيرها في أسرع وقت، كما أن سعرها معقول جدًا.. بِتُّ في شقتها حتى اليوم التالي.

ذهبت هي إلى مالك العقار في بيته فطلب منها شهرين مقدمًا وشهر تأمين، فدفعت له ما طلب ثم أخذت منه المفتاح..

وقبل أن أذهب الى الشقة أصرَّت دعاء على أن تذهب بمفردها إلى السوبر ماركت لتشتري بعض الطعام الذي يكفيني لأسبوع، ثم صعدنا معًا إلى الشقة.. بمجرد دخولنا جذبتني دعاء من يدي ثم نظرت مليًا في عيني، ولم تنتظر أي إشارة حتى كانت تحتضنني وتُقَبِّل شفتي، وكل مكان في جسدي، ودخلنا رأسًا الى غرفة النوم، وبِخِفَّة خلعت كل ملابسها، وقالت:

- لا بُدَّ أن تتخلص من جميع توترك.

#مسودة

في اليوم التالي اكتفت دعاء بمكالمة هاتفية معه، وأعربت فيها عن أسفها عمَّا حدث بالأمس.. كانت تريد أن تشرح له بأنها ليست مُومسًا، هي فقط غارقة في حبه.. صحيح أنها لم تُصرِّح له بالجملة الأخيرة، ولكنها واضحة في كل تصرفاتها ونبرة صوتها، لكن في قرارة نفسها لم تكن تعرف، هل ألَحَّتْ عليها مهنتها القديمة أم أن شعور الحب هو مَنْ يفعل ذلك بها.. أغلقت معه الخط وراحت تُجهِّز لنفسها كوبًا من القهوة الجاهزة.

كانت الحرارة عالية والرطوبة في أقصى مدى لها، خرجت إلى الشرفة التي تتمتع بجوٍّ مُنعشٍ ومعتدلٍ طوال الوقت.. لفت انتباهها إضاءة إحدى النوافذ المقابلة لها في الشقة التي يسكن بها آدم، وبدا لها بأنه شجار عنيف بينه وبين رجل آخر.. وعلى الفور نبهها عقلها بأن آدم في خطر وأنها يجب عليها مساعدته.

قفزت داخل بنطال وقميص، وسحبت هاتفها وحافظة النقود من على طرف السرير ووضعتهما بجيبها وانطلقت مهرولة، جرت بكل ما تستطيع حتى تخرج من العمارة التي تسكنها وتعبر إلى داخل العمارة المقابلة.. لم يكن المصعد يعمل فلم تفكر وانطلقت برشاقة تقفز على الدَّرج بخفة مرَّت خلالها بأربعة طوابق، ولم يتبق لها سوى طابق واحد، ولكن صوت الرصاص خرم أذنها، وأصابها بالصعقة فصرخت بهلع كالمجنونة حينها كان سكان العمارة والعمارات المجاورة قد بدأوا في الاستيقاظ.. فأكملت صعودها حتى أصبحت على عتبة الشقة وقبل أن تدخل وجدت القاتل يُشْهِر مسدسه نحوها، ولولا سرعة بديهتها لأصابتها الطلقة في رأسها.. وراحت تهبط كل ما صعدته في لمح البصر قبل أن تطولها رصاصة طائشة أخرى.. لم تكن لديها خطة محددة للهرب، ولكنها نزلت مهرولة نحو الشارع، وراحت تجري قرابة الكيلو متر حتى مرت سيارة أجرة وتوقفت لها لتركب وتنطلق مبتعدة عن الخطر مؤقتًا إلى أن توقفت في إشارة المرور، ومن بعيد شاهدته ينطلق نحوها بسيارته ولكن ظهرت له سيارة أخرى فاصطدم بها، فكانت فرصة لترك السيارة وتهرول نحو إشارة هنا مترو الأنفاق.

قفزت السلالم في سرعة كالبرق ووسط الازدحام الكثيف على الرصيف دخلت حتى تتوارى عن نظر القاتل، لم يمر سوى دقيقتين وأتى المترو، ركبت بسرعة وعلى أحد الأعمدة أسندت ظهرها لترتاح، ولكن من بعيد وقبل أن يتحرك القطار كان القاتل قادمًا نحوها.. لقد توقفت كل خلايا مخها ولم تعد تعرف ماذا تفعل، ولكن في اللحظة المناسبة أُغْلِق الباب وتحرك المترو.. وعيناه تنظر نحوها وعلى وجهه ابتسامة ماكرة.

أخرجت هاتفها وطلبت آدم عدة مرات ولكنه لم يرد عليها، فقررت أن تتصل بالجهة الوحيدة التي تستطيع إنقاذه إذا كان على قيد الحياة.

- ألو.. بوليس النجدة أريد أن أبلغ عن جريمة قتل.

#مسودة

وعلى غفلة ظهرت أمامه سيارة أخرى حاول أن يحيد عنها بأقصى استطاعته فدارت منه السيارة، فقد على إثرها التحكم، وانقلبت عدة مرات إلى أن اصطدمت في عمود إنارة.

وتجمَّع المارة سريعًا حول السيارة وبدأ أحدهم في مساعدتهم على الخروج من السيارة التي يتصاعد منها الدخان؛ ظنًّا منهم بأنها قد تنفجر في أي لحظة كما يحدث في الأفلام ولكن هذا لم يحدث..

لم يستغرق المسعفون وقتًا طويلًا حتى حملوهم داخل عرباتهم وانطلقوا بهم إلى المستشفى.

قرر الأطباء بأنه مصاب بكسر في الترقوة وكسر في الضلع وكسر في الفقاريات تي4 وتي5 وإل1 وإل2 في العمود الفقري.. ما تطلب عملية جراحية ودعامة للظهر ليرتديها لمدة 3 أشهر بعد العملية الجراحية.

لقد كان تعافيًا صعبًا مع ليالٍ كثيرة بلا نوم تتطلب المزيد من المسكنات القوية حتى تخمد الألم، ولكن ألم فراق زوجته وطفلته لم يستطع أي مُسكِّن أن يخمده ولو لمدة ثوانٍ.

ومع مرور الوقت تم اكتشاف أنه مُصاب بعدوى في الدم.. لقد رفض جسده الشرائح المعدنية التي تم وضعها من أجل إصلاح العمود الفقري.. ما تطلب إجراء جراحة أخرى من أجل إزالتها، وقضى 3 أشهر في تناول المضادات الحيوية عن طريق الوريد ثم عن طريق الفم.

لم يتذكر مجدي الكثير عندما أفاق على سريره داخل المستشفى سوى شيء واحد؛ أن زوجته كانت على وشك أن تضع مولوده.. فَهَمَّ بالنهوض من مكانه ولكن جسده العاجز أبقاه كما هو.. فاستسلم وضغط بطرف إصبعه على زر استدعاء الممرضة التي أتت سريعًا وهي تجري، وقالت له:

لا تقلق كل شيء بخير..

أريد أن أطمئن على زوجتي أنها على وشك الوضع.

إنها بخير، لا تقلق.

وطرق وائل الباب ودخل.

حمدًا لله على السلامة يا باشا.

هل زوجتي بخير؟

تردد وائل قليلًا، ثم قال:

شد حيلك.. البقاء الله.

لم يتمالك مجدي نفسه، ولأول يُظْهِر أمام أحدهم ضعفه ويبكي كما لم يبكِ من قبل، ولكن لن يبكي بعدها أبدًا.

وفي يوم خروجه من المستشفى جاءه بوكيه من الزهور الحمراء قدمته الممرضة له.. التقط الكارت المُعلَّق بين الزهور وقرأ ما به «أستطيع أن أدلك على قاتل زوجتك.. في حالة لو كان لديك رغبة حقيقية في الانتقام».

مصيدة الكتاب الأزرق

الفصل 3

أرض جديدة

الآن هو وحيد.. وسيظل هكذا إلى الأبد.

خرج عبد ربه من السجن مغتصبًا ومكسورًا.. لم يعد يستطيع رفع عينيه في عين أحد.. الكل عرف بما حدث له داخل المعتقل ويتهامسون به بينهم من خلف ظهره.. دُمِرَت حياته ولم يعد له أي جرأة على مواجهة الحياة مرة أخرى.

انقطع عن الدراسة لفترة لازم خلالها غرفته.. حتى شريف زميله في الغرفة اختفت أخباره ولم يعد يأتي إلى الغرفة.. اعتقد حينها أن ما حدث معه هو السبب.. فكيف يسكن مع شاب تم هتك عرضه ولم يتستر عليه أحد..

في يومٍ ما قرر جمع أغراضه وفي جوف الليل رحل.. شَدَّ الرِّحال إلى الخليج.. عمل هناك وتعلَّم الكثير من أمور الدنيا والدين.. واكتسب حب القراءة، كان يقرأ في كل المجالات وبلا توقف.. وتدريجيًّا تعرَّف على إحدى الجماعات الدينية، ولم يمضِ وقتٌ طويلٌ حتى كان منضمًّا إليهم ويصبح واحدًا منهم.. امتلأ رأسه بحلم الخلافة والقضاء على الطُّغاة.. وأتت له فرصة للسفر إلى أفغانستان، وهناك شارك في العديد من العمليات الإرهابية، وعندما تم وضعه على قائمة المطلوبين ترك كل شيء وعاد إلى مصر هاربًا.

*****

وقبل بزوغ الفجر كان في محطة القطار ينتظر.. بالتأكيد لن تكون وجهته نحو الشرق حيث قريته وأهله الذين يتذكرون ما حدث له في أيام الجامعة.. كما أنه لا يزال يتذكر ما قاله ابن عمه: «لا تأتِ البلد مرة أخرى حتى لا تجرسنا». لذا حوَّل وجهته نحو الجنوب إلى أرض جديدة وحياة جديدة يبدأ فيها من الصفر دون أن يطارده الحاضر ولا الماضي الذي لن يتخلص منه للأبد.

ورمى كل شيء خلف ظهره وانطلق في رحلته بعدما جمع عددًا لا بأس به من الكتب وحقيبة طبية صغيرة بها بعض الأدوية والمعدات التي ربما يحتاجها، وبحمار اشتراه ظل طوال سنتين ينتقل به من بلد إلى أخرى، ومن قرية إلى نجع، ولم يجد الراحة التي يبحث عنها فقرر أن يخوض رحلة بحماره في أعماق الصعيد صعودًا نحو الجبال والمنحدرات.. بدأ الأمر بصحراء تمتد إلى ما لا نهاية في كل الاتجاهات، خالية تمامًا لا يمكن أن يكون أحد وضع فيها قدمًا من قبل، ومن بعيد لم يكن يرى سوى الجبال التي تلوح في الأفق والتي اعتقد أنه إذا سار قليلًا سيصل إليها، ولكنه كلما سار ابتعدت عنه.. ظلَّ هكذا يسير لأيام حتى خارت قوته وشعر بدوخة مع المزيد من اليأس والتعب حتى الطعام قد نفد، ولم يبق سوى القليل من الماء.

جلس وسمح لنفسه بأخذ رشفة من الماء، ولكن الدوخة والصداع يضربان رأسه بلا هوادة فاستسلم في لحظة غباء، وشرب ما تبقى من الماء، تفحص الصحراء ونظر إلى الشمس التي تشوي رأسه كَمَنْ يطالع وجه جلَّاده للمرة الأخيرة، ولم يَعُد أمامه أيُّ حلٍ آخر سوى أن يواجه نهايته بكل شجاعة.. تحمَّل يومًا ثم يومًا آخر، ولكن في اليوم الثالث أُغمى عليه وسقط كالجثة الهامدة.

*****

فتح عينيه هذه المرة فوجد نفسه نائمًا على شوال من الخيش في منزل متهالك من الطين، وبجانبه رجل عجوز مُمدد بجواره.. فحاول إيقاظه وهو ينكزه بأطراف أصابعه حتى استيقظ وقال له:

- أين أنا؟
- أنت في قرية شجرة الفيل.. وجدناك فاقد الوعي.. وبقيلك أسبوع على هذه الحال.

فجأة دخلت عليهم فتاة وهي مفزوعة، وقالت وهي تلتقط أنفاسها بصعوبة:

- يا شيخنا الحق لقد وقع كبيرنا.

قام العجوز من مرقده مُنتفضًا وتبعها، وتبعهم أيضا عبد ربه ليتعرَّف على المكان الذي وجد نفسه به.. كان كبير القبيلة مُغمى عليه.. كشف عليه العجوز وقال بحزن:

- مجرد وقت وينتهي كل شيء.

كسر عبد ربه الحاجز وتجاوزهم.. مَدَّ يده إلى كبيرهم وجَسَّ نبض يده المتورمة، ثم فتح عينيه ونظر داخل فمه ومسح على جبهته، فكان العرق يبللها بكثافة وقال بانزعاج:

- إنها غالبًا أزمة قلبية..
- يعني إيش؟
- حصل تجلط في الدم مما يمنع وصوله للقلب.. إذا لم يُعالج في خلال وقت قليل سيموت.. كان معي حقيبة صغيرة.. كانت على الحمار.
- عايز تسوي إيه يا ولدي؟
- سأحاول معالجته.

أمر العجوز بأن يأتوا له بالشنطة.. وعلى الفور فتح حقيبته وأخرج منها أمبول وسرنجة معدنية سحب بها المادة التي بداخل الأمبول، ثم أمسك ذراعه ودَسَّ سن الإبرة المُدبب في عروقه، ودفع ما داخل السرنجة في جسده.

بعد خمس ساعات بدأ في استعادة وعيه.. لم يحدث أن شاهدت هذه القبيلة أحدًا يعود من الموت، مما ذاع صيته بين أهالي القرية، وقرر البقاء معهم حتى شفاء مرضاهم من أغلب الأمراض التي كانت تصيبهم.. ويومًا بعد يوم كان تقديس الناس له يزداد والإيمان بمعجزاته لم يعد محل شك.

*****

بعد عام سافر سرًّا في رحلة للحج.. زار خلالها بيت الله الحرام ثم ذهب تهريبًا إلى أفغانستان. قابل هناك معلمه، الذي قال له مبشرًا:

- يا عبد ربه عثورك على هؤلاء الناس ليس محض صدفة، بل أرسلك الله لهم حتى تُعرِّفهم دينهم.

فصاح عبد ربه مُعترضًا:

- إنهم لا يعرفون شيئًا.. ولا حتى النبي الذي بُعِث فيهم.
- وهذا دورك أن تعرفهم وتهديهم إلى طريق الحق والخير.

- إنهم الآن يقدسونني في الطب.. مؤمنون أنني أشفي أي مريض..
- وفي المرحلة التالية يجب أن يؤمنوا بأنك تستطيع فعل أي شيء.. في كل أمور حياتهم.. ويؤمنوا أنك مخلصهم ومنقذهم الوحيد من هذا الوحل والتخلف الذي يعيشون فيه.. تعلمهم أمور الحياة وتفقههم في دينهم، والأهم تمكنهم من الحديث باللغة العربية السليمة.
- وما الهدف من ذلك؟
- أن تكون هذه القرية أول وتد حقيقي في دولة الخلافة.. بلدة تنشأ تحت راية الإسلام الصحيح.. وتخضع لكل تعاليم الله.. وفي يوم ما في التوقيت المناسب يظهرون للنور ويتولون السيطرة على كل أمور البلاد.

هزَّ آدم رأسه مُستحسنًا كلامه.. ولوهلة تخيَّل نفسه خليفة المسلمين لكنه عاد للواقع سريعًا، وسأل في قلق:

- ولكن تطبيق هذا ضرب من خيال.. لا يمكن أن نصل إلى هذه المرحلة بسهولة.
- كنت قد أخبرتني أن القرية بها الكثير من الآثار؟
- نعم.. مقابر لا حصر لها.
- وأنا بدوري سأساعدك في بيع هذه المقابر وبالنقود التي نحصل عليها سأرسل لك التسليح اللازم.. والفائض ستستعمله في تجنيد مَنْ ترى فيه الخير لخدمة هدفنا.

الساعة 11:11

أحيانًا من الأفضل ألا نعرف

مصيدة الكتاب الأزرق

الفصل 7

البداية

كان عليها أن ترضى بهذا النَّصيب.

ستصبح بعد قليل ملكة ولها عرشها، وسيغدو عالمها مثاليًّا، لا تشوبه شائبة، ستكون الرفيقة والزوجة لأهم شخص في العصر الحالي والقادم، وسيتحقق لها كل ما تحلم به.. إنها على وشك دخول جنة الأرض.. هكذا كان يعتقد كل سكان قرية (شجرة الفيل) ولم يكن لديهم أي شك في هذا.

لم تحب دعاء من قبل، ولم تعرف ما هو شعور الغرام.. قضت حياتها تعرض جسدها للرجال، ولكنها كانت تهرب من أشعارهم وكلماتهم المعسولة، ولكن الشيخ عبد ربه بكل ما له من هيبة وحضور لم تتمكن من الهرب من نظراته، ولا سطوته، وعندما طلبها للزواج قائلًا:

- يبدو أن الحياة نبتت مرة أخرى في جسدي، منذ رأيتك وقلبي يخفق فرحًا بِطَلَّتك البهيَّة، أعرف أنني كهلٌ عجوزٌ وأنت شابة يافعة، ولكن رؤيتك في المنام أفقدتني صوابي، أنا وقعت في غرامك وأريدك لي وحدي.

لم تستطع أن ترفض، أو حتى تأخذ وقتًا لتفكر، إنه سيد القرية وضياؤها الذي ينير الطريق للجميع لينقذهم من الضلال إلى النور المبين.. هو القائد والمُلهم والسند والمنقذ.

واليوم وفي هذه الأجواء الأقرب إلى البدائية أُقِيم حفل الزفاف الذي انتظرته القرية كلها.

الشيخ عبد ربه الشمالي يقع مرة أخرى في فخ الحب، ويقرر الزواج، لم يفعلها من قبل سوى مرة واحدة رغم أنه لو أراد لنال ما تمنَّى دون حساب، ولكنه كان يريد

الحب ولا أحد سيفهم الحب إلا من ذاق عذابه.. لطالما تمنَّى ألا ينهي حياته بهذا الشكل أعزب بائسًا ووحيدًا، ولكن الحب أتى، وعندما يأتي الحب فعلى الدنيا السلام.

*****

هذا العُرس بهذه الأجواء الإسلامية تُذكِّرك بأشياء جميلة مضت، الرجال في الساحة يسمعون الأناشيد الدينية -والتي أغلبها مُستلهمٌ من التراث الإسلامي - والنساء في الدار الواسعة يرقصن ويصفقن حول العروس التي تبتسم لهم خجلًا، تلك الازدواجية التي لم يفهمها عبد ربه طوال حياته، رغم أنه هو مَنْ وضع تلك القواعد، وكان حريصًا على الالتزام بها مهما حدث.. وضع دستوره وكتابه الذي سماه الفاتح العظيم، شرح لهم فيه كل شيء يخص حياتهم لو أنهم يعرفون أحدًا من الأئمة الأربعة لقال لهم أنا الإمام الخامس عبد ربه الشمالي، ولكنهم لا يعرفون ولا يسمعون عن أحد غيره فكان متنازلًا في حقوقه، وقال لهم: «أنا الإمام الأوحد، ولا أحد سواي أدرى بهذه الدنيا وتعاليمها أكثر مني».

إن عبد ربه مثالي، وكل ما في القرية مثالي.. إنه يطبق العدل بأم عينه، هل رأيت العدل من قبل؟ هنا الكل يحب بعضهم بعضًا دون أن يحملوا أي ضغينة ولو مثقال ذرة، حب دون مصالح أو حاجة.. حب من أجل الحب، فالأخ يحب لأخيه ما يحبه لنفسه، والغني يعطي للفقير عن طيب خاطر، لا أحد يسرق ولا أحد يحقد ولا أحد يعرف الكذب.. لقد خلق عبد ربه جزءًا صغيرًا من الفردوس على الأرض.

مرَّ الوقت سريعًا ومرَّ معه كل طقوس الزفاف، وحان الآن أن يأخذ العريس عروسه ويذهبان إلى بيت الزوجية.. إنها تجربة مثيرة وغريبة عليه، ولكنه منفتح ليخوض التجربة ويستمتع بتفاصيلها.

طلب عبد ربه من كل مَنْ يعمل في داره أن يرحلوا الليلة ويتركوه هو وعروسه فقط.. رغم سنوات عمره السبعين؛ فإنه كان قلقًا من ليلة الدُّخلة وراودته هواجس كثيرة حول الفشل، وإذ لا قدر الله حدث ذلك يجب ألا يعرف به أحد.. صورة عبد ربه في قلوب الناس يجب أن تظل مثالية ولا يمسها أي سوء.. هو طاعنٌ في السن ومن الطبيعي أنه سيفشل ولكن المنام الذي رأى فيه دعاء وهو يجامعها يطمئن قلبه بعض الشيء فرؤيا عبد ربه دائمًا حق.

لم يلمس امرأة من قبل إلا واحدة -يقال إنه أنجب منها طفلًا لا أحد يعرف إذا كان على قيد الحياة أم مات لكن الأكيد أن لا أحد متأكد من وجوده - فحاول أن يخفي ارتباكه وهو يمسك يدها، وتنفَّس في عمق ليهدئ من ضربات قلبه، قادها إلى غرفته الخاصة، التي لم يدخلها أحد من قبل، هو ينظفها بنفسه ويرتبها، وإذا تطلب الأمر أن يحمل الأمتعة على ظهره، ويضعها في الشمس الحامية حتى تحمص كان يفعل ذلك دون تردد أو خجل.. إنه للأسف شخص بسيط، ويحب المشاركة ولم يتعالَ على أحد قط.

ابتسمت دعاء له خجلًا وهي تجلس على طرف السرير، فقال في محاولة لتبديد تلك الأجواء المُربكة:

- إن أفضل شيء نفعله الليلة هو أن نصلي.

قالت في تردد:

- لا أحب الصلاة.

فقال غاضبًا وهو يشيح بيده:

- إياكِ أن تقولي هذا، الصلاة هي نور القلب ودونها نضل ونُفْتَن.
- لم يعلمني أحدٌ من قبل..
- كيف ذلك؟ أين كنتِ تعيشين؟ يبدو أنني أهملت في رعاية رعيتي.

أخذ نفسًا عميقًا محاولًا التخلص من غضبه وتأنيبه لنفسه، وبنبرة هادئة مع ابتسامة طفيفة قال لها:

- أنا سأعلمك كل شيء، سأعوضك عن غياب الأب والأم.. خلال شهور قليلة ستكونين مثل أمهات المؤمنين، ويكون لك شأن عظيم في هذه القرية الصالحة.

طرق أحدهم باب المنزل ففتح عبد ربه بانزعاج، طالعه عثمان أحد رجاله المقربين.

- عذرًا مولانا أنني طرقت بابك في هذا الوقت.. لكنك عودتنا أن بابك متاح في أي ساعة لكل محتاج..

هزَّ رأسه له مُؤمِّنًا على كلامه.. فتابع عثمان:

- أحدهم بحالة خطيرة وعلى وشك الموت ونريدك أن تنقذه.
- جهِّز لي ملابسي وأنا سآتي له في الحال.

نفَّذ عثمان ما طُلِب منه، ثم عاد عبد ربه لعروسه وقال بفرح:

- إنها لَزِيجَةٌ مباركةٌ.. أتعرفين معنى أن أذهب لإنقاذ روح أحدهم؟ والله إنه رضا لا أستحقه.

وتركها ورحل.

*****

كان أحدهم مُصابًا بإغماءة سكر، كشف عبد ربه عليه سريعًا بالسماعة الطبية ثم أخرج حقنه الأنسولين من حقيبته الطبية وغرس سنها المدبب في ذراعه، وقال لهم:

- ربع ساعة على الأكثر وسيعود إلى الحياة كما كان.. بل أفضل مما كان.

جلس أهل المصاب تحت قدميه وقالوا:

- لا نعرف ماذا كنا سنفعل لو لم تشملنا برحمتك.
- أنتم تحت رحمة الله.. وأنا لا أفعل شيئًا سوى أنني أبعد الناس عن الضلال المبين، الله يمنحني العلم لأساعدكم.. وما أُوتِيتُ من العلم إلا قليلًا..

بمجرد أن انتهى عبد ربه من جملته كان المصاب يفيق ويُحرِّك يده.. فرح كل مَنْ كان في الغرفة الصغيرة المتهالكة، وهللوا ثم سجدوا على قدم عبد ربه يقبلونها ويشكرونه على ما صنع من أجل رجلهم الوحيد.. كانوا قد اعتقدوا أنه ذهب مع مَنْ يذهبون ولن يعود مرة أخرى.

*****

عاد عبد ربه لعروسه سعيدًا ومُنتشيًا، فسألته دعاء:

- هل وفقك الله؟
- نعم، إن فضله عليَّ لا يُحصى..

دون تردد أخذها في حضنه، لم يعرف هذا الشعور من قبل.. فهو لم يلمس جسد امرأة منذ زمن طويل، كان قد نسى ملمسه.. شعر بالراحة والسكينة وهو يتحسس أجزاء جسدها بأصابعها، وعندما قبَّل شفتيها شعر بالدَّم ينتصب في عروقه فرماها على السرير، وخلع كل ملابسه وملابسها.
لم يستغرق الأمر طويلًا.. كان يلهث من فرط التعب، لم يفعلها من قبل بهذه المتعة ولم يكن يعرف لماذا توقف عن فعل ذلك طوال السنوات الماضية، ولعن في سِرِّه زيت الكافور وقال لها:

- لا كافور بعد اليوم..

فسألت في خبث:

- وماذا يفعل الكافور؟
- يحرمني من المتعة.

ابتسمت له وارتمت في حضنه حتى نام من التعب.

انتظرت حتى تأكدت أنه غارق في النوم ثم قامت من جواره ومدَّت يدها إلى فستانها المنزوع على الأرض، فتشت بداخله حتى أخرجت منه سكينًا قبضت عليه بيدها المُرتعشة، بينما صدرها يتنفَّس بحِدَّة، بعد قليل استجمعت ما تبقَّى بداخلها من قوة وهبطت بحد النَّصل في صدر عبد ربه، وقبل أن يُصْدِر أي صوت أسكتته بطعنة ثانية. رمت السكين بجوار جثته.. ولم تستغرق كثيرًا في التفكير وهي تحدق في الدماء التي تتسرب من جسده، وقامت على الفور بارتداء ملابسها.
عندما همَّت بالوقوف صدمها ظِلُّه المائل على الجدار، رفعت عينيها نحوه بقلق، فحدجها يحيى بنظرة بلهاء وقال وهو يبتسم:

- يحيى لا يحب الدماء.

- ٥ -

لا يتذكر كم مرة تم رفض رواياته.. ربما يتخطى الأمر عشر مرات، ولا يعرف لماذا عندما أتت له رسالة البريد الإلكتروني بالرفض انزعج، وغضب بشدة من ذلك، رغم أنه مُعْتَاد على الرفض؛ فإنه في كل مرة كان يشعر بالإحباط وكأنه الرفض الأول.

هو في الحقيقة مُصَابٌ بمرض الأمل، وكان يمنِّي نفسه في كل مرة بأنه في هذه المرة سيفعلها وسيُعجب الناشرين رغم أنه في قراره نفسه يعلم جيدًا أن هذا لن يحدث؛ لأنه ببساطة كاتب فاشل، والمشكلة أنه يدرك ذلك والجميع يدرك ذلك أيضًا، لكنه يحلم ولا شيء يملكه في حياته غير الحلم الذي يرمي نفسه به ويتخيَّل أنه أصبح بين عشيةٍ وضُحاها كاتبًا مشهورًا يفوز بالجوائز وتُترجم أعماله لكل لغات العالم ثم يلتقطها المنتجون، ويحولونها إلى أعمال سينمائية استثنائية لتفوز بجوائز الأوسكار، والسعفة الذهبية في مهرجان كان السينمائي.. وبما أن الأحلام لا سُلطة لأحد عليها فهو يحلم بما يشاء وينال ما يستحق.
كان يضع آدم أمام عينيه أن أفضل الروايات تُكتب بعد سن الخمسين؛ لذا فرصته لم تنتهِ خاصةً أن ما رفض له هي أربع روايات فقط.. وهو لا يزال في الأربعينيات من العمر، أي أنه لا يزال أمامه فرصة حتى تنضج الأحلام وتتحقق.
إحقاقًا للحق رغم كل هذا الرفض الذي تعرض له لم يفكر في مرة أن يذهب برواياته إلى ناشري بير السلم الذين يتقاضون أموالًا مقابل النشر.. كان يراهم حثالة لا يستحقون أن يهتم بهم، ومع ظهور حالات النصب المتعددة منهم كان يشكر الله أنه لم يتعامل معهم.

في الصباح يعمل آدم محاسبًا في إحدى شركات الملابس، وكان يحرص كل الحرص على ألا يعرف أحد أنه كاتب أو حتى يحب الكتابة، كان يقول لنفسه: «في اللحظة التي ستبتسم لي فيها الحياة سأرمي كل ذلك خلف ظهري».. تخرج في كلية التجارة التي لم يحظَ فيها بأي شيء يُذكر سوى أنه أحب فتاة كانت مُولعةً بالكتب، وكانت تقع في غرام المؤلفين، ومن أجل أن يلفت نظرها نحوه ادَّعى أنه يُؤلِّف القصص والروايات، وبما أنه كاتب لا يبرع في أي شيء سوى حفظ عناوين الروايات، ومطالعة ملخصات بسيطة عنها حتى يفهم عما تدور حوله، وكان هذا بالنسبة له كافيًا حتى يُقنع نفسه بأنه لم يعد بحاجة إلى قراءتها.

كان يتحدث بشغف عن نجيب محفوظ وماركيز مع أنه يعرف أسماء أعمالهما بصعوبة ولكنه يعرف كيف يقنع مَنْ أمامه بأنه قد قرأ لهم كل شيء قد كتبوه، فمطالعة المراجعات على (جود ريدز) والمقالات النقدية التي تُنشر في الصحف تكفي ليكوِّن وجهة نظر لا بأس بها حول أي كتاب أو كاتب، بل تُمكِّنه من مجادلة أي أحد مهما كانت درجة ثقافته.

وبما أن الفتاة كانت تعجب بأي شخص مُثقَّف فكان من السهل عليها أن تتركه وتمضي مع غيره، سببت له هذه القصة جرحًا مُؤلمًا لم ينطفئ إلا عندما تسلل خلفها في يوم ما وهي تسير بمفردها، ودون أن ترى أثره، سكب محلول مادة التيزاب على وجهها، ثم انطلق يجري وهو مبتسمٌ وسعيدٌ، لقد وضع حدًّا لتلاعبها بقلوب الأغبياء من أمثاله.

لا يعرف لماذا مرت هذه الذكريات في عقله وهو يفكر ماذا يكتب في الجزء الثاني من روايته الجديدة التي ينتظرها الملايين.. هو الآن لا يقلق من مشاكلة اللغوية أو النحوية أو حتى الإملائية فهناك جيش من المحررين والمراجعين كل مهمتهم أن يحولوا كل حرف يكتبه إلى شيء صالح للقراءة، ولكن المشكلة لا تكون دائمًا في اللغة فهي أمر هامشي في رحلة الكتابة، بل الأهم كيفية بناء العمل وهيكلته بطريقه جذابة تثير إعجاب القُرَّاء.. فالأدب والفن كما كان يقول: «خُلِق للتسلية وليس لحصص اللغة والصور البلاغية».

رنَّ هاتفه، كان شريف رشدي، فقال له مُحذِّرًا:

- إياك أن تأتي لحفل التوقيع متأخرًا.
- سأكون في الموعد.. أنا الآن أرتدي ملابسي.. لن أتأخر هذه المرة.

وبمجرد أن أُغلق الهاتف ثم رنَّ جرس الباب.

*****

عقب انتهاء حفل التوقيع الناجح بكل المقاييس غادر آدم المكان سريعًا بعد حديث قصير مع ناشره شريف.. خرج إلى الشارع بحثًا عن المكان الذي ترك به سيارته الجديدة ولكن بمجرد أن ضغط على زر الفتح، أصدرت السيارة صوتًا مُميزًا جعلته يقترب منها خلال لحظات وقبل أن يَهمَّ بفتح الباب والدخول بها لاحظ ورقةً بيضاء مطويَّة تحت مساحة الزجاج الأمامية.. مَدَّ يده في استغراب وفتحها وجد بها جملة واحدة كانت كفيلة بقلب يومه رأسًا على عقب، كانت «**رغم أنه من المفترض أن يكون هذا أفضل يوم في حياتك؛ فإنني أحب أن أخبرك بأنه سيكون أسود يوم مَرَّ عليك وأنت حي.. استعد لأسوأ كوابيسك**».

*****

- هزار سخيف.. لا تهتم به.

هكذا قال له شريف عندما اتصل به وهو عائد في سيارته ليخبره بما هو مكتوب في الرسالة التي وجدها، وقال له أيضًا:

- ارمِ كل شيء خلف ظهرك، أنت الآن أهم كاتب في مصر، ومن الطبيعي أن يكون لك حاقدون.
- ولكن أنا قلق..
- هذه ورقة لا قيمة لها لا تشغل بالك بها مطلقًا.
- هل تعتقد ذلك؟
- نعم بكل تأكيد.. كل ما في الأمر أن المجانين من المعجبين يريدون لفت نظرك لا أكثر.

وعندما عاد إلى المنزل جاءه تهديد آخر: «**أنت الآن لص ونجاحك لن يطول بمجرد كشف حقيقتك إلى الناس.. سأقلب حياتك إلى جحيم مثلما قلبتها على مَنْ سبقك**».

شعر آدم في تلك اللحظة بأن عالمه على وشك أن ينهار، وأن عليه أن يستعد جيدًا لما هو قادم.

ما أخفاه في شهور قد يظهر في لحظة غير محسوبة ويدمر كل نجاح قد حققه..

*****

وقبل أن يغلق اللاب توب جذبه إشعار برسالة من فيسبوك.. كانت من حساب مجهول، ودار بينهما هذا الحوار كالتالي:

«مساء الخير، أنا مايكل جورج الذي اتهمك بسرقة الرواية»

«أهلًا بك.. كنت أبحث عن وسيلة للتواصل معك»

«سأقابلك في أسوان»

«أسوان! ولماذا ليس هنا؟»

«يجب أن تكون هناك خلال يومين على الأكثر»

«لماذا؟»

«أنت الذي تريديني وليس أنا»

«كيف أصل إليك؟»

«سأرسل رسالة لك بها كل التفاصيل.. المهم أن تتحرك في أسرع وقت»

****

عاد إلى المنزل مهمومًا وموجوع العقل والقلب لم تكن مقابلة مروة سوى مزيد من فتح الجرح القديم الذي لا يريد أن يَنْدَمِل حزنًا على ضياعها.. جلس في البيت يدخن سيجارة وراء الأخرى يحاول أن يطرد الهواجس التي تزحف في رأسه، فكل أحلامه التي بناها في الأيام الماضية قابلة الآن للنَّسْف، وبالتالي يتدمر مستقبله الأدبي بعدما تدمر قلبه ورفضته مروة، حبه الوحيد.. أربكه رنين جرس الباب، وازداد ارتباكه عندما فتح الباب ولم يجد سوى ورقة ملقاة أمام قدميه، التقطها بقلق وقرأ ما بها وكان كالتالي:

«**نتقابل اليوم الساعة 1 بعد منتصف الليل في منزلك.. لا تنم**».

بالطبع لن ينام.. ولن يتوقف عن التفكير في كيفية مواجهة ما هو مُقبلٌ عليه بكل شجاعة، بمبدأ يا قاتل يا مقتول، فمن أجل النجاح الذي حققه هو مستعد لفعل أي شيء.. فليس هناك أي خيار ليعود إلى نقطة الصفر ويخسر كل شيء.. فإما أن يبقى في المقدمة أو يضيع في الخلف مع آلاف الكُتَّاب الذين يضيعون يوميًّا.

لقد أتى النجاح من حيث لا يدري، يطرق بابه دون استئذان، ويمنحه ما كان يريده بلا حساب. وبما أنه كان مستعدًّا تمامًا لتلك اللحظة فلم يدعها تفلت منه، واستغلها بكل ما أُوتِي من فطنة ودهاء.

قديمًا لقد عانى من صراعه مع حقيقة فشله واعترافه المستمر به لنفسه إلا أنه في يوم ما في البيت القديم الذي كان يسكن به، وجد كشكولًا قديمًا مُدوَّنًا به ما يشبه المذكرات، أقل ما يقال عنها إنها ساحرة لم يعرف لها مثيلًا، ودارت الأفكار في رأسه لِمَنْ هذه المذكرات؟ ولماذا تركها هنا؟ وعندما بحث ومَلَّ من البحث لأكثر من عام أيقن أنها فرصته الوحيدة حتى يضع قدمه على أول الطريق.. أخذ المذكرات وقام بإعادة كتابتها وصياغتها بشكل جيد مع تعديلات بسيطة ثم دفع بها إلى سعاد زوجة الناشر شريف -والتي تعرَّف عليها في جلسات العلاج النفسي التي كان يذهب إليها سابقًا- والتي بدورها أجبرت زوجها على قراءتها.. يومها -على حسب ما حكت له سعاد- لم يصدِّق شريف ما يقرؤه، فهو لم ينم حتى انتهى من آخر سطر في المسودة، وقرر على الفور نشرها مع صنع حملة إعلامية ضخمة من أجلها؛ حتى تنال المكان الذي تستحقه في عالم الأدب العربي بل إنه لم يكتفِ بذلك بل راح يترجمها إلى

اللغات الإنجليزية والفرنسية والإسبانية؛ حتى تكون متاحةً على أكبر منصات بيع الكتب مثل أمازون وبرانز آند نوبل وكوبو وغيرها من منصات بيع الكتب العالمية..

لم تُخيِّب الرواية آمال شريف وتربَّعت على عرش قوائم الأكثر مبيعًا في مصر والوطن العربي.. مبيعات تخطت كل التوقعات.. تجاوزت الملايين من النسخ الأصلية، ما جعل العديد من شركات الإنتاج تسعى بكل قوة للظفر بحقوق تحويل الرواية إلى فيلم سينمائي.

وقال له شريف في ذروة هذا النجاح: «أن تنجح في هذا المجال ليس بالأمر السهل، هناك دائمًا تضحيات يجب أن تبذلها حتى تأخذ خطوات حقيقية إلى الأمام.. ليس في الأمر أي استغراب فهذا هو قانون الحياة.. استغنِ عن شيء غالٍ حتى تحصل على شيء أغلى».

في غضون أيام كانت الرواية (تريند) على تويتر؛ نظرًا لما تحتويه من أسرار وخبايا عن الحوادث الإرهابية التي هزَّت مصر في السنوات الأخيرة، بل ما زاد الأمر إثارة أن تنبأت الرواية بالحوادث المستقبلية في مصر، والتي تتحقق بكل تفاصيلها ليتخطى الأمر كونها رواية ويرتسم لها بعدٌ آخر من النُّبوءة لتنطلق شهرتها في كل مكان من الشرق إلى الغرب..

الذكريات لا تريد أن تتوقف وعقله تعب من التفكير.. فدخل المطبخ صنع لنفسه فنجانًا من القهوة وجلس ينتظر، ومرَّ الموعد المُحدد ولم يأتِ أحدٌ، وأنتظر أكثر.. وظل الوقت يمر حتى أتي الصباح وهو على هذه الحال من الانتظار، فقرر الاستسلام والذهاب إلى النوم، وفي أثناء قيامه من مكانه سمع طَرْقًا خفيفًا على الباب فلم يترك لنفسه لحظة ليندهش وكأنه يعرف مَنْ هناك فذهب وفتح.. طالعه رجل عجوز أصلع الرأس، ابتسم له باقتضاب ثم قال:

- أعرف أنني تأخرت عن موعدي ولكن هذا كان في صالحك، يجب أن أدخل الآن هل تسمح لي؟

تركه يعبر ثم أغلق الباب خلفه.. جلس في الصالة وبمجرد جلوسه سأله آدم:

- مَنْ أنت؟
- أنا مَنْ شاهدت مَنْ ترك لك نسخة من الرواية الأصلية أمام باب منزلك.. ثم وضعت لك في آخرها رسالة التهديد.. أعرف أن أسلوبي سيئ ولكن ما باليد حيلة.. فكل رسائل التهديد التي أُرْسِلَت لك لم تدفعك لطلب المساعدة من الشرطة.
- لا لن أفعل ذلك أبدًا.
- أنت تخاف على مستقبلك أكثر من حياتك.

فطن آدم ما يرمي إليه فصاح به مُعترضًا:

- أنا لم أسرق شيئًا.
- هل صدقت الكذبة بهذه السرعة.. صحيح أنها جزء من النجاح أن تصدق نفسك، ولكن لا يجب أن يكون بهذه السرعة.
- أي كذبة تقصد؟

ضحك الرجل ثم أوضح:

- المشكلة ليست في أنك سرقت المذكرات وحولتها إلى رواية.. المشكلة ما ورطت نفسك به.
- لا أفهم إلى ماذا ترمي؟
- سأحكي لك كل شيء.. فأنصت لي جيدًا.. منذ عشرين عامًا كتب عبد ربه الشمالي مذكراته وتنبؤاته للمستقبل وكل خططه حول السيطرة على هذه الدولة، وتولى مقاليد الحكم بها في خلال ثلاثين عامًا.. وذكر في الكتاب جزءًا عن حياته التي تغيرت في الحرم الجامعي عام 1977 في انتفاضة الخبز أو الحرامية حيث كان عضوًا في حركة الشيوعيين، يؤمن بأفكارهم ويحلم باللحظة التي سيرى فيها هذه الأفكار على أرض الواقع تنمو وتتحقق.. في أثناء المظاهرات تم اعتقاله وتعذيبه دون أن يهتم به أو يسأل عليه أحد، ومن هنا كانت نقطة التحول التي جعلته يترك كل شيء خلفه ويهاجر إلى أرض جديدة على حَدِّ وصفه.. سافر إلى الخليج وانضم للتنظيم في أفغانستان، وعندما أصبح مطاردًا هناك، أتى إلى هنا.. ظل يرتحل من مدينة إلى أخرى ومن عزبة إلى أخرى ومن نجع إلى آخر إلى أن استقرت به الحال في قرية نائية غير معلومة لأحد في أعماق الصحراء بين الجبال اسمها (شجرة الفيل)، حيث كانت قرية بدائية في كل شيء، وكأن الزمن توقف عندهم منذ مئتي عام.. أهلها على الفطرة لا يعرفون شيئًا عن الدنيا ولا الدين، وبالتالي والأهم لم يكن لهم أي سجلات في الدولة.. إنهم سقطوا فجأة من حسابات الجميع فلا أحد يشغل باله بهم ولا أحد يعرف أنهم موجودون من الأساس.. وبسهولة أحكم قبضته على هذه القرية البسيطة وكنوزها بسبب ثقافته وعلمه الغزير.. كانوا يستخرجون الآثار من باطن الأرض ويتولى هو بيعها.. وبسبب كثرة المال عرفهم على سبيل المثال لا الحصر كيفية الزراعة والصناعة والطب وأساسيات القراءة والكتابة.. طعَّم لهم أطفالهم ضد الأمراض الخطيرة التي كانت تصيبهم، حيث كان يذهب إلى القاهرة ويعود إليهم باللقاحات، وساعدهم على العلاج من كل أمراضهم الجسدية البسيطة والمُعقَّدة.. حتى أنه قال لهم: أنا رسول الله أتيت لكم حتى أزرع الخير بينكم وأقودكم من الضلال إلى الهدى.. وآمن به الجميع وعلَّمهم فروض الدين والصلاة كما ذكرها النبي محمد، وكان يقول دائمًا: أنا مُكمِّل رسالة محمد في الأرض فاتبعوني حتى أنجيكم من غرور هذه الدنيا.. لم يستمر هذا طويلًا حتى انقلبت الحال وأصبحت القرية قائمة على التشدد والتقشف، فحتى البنات الصغيرات يرتدين

الخمار الشرعي، ولا يُسمح لهم بالمرح إلا قليلًا، وبمجرد بروز صدورهن يلبسن النقاب ويُعْزَلن عن الأولاد الأصغر سنًّا حتى يتم تزويجهن بمن يرغبون فيهن.

صمت الرجل لبُرهة وهو يحدِّق في آدم الذي بدأ يظهر عليه كل علامات التوتر والقلق، ثم تابع:

- وكل ما حاكيته هو الجانب البسيط الذي لا ضرر منه، أما المشكلة كانت في تأسيس جناح مُسلَّح، مهمته التخطيط لقلب نظام الحكم بالاستيلاء على مدن الصعيد كلها، ومع فشل تلك العملية الكبيرة التي حدثت في الثمانينيات، وحاول تكرار بعض العمليات الإرهابية مُستهدفًا أكثر الأماكن حيوية في البلاد، ولكن مع فشله قرر عبد ربه إعادة حساباته.. ومع مرور الوقت ازدادت أحلامه، حتى قرر أن يسيطر على الدولة كلها ويهدم نظام الحكم بها، عن طريق سلسلة غير منتهية من التفجيرات في جميع ربوع مصر.. ومن أجل هذا جَنَّد مجموعة من الحالمين بالجنة وأمرهم بتنفيذ مخططاته التي وضعها في مذكراته، وعلى امتداد ثلاثين عامًا، وأوصى بأن يتم تنفيذها حتى لو وافته المَنِيَّة.

صمت آدم قليلًا مُحاولًا استيعاب ما يقول، ثم سأله مُستنكرًا:

- ولماذا عليَّ أن أصدِّق هذه الحكاية؟
- تصدق أو لا تصدق ليس مهمًّا.. المهم أن تهرب.
- إلى أين؟
- أي مكان بعيد عن هنا.

هزَّ آدم رأسه مُفكرًا وتمنَّى في تلك اللحظة لو كان داخل كابوس، وسينتهي عندما يستيقظ.

- ألا تريد أن تعرف كيف عرفت هذه المعلومات؟

تردد آدم قليلًا، ثم قال في استسلام:

- كيف عرفتها؟
- في عام 2005 سرق إمبابي وزميله سليمان نسخة من الجزأين الأول والثاني من هذه المذكرات، وأخذ كل واحد منهم جزءًا، لم تكن تلك النسخة النهائية لأنه يعدل ويضيف عليها باستمرار، ولكن هي آخر نسخة كتبها، وبها كل أفكاره ومخططاته الأساسية.. المهم هرب إمبابي إلى القاهرة بينما اختبأ صديقه في قرى الصعيد المجاورة.. خبَّأ إمبابي الجزء الأول الذي كان معه في المنزل الذي كان يسكن به، ولم يمضِ وقتٌ طويلٌ حتى عثر عليه رجال عبد ربه وخطفوه وذهبوا به إلى عبد ربه

الذي أمر بقتله غرقًا.. أخذوه إلى النهر وطعنوه في بطنه وألقوا به في الماء، ولكن لحسن حظه أنه لم يَمُتْ، وظَلَّ على قَيْدِ الحياة بأعجوبة.

- وأين هو الآن؟
- إنه أنا.
- أنت؟
- نعم، أنا الذي سببت لك كل هذه المتاعب.. أنا إمبابي.
- وماذا حدث بعد ذلك؟
- عندما استعدتُ عافيتي وفي أثناء عودتي إلى المنزل حتى أستعيد المذكرات شاهدني أحد جواسيس عبد ربه.. حاولت الإفلات منه فلحق بي وتعاركنا، فضربته بقطعة خشب على رأسه فسقط على الأرض ومات.. وقبض عليَّ أهالي الحارة وتم تسليمي إلى الشرطة، وأخذت حكمًا بخمس عشرة سنة مع الشغل والنفاذ.
- وكيف عرفتني؟
- روايتك ذائعة الصيت.. تقريبًا مصر كلها تسمع عنها.. وكنت أراقبك طوال الفترة الماضية.. وأترك لك رسائل التهديد..
- وماذا تريد مني؟
- أولًا.. أن تحكي لي كيف عثرت عليها؟
- أنا لا أعرف عما تتحدث!
- سأستنتج أنا.. لقد سكنت في الشقة التي كنت أقيم بها أول ما نزلت القاهرة.. وأنت وجدت بها المذكرات وأخذتها.. أليس كذلك؟

صمت آدم ولم يجد أي شيء ليقوله.

- لم يكن قرار النشر قرارًا صائبًا.. لأنه فتح عليك نار جهنم، ولن تنجو إلا وأنت مُحْتَرَق.
- وماذا تريد مني الآن؟
- أن تهرب.. فقط أن تهرب.. بعدما عرفوا طريقك وتركوا لك نسخة أصلية من المذكرات القديمة.
- لكنهم طلبوا مني أن أذهب إلى أسوان.

- 1 -

استيقظت سعاد على حِسِّ ابنتها، وهي تصرخ باكيةً بصوت عالٍ:

- أمي.. أمي!!

التقطت الأم نفسها من فوق السرير، ثم ركضت بسرعة نحو غرفة طفلتها، كانت الفتاة الصغيرة مُستلقيةً في ركن الغرفة، تلهث وتضع يديها فوق وجهها، كما لو كانت تحاول الاختباء من شخص ما.

عانقتها أمها وقالت:

- نسمة! نسمة! إنها أنا! لقد جاءت أمك يا حبيبتي.. لا تقلقي! اهدئي! اهدئي! واسترخي.. ثم قولي ماذا حدث لكِ؟

صرخت الفتاة بصوت عالٍ مرة أخرى وهي تقول:

- ماما! ماما! هناك شخص ما قتل أبي..

فوضعتها الأم على صدرها ومسحت بيديها على شعرها، وقالت لها مُهَدِّئَةً:

- لا يا حبيبتي، لم يحدث شيء مثل هذا.. إنه حلم سخيف.. اهدئي.

هدأت الطفلة حتى توقفت عن البكاء، وما لبثت أن صرخت مرة أخرى:

- إنه هناك..

قالتها وهي تشير إلى الباب، وواصلت الصغيرة الصراخ، ثم قالت:

- أمي! ها هو! انظري.. انه هناك!

ذهلت الأم واتسعت عيناها وهي ترى ظِلًّا يمسك بسكين، وعانقت ابنتها وهي تحاول الصراخ طلبًا للمساعدة، ولكن الكلمات أبت أن تخرج من فمها.. اقترب صاحب الظل منها وطعنها بالسكين الحاد في قلبها، فصرخت سعاد صرخة مدوية..

استيقظ زوجها شريف على صرخاتها، وهذا شيء معتاد عليه في الشهور الأخيرة، ضمها إلى صدره وقال لها مُهدِّئًا:

- اهدئي حبيبتي.. إنه مجرد كابوس وانتهى.

نزعت سعاد نفسها من حضن زوجها ثم بدأت في الاسترخاء ونظرت حولها، لأعلى ولأسفل، وفي حركة مفاجئة حضنت زوجها مرة أخرى وتمتمت:

- كابوس فظيع..

نزلت سعاد من فوق السرير، وتحركت نحو غرفة ابنتها.. كانت الفتاة الصغيرة لا تزال نائمة.. ابتسمت وقبَّلت ابنتها على جبينها، وعادت إلى فراشها.

سأل زوجها مستفسرًا:

- أين ذهبتِ؟

أجابت مُبتسمة:

- لقد ذهبت للتَّو لإلقاء نظرة على ابنتنا، يا لها من فتاة جميلة.

فهمس لها:

- يبدو أن حالتك ساءت مرة أخرى.. ليس لدينا ابنة ولم يكن لنا في يوم من الأيام ولن يكون.. ويجب أن تتعاملي مع هذا الوضع بهدوء..

نظرت نحوه دون أن تتكلم وتركته ورحلت.

هذه هي الحياة الزوجية التي يعيشها شريف مع سعاد.. إنها عبارة عن عذاب في عذاب لا ينتهي، ولا يوجد أمل في زواله.. كان الدافع الوحيد للزواج بها لأنها كانت الابنة الوحيدة لأبيها الغني، والتي ورثت عنه فيلا وبضعة ملايين في البنك.. انتشلته من الفقر وأزالت عن كاهله هَمَّ جمع المال.. فتحت له دار نشر ليحقق فيها أحلامه وتجاربه الفاشلة.. كانت حياتهما هادئة بعض الشيء، ولكن منذ أن عرفت أنها بلا رحم، ولا أمل في أن تصبح أمًّا تسرَّب إليها التوتر والخوف، وتدريجيًّا أصابها الاكتئاب ثم الهلاوس ثم استسلمت، وأقنعت نفسها بين الحين والآخر بأن لديها ابنة.. حالة ميئوس منها، ولا أمل في شفائها.. ولهذا يحاول قدر الإمكان ألا يمكث كثيرًا في المنزل.. يترك البيت أحيانًا لبعض الوقت ليقيم في شقة خاصة به وبنزواته العابرة..

بعد ثلاث ساعات، وجدها تهبط من فوق الدَّرج وقد ارتدت ملابس الخروج، فسألها:

- إلى أين؟

- سأذهب إلى الطبيب.
- لا أرى أي فائدة من الذهاب إليه.
- هل تريد أن أغيره؟
- بل أن تتوقفي عن الذهاب إليه.
- هل هناك شيء تخفينه عني؟
- أنتِ المفروض مَنْ يجب عن هذا السؤال.
- هل تشك بي؟
- هل تعتقدين أنني مُغفَّل؟ أنا أعرف أنكِ تكذبين، وخلال أيام سأضع حَدًّا لكل ما فعلتِه بي.
- افعل ما تريد.

وتركته وعادت إلى غرفتها غاضبة، كانت قد نسيت هاتفها.

منذ أسبوع، بدأ الشك يكبر داخل قلبه عندما قابل الطبيب النفسي الذي يعالجها في إحدى المناسبات، وأراد الطبيب أن يطمئن منه على زوجته خاصة بعدما انقطعت عن استكمال العلاج.. كانت صدمة لم يستطع قول أي شيء للطبيب، واكتفى بإخباره بأنها تتحسن.. منذ هذه اللحظة وكل شيء تغير داخله تجاه زوجته.. بدأ يعيد النظر في الكثير من الأمور التي كان يتجاهلها وأهم هذه الأمور كانت زوجته.. عندما فكر جيدًا وجد أن علاقتها بآدم مريبة بعض الشيء، وتأكدت شكوكه عندما وجد مجموعة من الرسائل بينهما يتبادلان فيها كلام الحب والمواعدة.. ولكن حرصًا على عدم خسارة كاتب مهم مثله لم يشأ أن يواجه أيًّا منهما في هذا الوقت الذي يشهد نموًّا غير طبيعي في صعود دار النشر التي يمتلكها.. هكذا كان يفكر طوال الأيام الماضية بأن عليه الصبر حتى يأتي الوقت المناسب، ولكن أن تُتَمْتِم زوجته باسم آدم وهي نائمة فهذا أشعل الجنون داخله، وكاد يواجهها ولكنه آثر ذلك في هذا التوقيت الحساس.

خرج من البيت قبلها، بالسيارة تحرك بها قليلًا بالقَدْر الذي يُوحِي لها بأنه قد رحل.. جلس خلف عجلة القيادة يراقب منزله.. إنها فرصته ليعرف ما الذي تخبئه عنه.. وقفت سيارة أمام منزله يبدو أنها طلبت (أوبر)، وبعد قليل كانت تفتح باب السيارة وتجلس في مقعدها الخلفي.. وعلى الفور تحرك خلفها.. بعد نصف ساعة توقفت السيارة أمام العمارة التي يسكن بها آدم.. نزلت سعاد واختفت في الداخل.. كان مترددًا من أن يقتحم عليهما المكان.. أراد التريث بعض الشيء، وخطر بباله أن يتصل بآدم وحيد، ففعل:

- إياك أن تتأخر على حفل التوقيع.

كان يريد أن يعرف هل هو الذي معها أم أحد غيره.

- سأكون في الموعد.. أنا الآن ارتدي ملابسي.
- أنا على وشك الوصول هناك.. سأتأكد من أن كل شيء تم تنفيذه كما هو مُتَّفَقٌ عليه.

بعد ربع ساعة وجد آدم يخرج من البناية، يركب سيارته وينطلق بها.. لم يعرف ماذا عليه أن يفعل سوى أنه انطلق نحو الداخل فقابلته سعاد التي كانت تهبط دَرَجَ السلم.. فسألها مُتهكمًا:

- هل علاج الطبيب جيد؟

فقالت بارتباك:

- أي طبيب تقصد؟
- هل تمارسين جلسات العلاج مع أكثر من طبيب؟

في تلك اللحظة انهارت سعاد جالسةً على دَرَجِ السلم، وبكت بعدما أدركت أن عالمها قد انتهى، وعليها أن تتصرف بحكمة في أسرع وقت قبل أن تسوء الأمور.

*****

تركها شريف وخرج.. ركب سيارته وتحرك.. وطوال الطريق لم يفكر سوى في آدم وحيد الذي تعرف عليه منذ خمس سنوات، وكان دائمًا يُصنِّفه على أنه كاتب فاشل بامتياز.. كتاباته ركيكة وأفكاره سطحية وضحلة، لا يوجد أي جديد يقدمه بأسلوبه السردي الطفولي، لم يكن يتحمَّل قراءة أكثر من صفحتين من أي عمل له ثم يلقي به في الزبالة، كثيرًا ما فكر بألا يقبل منه أعمالاً مرة أخرى ولكن هذا كان ضد مبادئه، صحيح أن مبادئه مطاطة، ولكنه كان يبحث عن عمل ينقل دار النشر إلى مصاف الكبار، ويربح منها المال والشهرة والتقدير ويُخلِّصه من سطوة مال زوجته أيضًا.. خمس سنوات وهو يرفض أعماله بينما هو لا يتوقف عن الكتابة.. اللعنة من أين يأتي بكل هذا الإيمان.. وفي يوم ما أرسل آدم روايته إلى زوجته.. كان قد تعرف عليها في عيادة الطبيب النفسي.. لم تكن صدفة أن يذهب آدم إلى الطبيب نفسه الذي يعالجها، وحكمت عليه حينها زوجته أن يقرأ له فأخبرها:

- إنه فاشل ولا وقت عندي أضيعه.

فقالت له في توسُّل:

- اقرأ أول فصل ثم بعد ذلك قرر.

لم يشعر بنفسه إلا وهو يقرأ كلمة النهاية.. إنها رواية عبقرية وشيء استثنائي، لم يقرأ رواية عربية بهذا المستوى.. هل حقًّا هو مَنْ كتب هذه الرواية؟ خطر الأمر في رأسه فقال لزوجته: أريد مقابلته.. عندما قابله سلَّم عليه بحرارة، وقال له مُبشِّرًا:

- ستتغير حياتك رأسًا على عقب بمجرد نَشْر هذه الرواية.
- هل هي جيدة فعلًا؟
- إن كلمة جيدة كلمة غير مناسبة.. إنها مذهلة تذكرني بكتابات زافون وهاروكي وماركيز.
- لهذه الدرجة؟
- وأكثر.. إنها تجمع بين اللغة والبناء المُحْكَم.. بها قضايا شائكة وتشويق وغموض مستمر للنهاية.
- هل ستنشرها؟
- في أقرب وقت ممكن ستكون في جميع المكتبات بكل أرجاء الوطن العربي.

وقال له آدم مُنبِّهًا:

- لن أدفع أي شيء مقابل النشر.
- أنا الذي سيدفع لك.. سأنشرها على حسابي وسيكون لك نسبة 10% من سعر البيع للقارئ.
- هل أنت جاد؟
- آدم، إنها الرواية التي سأبدأ بها حياتي كناشر حقيقي.

وسأله باستنكار:

- وهل ترى نفسك مُزيَّفًا؟
- الجميع كان يقول عليَّ مُحتالًا.. لأن أعمالهم لا تباع ولا تنال التسويق الجيد.. ولكن الآن أنا جاهز لأعلن عن نفسي كناشر ذي قيم ومبادئ.

مصيدة الكتاب الأزرق

الفصل 17

لا تفشِ الأسرار

«لا تفشِ الأسرار».. إنها القاعدة الأهم في قرية (شجرة الفيل)، والتي أسسها عبد ربه عام 1979، والذي بدوره يسامح كُلَّ مَنْ يخطئ إلا مَنْ يفعل مثلما فعل إمبابي.

قديمًا سرق إمبابي مذكرات عبد ربه المقدسة على أمل أن تساعده هذه التَّدوينات في التَّخلُّص من حكم عبد ربه وسطوته؛ لذا هرب بها من القرية وذهب إلى القاهرة، وهناك تعرَّف على صحفي شاب يُدْعى حافظ رجب، يعمل في جريدة المساء اليوميَّة، وحكى له كُلَّ شيءٍ عن القرية من البداية إلى النهاية، وكُلَّ ما يعرفه عن عبد ربه.

وكلَّف تصحيح هذا الخطأ خطف إمبابي من أحد المقاهي في وسط البلد، بالإضافة إلى تفجير منزل الصَّحفي وأسرته بمواد مُتفجرة أطاحت بنصف سكان الحارة، لتُسجِّل واحدةً من أكبر العمليات الإرهابيَّة في تاريخ مصر المُعاصر.

قُدِّم إمبابي وهو مُقيَّد الأطراف إلى عبد ربه، والذي لم يتحدث إليه سوى بكلمات مُقتضبة قائلًا:

- إنها كارثة لم ولن تحدث بعد ذلك.. أقسم بربي لن تحدث مرة أخرى.

ثم أمر بإغراق إمبابي في النَّهر؛ ليكون عِبرةً لمَنْ تُسوِّل له نفسه تكرار هذا الإثم والهروب من هذا المكان.. إنه موطن الولادة والممات؛ لذا كان يقول: «اضرب المربوط يخاف السايب.. إنها أفضل طرق عبد ربه التي يجيد بها السَّيطرة على شعبه».

ما فعله إمبابي كان مؤشرًا بأن هناك جزءًا من سُكان القرية قد خرج عن النَّص، ولا بُدَّ من ثورة تصحيح، فقام بقتل وحرق العديد من المُخالفين لرؤيته، ولم يكن يرحم أحدًا حتى المُقرَّبين منه، فكان لا يتوانى عن تعذيبهم مثلهم مثل كل سكان القرية عندما يخطئون.

لكن آثار ما فعله إمبابي لا تزال ظاهرةً حتى مع مرور كل هذه السَّنوات.

في يومٍ ما وصل الخبر إلى عثمان، فارتبك بشدة وارتفع ضغط دمه، حتى كادت رأسه تنفجر، وما إن استجمع القليل من شجاعته حتى قطع على عبد ربه عُزلته؛ ليخبره بأسوأ خبر ممكن يحمله له طوال حياته.. رمقه عبد ربه بقلق فأسرع عثمان بالتَّحدُّث:

- للأسف لقد نُشِرت المُذكرات.. يبدو أن النُّسخة التي سُرِقت لم يتم التَّخلّص منها مع التَّفجير الذي حدث للصَّحفي.
- مَنِ الذي نشرها؟
- كاتِبٌ جديدٌ يُدعى آدم وحيد.. نشرها على هيئة رواية خياليَّة.. وللأسف الرِّواية يومًا بعد يوم تنال شهرةً واسعةً، وتُوزَّع في كُلِّ مكانٍ داخل مصر وخارجها.
- لنعقد المجلس فورًا حتى نتناقش في الأمر.

على الرغم من أن نَشْر المُذكرات التي كتبها عبدربه -والتي فيما بعد تحوَّلت إلى كتاب مُقدَّس به كل أفكاره وأحلامه وطموحاته- أمرٌ سيئٌ؛ فإنه شعر بالسَّعادة بأن كلامه سيصل أخيرًا للجميع، ولكن بمجرد أن استدرك أن اسمه ليس على الكتاب استشاط غضبًا وترك مكانه وذهب إلى مجلس الاجتماعات.. وجد الجميع في انتظاره فجلس في مقعده، وبدأ في الحديث مباشرة:

- المشكلة الحقيقية ليست في أن أحدهم سرق المذكرات ونشرها.. بل في أن المذكرات بها كل مخططاتنا من أجل السَّيطرة على الدولة، ومواعيد كل العمليات بكل تفاصيلها.. ولو كان رجال الأمن على درجة عالية من الذَّكاء سيدركون ذلك بسهولة.. ما يزيد من صعوبة تنفيذ العمليات القادمة.. ولكن أيًّا كان سنُكمل تنفيذ ما حلمنا به ولن يُوقفنا شيءٌ عن تحقيق مشروعنا الإسلامي العظيم وإقامة دولة الخلافة.. دون أن نغيِّر أي شيء من خططنا.. وليكن تحديًا واضحًا لكل أجهزة الأمن.

وقال أحدهم:

- ولكن يجب أن نعرف كيف وصلت المذكرات لهذا النَّكرة.

رَدَّ عليه عبد ربه وهو يهز رأسه مُؤيدًا لكلامه:

- لذا سنقوم بتكليف سعيد سعيد بمهمة استدراج هذا الشَّاب إلى أسوان، ومن ثَمَّ خطفه والمجيء به إلى هنا، وسيتولى عثمان مهمة التَّواصل معه كالعادة مع نقل الخطة التي سأضعها بعد قليل مع تزويده بكل التَّفاصيل التي يحتاج إليها وإلزامه بتنفيذها.
- وماذا سنفعل به عند خطفه؟
- أولًا.. سنعرف كيف حصل على المُذكرات ومَنْ ساعده في نشرها، وثانيًا.. لن نقتله بل سنعاقبه بأن نجعله المتهم الأول في كل ما يحدث في البلاد؛ حتى نستطيع العمل فيما بعد كيفما نشاء.

- 2 -

الحياة مزعجة دائمًا لمَنْ لم يفهموها، بسيطة وسلسلة طالما أنت تعرف كيف تسير الأمور، الأب اختار له اسم سعيد على اسمه، كان يريد أن يكون له نصيبٌ من اسمه مثلما كان له نصيبٌ منه، كان الأب سعيدًا طوال حياته التي عاشها بالطول والعرض، أنجبه من فتاة فرنسية تعرف عليها في إحدى رحلاته إلى أوروبا، وعندما رفضت أن تعود معه إلى القاهرة، قتلها وأخذه وعاد به إلى الوطن.. نعم، أبوه قاتل محترف، ولكنه كان قاتلًا شريفًا وذا مبادئ.. كان يقول: على المرء أن يموت في الوطن الذي ينتمي إليه، ونحن عائلة بلا أصل أو فصل لا نعرف كيف نبتنا في هذا الوطن، ولكنني أعتبر هذا المكان وطني ويجب أن نظل به إلى أبد الدَّهر.

تربَّي بلا أُم، لم يكن مُدلَّلًا، منذ نعومة أظافره علَّمه أبوه كيف يستخدم السِّلاح، كان يقول له كاذبًا: «إنَّ بِنَا عرق صعيدي فلا يجوز أن تكبر وأنت لا تعرف كيف تستخدم السِّلاح»، وكبر وورث عن أبيه مهنته، التي هو في حقيقة الأمر سعيدٌ بها.. نعم سعيدٌ بها.. هذه المهنة أنقذته من الجوع والفقر وجعلته سعيدًا، وتمنَّى أن يواصل سعادته في هذا العالم على هذه الحال.

في المساء جاءته رسالة على هاتفه من عثمان يريد مقابلته فذهب له في المقهى الذي يتقابلان به دائمًا.. كان جالسًا في انتظاره كالعادة.. سلَّم عليه بفتور وبمجرد أن جلس قال باقتضاب:

- هل سمعت عن رواية اسمها مصيدة الكتاب الأزرق؟

رَدَّ عليه بسخرية:

- لا، أنت تعرف أنا لا أحب القراءة.
- كما توقعت.. حاول أن تعرف كل شيء عن مؤلفها اسمه آدم وحيد.. وهو مهمتك القادمة.
- هل أقتله؟
- لا.. لا نريد قتله بل خطفه بطريقة ذكية ومُبتكرة.. لا تُثِرْ الشكوك.. إنه كاتب مشهور والجميع يعرفه.

ابتسم له في إحراج وهو يهز رأسه، ودفع عثمان نحوه بملف وكتاب قديم، وتابع قائلًا:

- في هذا الملف كل شيء مطلوب منك ويجب أن تنفِّذه كما هو دون أي تجويد.. أما هذا الكتاب فحافظ عليه مثلما تحافظ على عينيك.
- ماذا به؟
- لا شأن لك.. نفِّذ ما هو مطلوب دون أي فضول.
- وأتعابي مقابل هذه العملية متى سأحصل عليها؟
- بمجرد تنفيذ المطلوب ستحصل على كل ما تريد.

تركه ورحل.. عاد إلى البيت وبمجرد أن دخل غرفة مكتبه فتح الملف وكان به أول طلب أن يسافر إلى أسوان.. ولكن قبل السفر هناك بعض الأمور عليه فعلها من ضمنها مهمة خاصة بهذا الكتاب القديم.

*****

قام بتنفيذ ما طُلِب منه، وضع لآدم الكتاب القديم أمام باب منزله، ثم أتى بمايكل جورج وطلب منه أن يُحَدِّث آدم من حسابه على فيسبوك، ويطلب منه مقابلته في أسوان.. وهكذا فعل.

وفي اليوم التالي سافر، وعندما وصل نزل في الفندق المطلوب «هاي أوتيل»..

لكن الخطة لم تُنَفَّذ كما ينبغي.. ذهب صاحب الفندق مع آدم من أجل التخلص من الجثة ولكنهما لم يعودا.. طال انتظارهما وزاد القلق فبعث برجاله للبحث عنهما.. وجد الرجال جثة شكري طافية على النهر وبجوارها جثة مايكل جورج ولا أثر لوجود آدم.. عندما أخبروه بما حدث قال لهم غاضبًا:

- هل هو من قتله؟
- لا نعرف ماذا حدث.
- لا تتوقفوا عن البحث عنه.. أريده الليلة.

في المساء أتى عثمان، كان سعيد في انتظاره.. بمجرد أن جلس أمامه قال له مازحًا:

- لقد تأخرت قليلًا على غير عادتك؟
- التَّأخير بسبب بعض الإجراءات الأمنية، أنت أدرى مني بها.. المهم أين آدم؟ ليس لدي وقت.

قال ببساطة:

- لقد هرب.. وأنا فشلت في مهمتي.

قال عثمان غاضبًا:

- لا وقت لديَّ لمثل هذه الدُّعابات.
- إنه واقع.. بعدما ذهب مع شكري للتَّخلص من الجثة لم يعودا.. فذهب الرجال للبحث عنه فلم يجدوا سوى جثتي شكري ومايكل.
- ولماذا لم ترسل معه أكثر من رجل.. أنت تأخذ منا الكثير من المال مقابل أن تنفذ ما يُطْلَب منك بجودة عالية.
- لم أتخيل أن هذا من الممكن أن يحدث.. إنه ضعيف لا يستطيع ضرب فأر.
- والآن ماذا تنتظر.. تريديني أن أقتلك الآن؟

فقال بانهزامية:

- أليس هذا هو العقاب الذي أستحقه على فشلي؟

هب عثمان واقفًا ورد عيله:

- لا تكن غبيًّا.. قُمْ وتحرك فورًا.. لا بُدَّ من أنه عاد إلى القاهرة.
- ومولانا، ماذا ستقول له؟
- لا تقلق، سأعرف كيف أجعله يعفو عن هذا الخطأ.. المهم أن تصلحه في أسرع وقت.. وتأتي به له بنفسك.

انفرجت أساريره، وهو يقف أمامه ويقول في إصرار:

- سآتي به مهما كلفني الأمر.
- المهم لا تعتمد على أحد، وافعلها كما كنت تفعلها دائمًا بنفسك.. وأن يكون ذلك في أسرع وقت.. إذا طال الأمر سيغضب مولانا.. وعندما يغضب لا يرحم أحدًا.

- 3 -

كان يتتبعه في كل خطواته.. خطوة بخطوة.. وفي اللحظة التي كان على وشك أن يقتل شريف أمسك به أحد رجال جمال.. ضربه بطرف المسدس على رأسه ففقد الوعي، ثم أخذه إلى جمال، ألقى به تحت قدميه، وأوضح له:

- كان يحاول قتل الهدف.

كان القاتل المأجور بدأ يستفيق، وعيناه تدوران في المكان مُحاولًا استيعاب ما هو مُقبلٌ عليه.

- مَنِ الذي كلفك بهذا؟
- هذه أسرار العملاء.. لا أستطيع البَوْح بها مهما حدث.
- لا مشكلة، احتفظ بكل أسرارك لنفسك.

وأشار لرجاله بأن يقتلوه.. وعندما شعر بأن تهديده على وشك أن يكون حقيقة قال صارخًا:

- سأقول كل شيء.. سأقول كل شيء.

*****

هل تطاردني هذه السيارة؟

طرأ هذا السؤال في ذهن شريف أثناء قيادته لسيارته على الطريق الصحراوي الفارغ تمامًا في هذا التوقيت، وبدت تلك السيارة التي تسير خلفه منذ أكثر من نصف ساعة أنها تراقبه.. لم يكن مزاجه جيدًا في هذا اليوم بعدما نُشِرت تلك الأخبار التي تتهم آدم بسرقة رواية مصيدة الكتاب الأزرق، بالإضافة إلى الصَّدمة الكبرى بعدما عرف بخيانة زوجته له.. لذا قرر أن يضغط على دواسة السرعة وينطلق سريعًا حتى يتخلص من تلك الأفكار الضارة.. زادت سرعة سيارته حتى تخطت 160 كم/ ساعة، ولكن دون أن يدري ظهرت أمامه سيارة قادمة في الطريق المعاكس، فحاول تجنُّبها وهو يهدِّئ من سرعة سيارته التي كادت تنقلب به.

قبل أن يلتقط أنفاسه وجد بعض الرجال ينزلون من السيارة القادمة من خلفه والسيارة المعاكسة.. وأخرج أحدهم مسدسه واقترب منه وهو يقول له:

- يجب أن تهدأ.. لن نقتلك.. حاول أن تسير معنا وتركب سيارتنا.. لن يؤذيك أحد.

تحرَّك معهم وعندما ركب ضربه أحدهم على رأسه ففقد الوعي.

عندما استفاق وجد نفسه يتدلَّى من حبل مُعلَّق في السقف.. رمقه جمال باسمًا وقال له:

- أعتذر بشدة عن تلك الطريقة التي أتيت بها، ولكن لن تتأخر كثيرًا.

وسأله وهو يدور حوله:

- نريد أن نعرف من أين أتى آدم بهذه الرواية؟
- إنها من تأليفه.
- هذه معلومة خطأ، لقد اقتباسها من كتاب ما.
- لا أعرف أي شيء عن هذا الموضوع.
- هل يوجد جزءٌ ثانٍ معك؟
- الجزء الثاني على وشك النَّشْر.
- كيف يمكن إيقاف نَشْره؟
- ستكون الخسائر فادحة.. لا أستطيع تحمُّلها.. بالإضافة إلى أنه إن لم أنشرها سينشرها غيري.. مبيعات آدم في السحاب وأي دار نشر تتمنى العمل معه.
- سنُعوِّضك بالطريقة التي تراها مناسبة.
- كم ستدفعون؟
- الرقم الذي تطلب.

فكر شريف في عرضهم لبعض الوقت، ثم سأل مستفسرًا:

- ما سقف العرض المالي الذي معك؟
- لا يوجد سقف.. احسب حِسْبتك وستأخذ كل ما تريده كاش.
- جميل.. إذا اتفقنا.
- هل لديك نسخة من الجزء الثاني على هاتفك.. أريد أن أطمئن أنها هي.
- لديَّ نسخة منها على الإيميل الخاص بي.

أخرج جمال هاتف شريف من جيبه، وسأله:

- ما الرقم السري؟
- 1070.

رسمت أصابعه الأرقام على لوحة المفاتيح ووَلَجَ إلى البريد الإلكتروني، وبداخله قام بالبحث عن المسودة التي أرسلها آدم فوجدها، فقام بإعادة إرسالها إلى بريده الإلكتروني، ثم قام بحذف الرسالة.

- كيف يمكن إيقاف نشر الرواية؟
- بسيطة، سأكلم المطبعة وألغي الطلب.. والنُّسَخ التي طُبِعت افعل بها ما تريد.
- نحن نريد إعدام جميع النُّسَخ.
- لا مشكلة سأعطي لك عنوان المطبعة.. اذهب هناك واحصل على جميع النُّسَخ، وافعل بها ما تريد.

فَكَّ يده، وأعطاه الهاتف، وطلب منه إخبار المطبعة بأن هناك مَنْ سيمر عليهم ويأخذ منهم جميع النُّسَخ.. بمجرد أن انتهى قال له جمال مُبتسمًا:

- الآن لم نَعُدْ بحاجة لك.
- هل ستدعني أذهب؟
- نعم.

وقام أحدهم بإنزاله، وبمجرد أن هبطت قدمه على الأرض التفت ذراع أحد الرجال الأشداء حول رقبته، حاول أن يقاوم لكنه كان أضعف من أن يفعل أي شيء، ولم يستطع أن يمنع جحوظ عينيه وخروج لسانه من فمه، ولم يرفع يده عنه إلا عندما خرجت روحه فتركه يسقط على الأرض.. وقال جمال:

- سيارته يجب أن تُفَكك ويتم التخلص منها.

ثم اقترب من الجثة وأخرج ما يشبه الختم، وقام بفرد أصابع يد شريف وطبع رسمة أقرب إلى المتاهة في باطن يده، كان جمال يريد أن يلاعب الشرطة ويُدْخلهم المتاهة من أجل ألا يكون أمامهم مُتهم غير آدم، وقال لهم:

- تأكدوا من مسح جميع البصمات باستثناء البصمة المُتفق عليها، ثم القوا بها في حديقة منزله.

مصيدة الكتاب الأزرق

الفصل 19

فشلٌ مُستمرٌ

- لقد فشل في المهمة التي كُلِّف بها.

هكذا همس أحد الرجال إلى عثمان، وقال له أيضًا:

- هرب منه في أسوان، وعندما تبعه إلى الإسكندرية لم يتمكن من خطفه.. لقد فشل ويمكننا تعيين شخص آخر ليُكمِل المهمة.

كان سعيد قد اختفى لعدة أيام، ما جعل عثمان يكلِّف بعض رجاله بالبحث عنه، فعثروا عليه في الشاليه الخاص به في العين السخنة.. قيدوه وأخذوه إلى أسوان.

- أين سعيد الآن؟
- إنه في الخارج ينتظر.
- دعه يدخل.

دخل سعيد وهو متوتر وخائف، فقال عثمان:

- لقد فشلت في اختطاف آدم مرة وهو في أسوان، ومرة أخرى وهو في الإسكندرية.. لم أعهدك بهذه الخيبة.
- إنه محظوظ لا أكثر.. وكل ما أطلبه فرصة أخيرة أُصْلح بها كل ما فات.
- للأسف، لقد نفد رصيدك لدينا.
- لكنني رجلكم المخلص.. وأستحق فرصة أخيرة.
- أنت تعرف، لا يوجد لدينا فرصة أخرى.. فلترحل الآن.
- ألن تعاقبني؟
- لا.

شعر سعيد بالراحة أخيرًا، فقد كان يحمل هَمَّ حسابهم.

- هل أستطيع الرحيل؟
- نعم، تفضل.

وبمجرد أن استدار قال له ببرود قبل أن يخطو خطوته الأولى:

- عندما تعود إلى المنزل لن تجد به أحدًا على قيد الحياة.

*****

تولّى عثمان بشكل مؤقت أمور الحكم حتى يستقروا على مَنْ سيخلف عبد ربه بعد وفاته.. كان عثمان طامعًا في أن يكون هو مَنْ سيقع عليه الاختيار؛ لذا كان يعمل بجدٍّ واهتمام في كل الملفات الشائكة التي كان يتولاها.. بمجرد أن عاد إلى القرية طلب عَقْد اجتماع عاجل للمجلس، وأخبرهم فيه بكل حَسْم:

- لقد فشل سعيد في مهمته، ومن الآن فصاعدًا سوف نُوكِل كل أعمالنا في الخارج إلى جمال الشافعي.

قاطعه أحدهم:

- ولكن جمال مُتهوِّر، وتصعب السيطرة عليه.
- وهذا ما نحتاج إليه في الفترة المقبلة، فالأعمال الأخيرة التي كُلِّف بها من خَطْف الناشر، وإيقاف نَشْر الجزء الثاني، وتصفيته، تمت على أكمل وجه، والمصيبة أن أهم ملف تركناه لسعيد فشل به.. بينما جمال لا يعرف الفشل.

قال أحد رجال المجلس:

- هناك موضوع آخر يجب أن نناقشه ونضع له حَدًّا.

تَمْتَمَ عثمان:

- ما هو؟
- عمليات القتل التي تحدث كل فترة داخل القرية، منذ أن قُتِل مولانا عبد ربه والدماء لا تتوقف.. كل فترة نجد أحدهم غارقًا في دمائه ولا نعرف مَنِ القاتل.. وتلك أمور غريبة على القرية.
- هل يوجد بيننا قاتل مُتسلل؟
- ربما.

هَزَّ عثمان رأسه، وقال:

- سأُكثِّف البحث عنه، وخلال وقت قصير سنَنْصُب له المصيدة.. من الآن فصاعدًا ستُحْكَم هذه القرية بقبضة من حديد.

*****

في اليوم التالي ذهب عثمان لمقابلة جمال في القاهرة.. وضع عثمان أمامه على الطاولة ملفًا يحتوي على أوراق بسيطة جدًا، وقال مباشرةً:

- أولَا، أشكرك على مَنْع نَشْر الجزء الثاني من رواية مصيدة الكتاب الأزرق.. كان عملًا رائعًا ومُتقنًا.
- أتمنى أن أكون دائمًا عند حسن ظنك.
- على الرغم من أنك لم تلتزم بالطريقة التي كنا نريدها.
- المهم النتائج.
- جمال، استمع لي جيدًا، كانت هناك مهمة في غاية الأهمية وللأسف من كُلِّف بها فشل.. وقد وقع عليك الاختيار بالإجماع، على الرغم من التحفظ على أسلوبك المتهور؛ فإننا نتوقع منك الالتزام بكل ما هو مكتوب بهذا الملف.

ومرره له، وتابع:

- به كل التفاصيل.. إنها مهمة بسيطة بالمقارنة بالمهام التي قمت بها من قبل، ولكن يجب أن تكون حَذِرًا هذه المرة، لا نريد أي أخطاء.
- الحذر جزءٌ لا يتجزَّأ من شخصيتي.. والمهام البسيطة هي التي تقلقني دائمًا.
- ولكنك أهلٌ لها.
- بالتأكيد.. ولكن الحذر واجب.

دفع عثمان بالشنطة التي بجوار قدمه نحو قدم جمال قائلًا:

- هذه دفعة أولى، وعندما تنتهي من المهمة سنرسل لك دفعة أخرى مماثلة.
- هل هناك تعليمات أخرى وأي شيء تريدني الالتزام به؟
- إلى الآن هذا كل ما عندي، ولكن كن مستعدًّا لأي تعليمات جديدة.. الأمور تتطور دائمًا بسرعة في الفترة الأخيرة، ولا نريدك أن تخطئ مثل مَنْ سبقك.
- ماذا لو فشلت أنا أيضًا؟
- لا يجب أن يكون هذا الخيار مطروحًا.

بمجرد أن عاد جمال إلى منزله باشر عمله.. فتح اللابتوب الخاص به وفي خانة بحث جوجل كتب (آدم وحيد)؛ فظهر له العديد من الصور.. ضغط على أحدها وتأمَّلها بتمعُّن، وبها آدم وبصحبته الناشر شريف رشدي.

- 4 -

دفع وائل بالرواية التي في يده إلى المكتب وقال في غضب:

- إنها كارثة.

حَدَّقَ به مجدي مُستفهمًا.. فأوضح:

- إنها رواية تحتوي على تفاصيل دقيقة لكل العمليات الإرهابية التي مرَّت بها مصر في السنوات الأخيرة، وتجيب عن كل الغموض الذي كان يحيط بهذه الجرائم.. لكن الكارثة الأكبر أنها تتنبأ بالمستقبل.. الحادثة التي حدثت من أسبوع كل تفاصيلها مذكورة في الرواية بالتفصيل المُمل.
- وهل هذا معقول؟
- الرواية تم نشرها منذ أكثر من ستة أشهر.
- بالتأكيد مفارقة ليس إلَّا.. الروايات صرح من خيال، ومن الوارد أن تتشابه مع الواقع.
- أتمنى ذلك، ولكن تفاصيل الرواية والعالم الذي تتناوله غريب جدًّا.. يجب أن تقرأها فورًا.. إن بها تفاصيل دقيقة لكيفية تنفيذ كل العمليات الإرهابية.
- الأمر خارج عن نطاق العقل.. هل من الممكن أن يكون هناك مَنْ ينفِّذ هذه الرواية مثل فيلم (بطل من ورق)؟
- لا أعرف، ولكن الفصول التالية في الرواية مُرعبة وستُحوِّل مصر إلى رماد.

ثم تساءل وائل:

- هل يمكن أن يكون مؤلف العمل هو العقل المدبر لكل هذه الجرائم، أو على علاقة بهذا التنظيم الإرهابي؟

هَزَّ مجدي رأسه بالنفي، وقال:

- من الصعب الجزم بذلك.. إن آدم شاب هادئ ومتزن ولم تنتج تحرياتنا عنه أي شيء يثير الشك.. حتى عندما قابلته في رحلة العودة من أسوان كان يبدو شخصًا جيدًا.
- وما الحل؟ هل نقبض عليه ونصادر روايته؟
- لا.. لا نريد أن نصنع منه بطلًا شعبيًّا.. لقد انتهى زمن المصادرة، والمنع وأي تصرف طائش في هذا الاتجاه لن نجني منه سوى المزيد من الانتشار الفيروسي لهذه الرواية.
- وما العمل؟

- أخضعه في الأيام التالية للمراقبة الصارمة، وتتبَّع كل تحركاته مع البحث المكثف عن أدق تفاصيل حياته السابقة، وأصول كل أفراد عائلته، وهل كان أيٌّ منهم على علاقة بأي تنظيمات إسلامية؟! باختصار أريد كتابة حياته منذ مولده إلى هذه اللحظة.

- 5 -

«لا مفر، إما أن تهرب أو تواجه.. المشكلة الصغرى هي أنك أضعف من أن تواجه أحدًا.. أضعف من أن تقف في وجه المدفع.. والمشكلة الكبرى أنك لا تعرف من أي اتجاه ستأتي القذيفة لتقضي عليك وتلقي بك في الجحيم.. بالتأكيد أنت ذاهب إلى الجحيم، أمثالك لن يعرفوا طريقًا للنعيم..

هناك عدو غامض لا يربطك به سوى أنك سرقت مذكرات مولاهم، وحولتها إلى رواية (بيست سيلر) يقرؤها العالم العربي من المحيط إلى الخليج، بل توسعت الرقعة، وهناك جمهور ليس بالقليل قرأ الرواية باللغات الأجنبية المشهورة، مثل الإنجليزية والإسبانية والفرنسية والألمانية.. نظريًّا لا حل أمامك سوى أن تستسلم وتصغى لكلام إمبابي عندما قال لك:

- إما أن تهرب أو تموت موتة سوداء.

أنت لا تحب فكرة الموت، ويرعبك حدوث ذلك، وبما أنك ما زلت صغيرًا لم تستمتع بعد بالحياة، ولم تتذوق حلاوة (المال والبنون)؛ لذا يناسبك الهروب ولكن إلى أين ستذهب؟».

أضاف آدم هذا الجزء في مسودة روايته، ومع ساعات الصباح الأولى كان بسيارته في سموحة، مَرَّ على مالك الشقة، وأنهى معه كل الأوراق المطلوبة ودفع له ثمن الإيجار. ومن هناك ذهب إلى شارع رشدي، حيث الشقة التي استأجرها، قضى عدة أيام محبوسًا فيها، وكلما مَرَّ يوم بعد آخر ولم يجد جديدًا تأكد بأن موضوعه ينتهي بهدوء.. وبدأ في اليوم العاشر يمسك ورقة وقلمًا ويكتب، ثم يخرج ليتمشى حتى ينشط ذهنه من أجل أن يستمر لأطول فترة في مُود الكتابة، لكن بمجرد أن رأى صورته منشورة في الجريدة مع الرجل ذي الذراع المقطوعة تذكر جريمة القتل التي ارتكبها في أسوان، والحلول أمامه معدودة؛ إما أن يهرب أو يسلِّم نفسه.. حينما فتح هاتفه المغلق منذ عدة أيام عرف بخبر موت شريف.. فلم يَعُدْ أمامه سوى أن يعود إلى القاهرة ويسلِّم نفسه.. هذا أفضل حل إذا كان يريد أن يحافظ على حياته.

*****

عندما اقترب من سيارته، ضغط على جهاز التحكم عن بُعد، فسمع صوت فتح أقفال الأبواب مع وميض مزدوج لفوانيس السيارة.. وضع حقيبته في شنطة السيارة، وجلس خلف عجلة القيادة، وأغلق الباب، ثم أغلق كل الأبواب أوتوماتيكيًّا، ووضع

المفتاح في موضعه.. لفت انتباهه خيال ما في المرآة، أعقبها في لمح البصر تحطيم زجاج النافذة المجاور له، انهمر الزجاج فوقه قطعًا صغيرة على صدره وفخذيه، شهق مصدومًا ثم مُدَّت يد وأمسكت بشعره وجذبت رأسه خارج النافذة، ثم ضربته ضربة أخرى أصابت أسنانه، فأطلق صرخة قوية متألمًا، ثم ضربة أخرى في وجهه فصلته عن الدنيا وشعر أنه دخل في كابوس لن ينتهي.

أثارت الجَلَبَةُ التي حدثت انتباه السايس الذي أتى مُسرعًا وهو يصرخ قائلًا:

- حرامي.. امسك حرامي.

ولم يكن أمام سعيد سوى أن يهرب الآن في لمح البصر.. لقد فشل للمرة الثانية وعليه أن يستعد لمصيره الأسود.

*****

أفاق آدم في المستشفى.. قضى عدة أيام حتى تحسنت حالته وتمكن من المغادرة.. أصلح زجاج سيارته المكسور، ثم في آخر اليوم عاد إلى القاهرة.. لم يعطه أحد وقتًا ليرتاح حتى قبض عليه البوليس بتهمة قتل الناشر شريف رشدي، وتطورت الأمور سريعًا عندما هرَّبه سعيد في أثناء ترحيله.. وطلب منه أن يختبئ بعيدًا عن الأنظار لأطول فترة ممكنة.

ذهب إلى دعاء وحكى لها ما حدث، فساعدته في الاختباء في الشقة المقابلة لها، ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن.. كان جمال يراقب دعاء طول الفترة الماضية، ما ساعده في العثور على آدم بأسهل الطرق، لذا لم يكن من الصعب أن يتسلل إلى غرفة نومه وينكزه في كتفه وهو نائم فيستيقظ مفزوعًا.

- صحِّي النوم.
- مَنْ أنت؟
- لماذا أغضبتهم؟

يتركه جمال ويقف أمام المرآة يُحكم رابطة عنقه.

- أنا لم أُغضب أحدًا، ولو فعلت فلم أكن أقصد.
- المشكلة الحقيقية أن الناس يرون أخطاءهم ويدركونها، ولا يكتفون بذلك، بل يريدون ألا يرى أحد أيضًا أخطاءهم.. يريدون أن يعيشوا مثاليين طوال حياتهم.

يربط زر البدلة الأوسط وكأنه أصبح في أفضل هيئة، وتابع:

- وأنا مهمتي إصلاح كل هذه المُعتقدات الخاطئة.. مهمتي التصحيح ووضع النقاط فوق الحروف.. حتى ينتظم هذا العالم ويسير كما هو مرسوم له.

ثم ينظر في عين آدم:

- ما هي أمنيتك الأخيرة؟
- لا توجد في حياتي أمنية واحدة هي الأهم، بل مجموعة من الأماني.. فكلما تحقق شيء نتمناه على الفور نتمنى شيء آخر، وهكذا يدور الإنسان في أوهامه إلى أن يموت.
- وأنا هنا لأجعلك تتوقف عن التَّمنِّي.

ثم يُخْرج من جيبه مسدسًا ويصوِّب نحو آدم الذي قفز من مكانه وتفادى الرصاصة التي اخترقت مقدمة السرير، ثم صوَّب عليه مرة أخرى فاصطدمت بزجاج النافذة، بحركة سريعة أمسك بالأباجورة ورماها في وجه جمال الذي عجز عن تفاديها فسقط على الأرض، ووقع منه مسدسه الذي أصبح تحت أقدام آدم، وحينما هَمَّ آدم بالتقاطه كان جمال في خفة حركة يضربه في قدمه، ويقلب المشهد لصالحه وأمسك المسدس، وأطلق عليه رصاصة دوَّى صداها في أرجاء البناية.

في تلك الأثناء فتح باب الشقة، ووجد دعاء أمامه.. وقعت عينه بعينها.. على الفور فطنت دعاء لما يجب عليها فعله، فجَرَت بهلع تقفز على الدَّرَج، بينما هو لم يرتبك، بل هندم ملابسه، ثم وضع المسدس في جيبه، وأحكم رابطة عنقه، وانطلق خلفها.

مصيدة الكتاب الأزرق

الفصل 23

زعيم جديد

- هل هو أيضًا يموت مثلنا؟

تساءل أحدهم، وهو يهمس إلى زميله الواقف بجواره في أثناء تشييع جثمان عبد ربه الذي قرروا أن يصنعوا له مقامًا؛ حتى يتبركوا به طوال حياتهم.. فرَدَّ عليه:

- اصمت؛ حتى لا يسمعنا أحد ونموت مثله.

- هل يمكن أن نحيا دونه؟
- قلت لك اصمت.

نزل الخبر كالصاعقة على الجميع، وتم إعلان الحداد لمدة ثلاثة أشهر، ولكن رفضوا أخذ العزاء قبل الانتقام من القاتل.. وعقب دفن الجثمان مباشرة نادى عثمان في الناس:

- أيها الناس، قال تعالى: «وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ».. صدق الله العظيم.. والزوجة الملعونة هي مَنْ قتلت مولانا عبد ربه -غفر الله له وأسكنه فسيح جناته - ومن الآن فصاعدًا ستكون مهمة كل القرية الانتقام من هذه الفاجرة.

هتف الجمع:

- الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.
- ولهذا سنقوم بتكليف أحد رجالنا المخلصين من أجل تنفيذ هذه المهمة في أسرع وقت.

*****

على الرغم من حزن عثمان على فقدان سيده؛ فإنه كان بداخله الكثير من المشاعر المضطربة والمختلطة، هل يحزن لموت مولاه أم يفرح لأنه من السهل أن يكون المهدي الجديد؟ عندما علم بمقتله شعر حينها أن فرصته قد أتت، وحان وقت أن يأخذ خطوة إلى الأمام.. ليس من المعقول أن يظل في دور التابع طوال حياته.. فالليالي التي قضاها يتخيل نفسه الرجل الأول لن تروح هباءً، وأخيرًا ستتحقق الأحلام.

علاقة عثمان بعبد ربه نشأت منذ أكثر من ثلاثين عامًا، كان حينها عثمان مراهقًا صغيرًا ضمن الخدم الخاص بعبد ربه.. كان فطنًا ومميزًا في كل شيء.. ما لفت نظر عبد ربه فقربه منه وتدريجيًا كسب ثقته حتى أصبح مساعده الأول.. والآن لم تتبق سوى خطوة واحدة ويصبح الرجل الأول، ولكن قبل ذلك عليه أن يقتص لمولاه هكذا تقول التقاليد.. كان من الجيد أنه تولى مؤقتًا زمام الأمور حتى يعطي لنفسه مساحة ليرتب الأوراق في الداخل ويمهِّد لمنصبه الجديد.. ذهب إلى القاهرة وبمجرد وصوله أرسل لجمال رسالة نصية على هاتفه ليقابله بعدها بساعتين في أحد المقاهي.

- المهمة هذه المرة غامضة.. فتاة لا نعرف مكانها.. ولكنها في الغالب هي هنا في القاهرة.. هذا تخمين ومهمتك أن تتأكد من وجودها هنا أو تعرف إلى أي مكان ذهبت.
- مثل هذه المهمات تحتاج إلى أجر مضاعف.
- لا مشكلة، سندفع أي رقم تطلبه، ولكن المهم أن تجدها في أسرع وقت.. وعلى فكرة لا مشكلة إن اضطررت لقتلها.
- من الرائع أنك تُسهِّل عليَّ المهمة.
- الفتاة تُدعى دعاء.

قدم له صورة لها وهي بفستان الزفاف، تشبك يدها بذراع عبد ربه، إنها الصورة الوحيدة لها، وتابع:

- تزوجها مولانا، وفي ليلة الدخلة غدرت به الملعونة وقتلته.

حَمْلَقَ جمال جيدًا بالصورة، وتذكَّر الفتاة التي شاهدها تدخل عليه الشقة بعدما قتل آدم، ثم راح يطاردها إلى أن أفلتت منه في محطة المترو.. وقال بإصرار:

- سأفعل كل ما في وسعي حتى أنتهي من هذه المهمة خلال أيام قليلة.
- نحن نعتمد عليك الآن بشكل كلي.. وفي الأيام القادمة سيكون هناك مزيد من الأعمال.
- أنا رجلكم المطيع.. وسأفعل أي شيء من أجلكم.
- وهذا هو المتوقع من شخص محترف مثلك.
- ولكن اسمح لي من سيكون المسئول القادم عن أمور القرية؟
- إلى الآن لم نحدد بعد.
- أنت أهلٌ لهذا المنصب.
- لكن التركة ثقيلة، ولا أعرف إذا كنت سأقدر على حملها أم لا.
- ستكون خير خلف لخير سلف.. أنا أدعمك بشدة.. وسأنجح في هذه المهمة من أجلك حتى ترتفع أسهمك.

ابتسم عثمان، وراح يتخيل كيف سيكون وهو في هذا المنصب الرفيع.

*****

كثف جمال من مهمة بحثه عن دعاء.. لم يكن الأمر صعبًا، فهو معتاد على مثل هذه المواقف باستمرار.. صحيح هو لا يعرف عنها الكثير، ولكن لو فكر بنفس منطقها سيكون من السهل تخمين مكانها وهذا ما حدث.. بعد أسبوع من المراقبة المستمرة لمحها تعبر مدخل العمارة، وهذه كانت فرصته ليتخلص منها.. مَدَّ يده وفتح دُرج

التابلوه وسحب من داخله المسدس وتأكد من أن به الرصاص، وضعه في جيبه وترجَّل من سيارته منطلقًا إلى داخل العمارة.

صعد في الأسانسير، وعندما وصل إلى شقتها أخرج مسدسه واستعد وهو يضغط على جرس الباب.. انتظر قليلًا وبمجرد أن فتحت دعاء باب شقتها دفعها فسقطت للداخل، ودخل وأغلق الباب خلفه.. حاولت أن تزحف هربًا منه لكنه كان أسرع منها وركلها بطرف حذائه في بطنها فتألمت، وقال لها:

- لقد طال انتظارك يا عروسة.
- مَنْ أنت؟

ولكنها تذكَّرت على الفور، فأجابت على نفسها:

- أنت مَنْ قتل آدم.
- عندما رأيتك أول مرة لم أكن أعرف عنكِ سوى أنك شاهدتني وأنا أقتل آدم، ولكن الآن أنا مُكلَّف بشكل رسمي بقتلك.
- هل عبد ربه لا يزال حيًّا؟
- لا، لقد مات بعدما طعنتِه عدة طعنات في صدره، ومطلوب مني أن أفعل بكِ مثلما فعلتِ به.

وأخرج سكينه من جيبه، وقبل أن يضربها تمكنت من إصابته بطرف قدمها اليمنى في ما بين فخذيه، فوقع على الأرض متألمًا.. كانت إصابة قوية ومباشرة أعطت لها مساحة لكي تهرب إلى داخل غرفة نومها.. وقفت تلهث خلف الباب مع كل ثانية تمر، كانت خطوات مُطاردها ترتفع.. دقات القلب وسيلان العرق يتدفق على خدها، نظرت حولها.. فتحت دولاب ملابسها وسحبت عود الخشب الذي تتعلق به الشماعات -ظنًّا منها أنها قد تكون مفيدة- لتسقط كل ملابسها في أرضية الدولاب.

بمسدسه الكاتم للصوت ضرب رصاصتين ففتح الباب، كانت مختبئة فضربته بمجرد دخوله والتقطت السكين من يده.. وقف بصعوبة وقد أفقدته الضربة على رأسه الكثير من قوته.

لم تقتله من الطعنة الأولى التي سددتها مباشرة في قلبه، ولكنها استطاعت أن تسدد له طعنتين إضافيتين، كانتا كافيتين حتى يسقط مُرتطمًا بالأرض.. لم تكن لحظتها تسمع سوى صوت أنفاسها اللاهثة وهي تمسح مخاط أنفها الذي سال من فرط خوفها.

السّاعة 11:11

لا مزيد من النّهايات السّعيدة

- 0 -

«أستطيع أن أدلك على قاتل زوجتك.. في حالة لو كان لديك رغبة حقيقية في الانتقام».

وضع مجدي الورقة في جيبه ولم يخبر أحدًا بما فيها.. كان وائل بانتظاره حيث قام بمساعدته في حمل حقيبته وبعض المتعلقات، ودفعه بالكرسي المتحرك الذي يجلس عليه إلى السيارة.

طوال الطريق لم يتحدثا.. ظل الصمت حاضرًا بينهما إلى أن وصلا إلى الشقة.. صعد به وائل ووضعه على السرير ورتَّب له كل شيء، وقبل أن يغادر قال له:

- سأعود إليك في المساء.. يجب أن تنام الآن.

هَزَّ مجدي رأسه له.. وبمجرد خروج وائل من الغرفة أخرج الورقة مرة أخرى وقرأ ما بها.. كان يشغله شيء واحد.. هل فعلًا ما حدث له كان مُدبرًا؟

لم يستطع النوم.. وظل التفكير ينخر في عقله بلا انقطاع، ولكن رنين جرس الباب جعله يتوقف.. لم يكن الأمر صعبًا عليه أن ينقل جسده إلى الكرسي المتحرك.. ثم دفع بالإطارات المعدنية فتحرك حتى تجاوز باب الغرفة واقترب من باب الشقة.. رَنَّ الجرس مرة أخرى.. ففتح.. طالعه شخص غريب لم يستطع أن يتعرف عليه وهو يرتدي الكاب والنظارة الشمسية الضخمة، وقال له:

- كنت بانتظاري، أليس كذلك؟
- مَنْ أنت؟
- أنا مَنْ أرسل لك الورقة مع بوكيه الورد.. كنت متوقعًا أن الأمر سيثير رغبتك.
- ماذا تعرف عما حدث لي؟
- هل يمكن أن أدخل؟

حدَّق به مجدي مُفكرًا.. كانت علامات التردد ظاهرة على وجهه، ولكن رغبته في معرفة ما حدث كانت أقوى، فدفع بالإطارات إلى الخلف وأفسح له المكان ليدخل ثم أغلق الباب خلفه.

في الصالة جلسا.. ثم نزع الرجل الغامض الكاب والنظارة الشمسية وعرَّف نفسه:

- أنا سعيد سعيد.

فقال مجدي بنبرة جافة:

- لا أعرفك.. ولكن هل يمكن أن توضح لي ما حدث؟
- أولًا، هل تستطيع أن تضمن لي الحماية؟

صمت مجدي لوهلة، ثم اكتفى بقول:

- أفهم أولًا ثم أقرر.
- مَنْ اصطدم بك؟ شخص يُدعى جمال الشافعي؟

سرح مجدي بنظره بعيدًا وكأنه يحاول أن يتذكر، ثم قال:

- لا أعرفه أيضًا.
- ولكنه يعرفك جيدًا.. وقد كُلِّف بمنعك من مواصلة البحث في القضية التي تعمل عليها.
- أي قضية تقصد؟
- قضية التفجيرات الأخيرة.. ومقتل الناشر المعروف.
- ومَنْ يكون خلف ذلك؟
- سأخبرك بكل شيء في موعده، ولكن كل معلومة يجب أن يكون لها مقابل.
- ماذا تريد؟
- ما أريده ستعرفه في وقته.

- 1 -

رفع سعيد درجة الفضول عند مجدي إلى مداها الأخير.. تركه معلقًا في الهواء.. لا يفعل أي شيء سوى أنه يفكر بلا انفصال.. كان التلفزيون قيد التشغيل وهو يشاهد ولا يركز مع المعروض به.. ما يشغله شيء واحد فقط.. أن يعرف ما يخبئه عنه سعيد.

جذبه رنين جرس الباب الذي يتردد صداه في جميع أنحاء المنزل، وعندما حاول تجاهله رَنَّ الجرس ثلاث مرات أخرى.. مُرْغَمًا تحرك من مكانه، أطفأ التلفزيون، واتجه إلى باب الشقة.. وقبل أن يفتح الباب رن الجرس للمرة الخامسة.. كان وائل.. حدَّق به قليلًا وهو يبتسم له قبل أن يقول له:

- أهلًا وائل.. كيف حالك؟
- بخير يا مجدي باشا.
- تفضل بالدخول.

تقدم إلى الداخل وأغلق الباب خلفه.. ثم تبعه نحو الصالون حيث جلسا:

- زيارتي لك بشكل رسمي.

حدَّق به مطالبًا بالمزيد من الإيضاح:

- بمعنى؟
- سنقبض معًا على قاتل زوجتك.
- هذه مشكلتي أنا وحدي.
- وأنت بالنسبة لي أكثر من أخ، وكل ما يمسك يمسني.
- الأمر صعب لا أستطيع تجاوزه.
- أنت بحاجة إلى الوقت، وستكون أفضل.
- أتمنى ذلك.

صمتا لبعض الوقت وكأن الكلام انتهى، ثم قال وائل الذي كان مُترددًا فيما يريد قوله:

- العمليات الإرهابية لا تتوقف، وأعتقد أن وصولنا إلى قاتل زوجتك سوف يُسهِّل علينا العثور على مُرتكب الجرائم الإرهابية التي تحدث باستمرار.
- وما العلاقة؟
- بمراجعة الكاميرات وجدنا أن هناك شخصًا كان يطارد فتاة ما.. وبالرجوع إلى الخلف وجدنا أن الفتاة هربت تقريبًا في توقيت الاعتداء نفسه على آدم، وغالبًا هذا القاتل

المحترف هو مَنْ سيقودنا إلى حل هذه القضية.

- لماذا بنيت هذا الاحتمال؟
- مجرد شعور بأنه سيقودنا إلى حل كل هذه الألغاز يزداد داخلي.
- ولكن من أين نبدأ؟
- بعد مراجعة كاميرات المراقبة والتحريات وجدنا أن السيارة التي اصطدمت بها ملك لضابط سابق يُدعَى جمال الشافعي، على الأغلب من الضباط المنشقين.

وهنا تذكر مجدي ما قاله سعيد: «مَنْ اصطدم بك؟ شخص يُدعَى جمال الشافعي؟».. ثم سأل مستفسرًا:

- وماذا يعمل بعد انشقاقه؟
- لم تكن له أنشطة واضحة.. التحريات المبدئية تقول إنه يعمل مسئولًا أمنيًّا عن أحد النوادي الليلية.. لكن العجيب أن حساباته في البنوك لم تكن تأتي لها أي تحويلات من الخارج أو الداخل.. غالبًا ما يعتمد على الكاش في تعاملاته.
- وهل استطعتم تحديد موقعه؟
- نعمل على ذلك الآن.. هو مُختفٍ منذ فترة ولا يعرف أحد عنه أي شيء.. ولكن هناك أمر أكثر أهمية أيضًا.
- ما هو؟
- أعرف أن حالتك لا تسمح، ولكن يجب أن تأتي معي إلى المقر، هناك شيء مهم يجب أن تطَّلِع عليه بنفسك.

*****

اصطحبه وائل إلى مكتبه، وهناك جلسا وطلبا فنجانين قهوة، وقال له قاتلًا فضوله:

- اكتشفنا أن رسمة المتاهة ليست بتلك السطحية التي تصورناها.
- بمعنى؟
- فريق حل الشفرات بدأ يضع يده على ماهية هذه المتاهة والهدف منها.
- وإلى ماذا وصلوا؟

نظر في ساعته وهزَّ رأسه قائلًا:

- سوف يأتي الآن لمقابلتنا.. إنه على وشك الوصول.

طرق الباب ودخل قائد فريق حل الشفرات الذي رحَّب بهم، وقال بإيجاز بعدما جلس أمام المكتب:

- المتاهة ما هي إلا خريطة للأماكن المُستهدف تفجيرها.

وفتح حقيبته وأخرج منها الكثير من الأورق.. ثم أمسك بخريطة القاهرة والجيزة ووضع عليها المتاهة، وتابع الشرح:

- كل فتحة في هذه المتاهة تشير إلى مكان ما على الخريطة، وبتتبع بداية المتاهة ومطابقتها مع أماكن التفجيرات سنجد أنها تتطابق؛ لهذا نستطيع القول إن المكان التالي المُستهدف سيكون ميناء دمياط، ونعمل الآن على إيجاد معيار لمعرفة أوقات التفجيرات.

قال مجدي مُنفعلًا:

- إنها كارثة.. لا يمكن أن نسمح لها بالحدوث.

فأزاد قائد حل الشفرات الأمر سوءًا قائلًا:

- الرموز هنا شديدة التعقيد، وكل موعد تفجير كُتِب بطريقة مُعقدة عن الآخر.. نحن فعلًا أمام متاهة حقيقية.
- وهل توجد علاقة بين حالات القتل والتفجيرات؟
- لا نعتقد أن هناك علاقة.. لأن الأماكن التي تم تنفيذ عمليات القتل فيها لا تتطابق مع أي من مداخل المتاهة.. ولكن هناك احتمالية لوجود علاقة غير مباشرة أو غير واضحة بالنسبة لنا.. كما قلت لك من قبل، نحن أمام تنظيم محترف يعرف ماذا يفعل ويخطط بمنتهى الدقة.. وبالمناسبة هي دقة غير مسبوقة.
- هل كنا نتعامل بهذه السذاجة مع المتاهة طوال هذا الوقت؟
- إنها شفرة معقدة لم نتعامل مع مثلها من قبل، بالإضافة أن هذا النمط ليس شائعًا في المنطقة العربية أو حتى العالم.. إنه يوجد في الأفلام الأمريكية فقط.
- المشكلة أن الجهة المنفذة لهذه التفجيرات مجهولة تمامًا بالنسبة لنا إلى الآن وهذا ما يجعل الوضع أكثر صعوبة.. على كلٍّ يجب أن نعرف توقيت العملية التالية في أسرع وقت ممكن، نحن نعتمد عليك.
- نحن نعمل على ذلك ليل نهار.. استهداف الميناء سيكون أكبر كارثة في تاريخ البلاد.

قالها قائد حل الشفرات ثم لملم أوراقه ووضعها في الحقيبة، وسلَّم عليهم ورحل.

- هل رواية مصيدة الكتاب الأزرق ممكن أن تدلنا على موعد العملية القادمة؟

سأل مجدي وهو ينظر نحو النافذة مُفكرًا، بينما وائل لايزال جالسًا أمام المكتب، فأجابه:

- للأسف الرواية ليس بها ما يدل على المواعيد، ولكن على حسب الرواية التفجيرات ستكون في أربع حاويات.. والبحث عنها وسط المئات من الحاويات سيستغرق وقتًا طويلًا.

تنهَّد مجدي وقال وهو يهز رأسه في إصرار:

- إذًا الحل الوحيد أن نجد حلًا لشفرات المتاهة.

- 2 -

هل سأظل هكذا في هذا العذاب؟

استيقظ آدم ليجد جسده ممددًا على سرير متصل بالأجهزة الطبية، ويده مُعلَّق بها المحاليل.. يتذكر المرة الأولى التي تم الاعتداء عليه ودخل على إثرها المستشفى، إلا أنه لم يستغرق به كثيرًا، ولكن هذه المرة هو في أسوأ حال.. حالته أصبحت مستقرة إلى حد ما ومع ذلك ليست الأفضل.

كتب له فرصة أخرى للعيش بعدما حاول أحدهم قتله.. ولكن مَنْ سيحاول قتله في المرة القادمة بالتأكيد سينجح.. لذا كان لديه إصرار حقيقي بأن يضع حدًّا لهذه الرواية الملعونة، لقد سرقها، وهو مستعد أن يعترف حتى يتوقف هذا الجحيم الغارق داخله، وحتى لو تكلف الأمر بأن يعترف أمام الجميع بأنه سارق.. لم يَعُدْ يريد من الحياة أي شيء ولا شهرة ولا مجد زائف ولا بطولات وهمية.. هو يريد أن يعيش في سلام ولتذهب الكتابة والشهرة إلى الجحيم.

أخبرته الممرضة أنها اتصلت برجال الشرطة وأنهم على وشك الوصول.. لم يكن يعرف هل سيمتلك الشجاعة الكافية ويحكي الحقيقة أم لا.. إنه موقف صعب واختبار حقيقي لمبادئه، وطالما أنه ليس لديه مبادئ فالأمر سيكون تحت سيطرته.

دخل عليه مجدي وهو يتسند على عكازه ومعه وائل، وقدَّم نفسه له قائلًا:

- أنا الضابط مجدي المهندس، أعتقد تقابلنا من قبل.

هزَّ رأسه له مُتذكرًا ذلك، ثم قدَّم زميله:

- الضابط وائل مساعدي.
- أهلًا بكما.. تفضلا.

جلس الاثنان، واستهل مجدي الحديث:

- لن نطيل عليك.. أعرف أن حالتك لا تتحمل التحقيق، ولكن نحن في سباق مع الزمن، هناك جماعة إرهابية لم تتوقف عن تخريب البلد، وهناك سلسلة من الجرائم تُرْتَكب، ويجب أن تساعدنا في حل هذه الألغاز.

كان آدم على وشك أن يعترف له ويزيح الهَمَّ عن صدره، ولكن في اللحظة الأخيرة قال:

- أنا لا أعرف أي شيء.. الشيء الوحيد الذي أعرفه أن حياتي في خطر، ومُتورط في قتل شريف، ولا أعرف كيف سأنقذ نفسي من كل هذا.
- قضية مقتل شريف لا يوجد أي دليل مادي على أنك القاتل.. لكنك استعجلت وهربت.
- لم أهرب، هم مَنْ قاموا بتهريبي.
- مَنْ هم؟
- لا أعرفهم كانوا ملثمين.
- ومَنِ الذي حاول قتلك آخر مرة؟
- لا أعرف.
- هل الأمر له علاقة بالاعتداء عليك في الإسكندرية؟
- لا أعرف.. من فضلك، أنا مُرهق وأريد أن أنام.

استجابوا لرغبته ورحلوا.. بينما آدم نام لساعة أو ساعتين ثم قام ليقضي حاجته، وعند عودته نظر من النافذة فشاهد سعيد يقف في الخارج.. لم يكن هناك أي مفر، ويجب أن يأخذ قراره على الفور.

بعد خمس ساعات طلب مقابلة الضابط مجدي الذي أتى ومعه وائل وسأله مباشرة:

- هل ستساعدنا هذه المرة؟

ردَّ عليه آدم بسؤال:

- هل ستضمن حمايتي؟
- أضمنها لك.. وسأُعيِّن لك حراسة خاصة تلازمك ليل نهار.. وإذا تطلَّب الأمر سأقوم بنقلك إلى مكان سري تعيش به طوال حياتك.
- ثانيًا، لا أريد أن يصل ما أقوله إلى الصحافة.

في هذه اللحظة تذكر مجدي زوجته رشا واستيقظ الجرح في قلبه.. وكاد يبكي كلما نبهه عقله أنها ماتت.. لكنه تدارك مشاعره، وقال بمنتهى الجدية:

- بشرفي لن يعرف الإعلام حرفًا.
- سأحكي لك كل شيء، ولكن أفضل أن يكون بيننا أنا وأنت فقط.

شعر وائل بالإحراج من طلبه.. فسحب نفسه واستأذن على الفور قبل أن يطلب أحد منه ذلك.. وبدأ آدم يحكي:

- الموضوع بدأ بأنني عثرت على مذكرات مجهولة بغلاف أزرق قديم مكتوب عليها المسودة 107، عندما قرأتها وجدتها تصلح لتكون رواية جيدة.. لم أعرف مصدر هذه المذكرات ومَنْ كتبها.. ولكنني اكتشفتها مع مجموعة من الكتب القديمة في المنزل الذي سكنت به منذ سنتين.. وعندما تأكدت أن هذه المذكرات بلا صاحب قررت أن أعمل على تحويلها إلى عمل روائي.. بذلت كل ما في وسعي حتى أصل بهذا النص لهذا المستوى المُتقن من السرد الدقيق.. وقد كان، وحققت الرواية شهرة واسعة.. وبعد فترة بدأت تأتي لي رسائل تهديد ومع مرور الوقت عرفت أن المذكرات هي ملك لمؤسس جماعة إرهابية في الصعيد يدعى عبد ربه الشمالي.. رجل مجنون يحلم بالوصول إلى الحكم والسيطرة على البلاد.. لا أعرف مكانه ولا أي شيء عنه سوى أنني أصبح مطلوب قتلي على ما اقترفته بنشري تلك المذكرات.
- إذًا العمليات الإرهابية التي تحدث مؤخرًا ليست عشوائية، بل مخطط لها بعناية فائقة.
- أعتقد ذلك.. ومحاولة قتلي كان مخططًا له أيضًا.

طرق الباب، دخل وائل، يبدو من ملامح وجهه أن هناك أمرًا مهمًا، فقال له مجدي:

- ماذا هناك؟
- لقد قُتِل جمال الشافعي.

وفي تلك الأثناء وصل لهاتف مجدي رسالة نصية قصيرة كان بها:

«أنا سعيد.. وأريد مقابلتك الآن.. سأخبرك بحل لغز العملية القادمة».

تقرير سري 3

أعطانا سعيد موعد العملية القادمة، وأوضح بعض الأشياء حول كيفية فهم الأرقام والحروف المدونة على المتاهة، وطريقة التعامل معها بشكل صحيح، وأكد إنها الطريقة نفسها التي يتم تكليفه بها في تنفيذ المهام التي يطلبونها منه.

ومقابل هذه المعلومات القيِّمة سوف تتم معاملته معاملة الشهود، وستتم حمايته إذا تطلَّب الأمر.

في الحال، تم إعلان حالة الطوارئ القصوى، وفُتحت غرفة العمليات، فلم يكن هناك مُتسع من الوقت حتى تتحرك القوات، الساعة الآن الثالثة والعملية في الخامسة.

كانت الأمور تُدار من أعلى المستويات، فتم فتح قنوات الاتصال مع كل المسئولين، وخلال دقائق معدودة تم وضع خطة مناسبة سيشارك في تنفيذها الكثير من قطاعات الشرطة والجيش.

بدأ الأمر بنقل مجموعات كبيرة من القوات عبر الطائرات التي هبطت بهم في محيط الميناء، وانتشروا وفق التعليمات، كلٌّ في المكان المُتفق عليه.. ومن قبل ذلك قد تم إيقاف حركة الملاحة في الميناء، وتم تشكيل عدة فرق متخصصة لتفتيشها والبحث عن المتفجرات بها.. كان الوضع مُرهقًا، فتمشيط ميناء مُكدس به مئات الحاويات الضخمة لن يكون بالأمر الهيِّن، وسيستغرق الكثير والكثير من الوقت والجهد، ولكن لم تكن هناك حلول أخرى سوى أن يقبلوا هذا التحدي الصعب.

بواسطة عشرات الأجهزة المُعدة لكشف المتفجرات تم تحديد أربع حاويات جافة مشتبه بها، وعلى الفور انسحب قطاع كبير من الجنود، وتقدمت فرقة من القوات المسئولة عن تفكيك المتفجرات.. فتحوا كل الحاويات بحذر شديد، حيث كانت غارقة بالبضائع الخفيفة، والمتفجرات مدسوسة بينها.. تقدم بعض المهندسين وبدأوا في إبطال مفعول تلك المتفجرات.. في خلال نصف ساعة أعلنت أجهزة الكشف أن ثلاث حاويات أصبحت خالية، أما الحاوية الأخيرة كان وضعها مُعقدًا والمتفجرات بها تحتاج لوقت أطول من أجل أن يتم إيقافها، وفي المقابل لم يعد هناك سوى ربع ساعة، فتم اتخاذ القرار على الفور بالتخلص من الحاوية في البحر.

أغلقوا الحاوية جيدًا، وبالعديد من السلاسل قاموا بربطها بالطائرة التي حلَّقت بها بعيدًا بما يكفي، ثم قامت بإلقائها لتسقط في المياه مُحدثةً انفجارًا هائلًا.[(5)]

مصيدة الكتاب الأزرق

الفصل 28

فرصة أخيرة

عثمان خلف الله الجحش.

دائمًا ما يقدم نفسه للناس هكذا، ولكن معظم الناس لديهم نفس سوء الفهم وكأن عقولهم بُرْمِجت بنفس الكيفية الحميريَّة، إلا أنه اعتاد على هذه العقول النَّجِسة وتأقلم معها بمنتهى الراحة والسلام النفسي.

في الحقيقة هو يعتز بهذا الاسم؛ لأن سيده ومولاه عبد ربه هو مَنْ أعطاه هذا اللقب حتى يبعد عنه كل الحظ السيئ، ومع ذلك لم يضمن له أي حظ جيد، كان يعيش حياة متدنية، مجرد خادم حقير، وبفضله أصبح يعيش حياة أفضل، فلم يكون غريبًا بعد وفاته أن يفقد النور الذي كان يأخذ بيده إلى الطريق المستقيم، وارتعب عندما قال لنفسه: كيف سيأخذ بكل هؤلاء إلى عالم الهداية.

إنه أقل من أن يتحمَّل هذا الوضع الجديد.. الناس سلَّمت حالها له وتريد منه أن يجلس مكان مولاه.. الأمر من وجهه نظرهم بسيط.. مات رجل فأتينا برجل آخر مثله.. ولكن مَنْ مات رجل لا يُعوَّض ولن يعرفوا له بديلًا.. عثمان سيكون مُقصِّرًا في حق الجميع لو رفض هذه المكانة.. لأن مَنْ يعرف خبايا وأسرار هذا المكان؟ هو.. مَنْ ورث العلم ويعلم بكل تفاصيل الدنيا والدين.. هو.. مَنْ أدرى بالآخرة.. هو.. هو.. هو الشخص المناسب الذي سيقود هذه القرية إلى النصر المبين.. وتحقيق الحلم بالاستيلاء على الحكم في الموعد المحدد.

فاق عثمان من شروده على صوت رنين هاتفه.. كان جالسًا في المجلس من أجل مراسم تنصيبه على العرش.. ردَّ على الفور، وبعد لحظات أغلق هاتفه، وقال لمَنْ حوله:

- هناك خبر مزعج.. لقد قُتِل جمال.

قال أحد رجال المجلس:

- مَنِ الذي يجرؤ على فعل ذلك؟
- إلى الآن لا نعرف مَنْ قتله.

وسأل رجل آخر:

- وأعمالنا مَنْ سيقوم بها؟
- للأسف الشديد، ليس لدينا بدائل كثيرة، أو بمعنى أدق، ليس لدينا سوى اختيار واحد.
- تقصد؟!

وهزَّ رأسه قائلًا:

- إنه هو سعيد سعيد.

فقال أحدهم مُتهكمًا:

- ولكنه فشل في مهمته؟
- نعم فشل، لكنه حل مؤقت إلى أن يتم تجنيد شخص آخر بنفس الكفاءة والخبرة.. بالإضافة إلى أن سعيد سيسعى ليثبت لنا أننا كنا مُخطئين في الاستغناء عنه.

وقال آخر مُذكِّرًا:

- لكننا قتلنا زوجته وابنه!
- سعيد يحب مهنته أكثر من أي شيء آخر.. إنه مهووس بالقتل ورؤية الدماء.

وأمسك بهاتفه، وفتح الرسائل وكتب.

*****

مقتل زوجته وطفله لم يترك داخله سوى النار التي تحرق قلبه كل ليلة.. ولم يعد أمامه فعل أي شيء سوى أن يشرب حتى ينسى ويمر الوقت أو تعود الحياة إلى طبيعتها.. لا بد من وجود مخرج لما هو فيه.. لم يكن الانتقام يعمي بصيرته لكن حاول قدر المستطاع أن يُفْسِد مخططات جماعة عبد ربه.. ساعد آدم وأنقذه من السجن، ولم يتردد في أن يحل لرجال الشرطة ألغاز المتاهة.

وصلت الرسالة إلى هاتفه، وبما أنها بنغمة مميزة تختلف عن باقي نغمات الرسائل الأخرى، فأمسك الهاتف بلهفة مَنْ ينتظر رسالة من حبيبه، وفتح الرسالة فوجد بها:

«نتقابل غدًا في نفس الموعد والمكان، ولكن قبل ذلك يجب العثور على هاتف جمال بأي ثمن».

انقبض قلبه وخاف أن يكون عبد ربه قد أمر بقتله بعدما عرف بخيانته لهم.. وإلا فلماذا هاتف جمال؟ كان الأمر غامضًا لذا بدد كل شيء بإرسال رسالة جديدة إلى

عثمان يستفسر فيها عن الهدف من العثور على هاتف جمال، فرَدَّ عليه عثمان بأن جمال قد قُتِل وسقوط هاتفه في يد الشرطة يمكن أن يسبب لهم الكثير من المشكلات.. تفهَّم سعيد الأمر جيدًا، على الرغم من أنه يدرك أنه حتى لو سقط الهاتف في يد الشرطة؛ فلن يصلوا إلى أي شيء، ولكن الاحتياط واجب.

في تلك اللحظة أمسك سعيد نفسه سعيدًا بأنه عاد إلى العمل.. لا يعرف تحديدًا ما الذي حدث له عندما تم تكليفه بمهمة جديدة، وكأنه مضطرب نفسيًّا، نسى ثأره ونسى طفله وزوجته.. نسى كل شيء ولم يستطيع أن يخفي فرحته بعودته إلى العمل مرة أخرى.. كان حقًّا سعيدًا.

بدأ على الفور في مباشرة عمله المُتَيَّم به.. أجرى اتصالاته، وكما توقَّع حرَّزت الشرطة الهاتف، ولكن بمساعدة الضابط مجدي قام بتبديله بهاتف من نفس النوع والموديل.. واهمًا مجدي بأن هذا من أجل أن يُوقِع بأفراد تلك الجماعة الإرهابية الغامضة.

في اليوم التالي، ذهب سعيد إلى موعده مع عثمان، وقدم له الهاتف قائلًا:

- هذا الهاتف عربون بسيط حتى نفتح صفحة جديدة وننسى ما مضى.
- دع الهاتف معك.. وبالفعل نحن فتحنا صفحة جديدة.. وأنت أصبحت مُكلَّفًا بمهمة جديدة.

ابتسم وارتسمت علامات السعادة على ملامحه، وسأل بلهفه:

- ما تفاصيل تلك المهمة؟
- المهمة أنت تعرف تفاصيلها بما أنك كنت مسئولًا عنها في السابق.
- هل يوجد جديد؟
- نعم، كان المطلوب سابقًا اختطاف آدم فقط، الآن المطلوب آدم ودعاء أرملة مولانا.
- هل مات؟!

قالها سعيد بذهول غير مُصدِّق، فأوضح له عثمان:

- لقد قتلته دعاء وهربت ليله زفافه.
- هل أقتلهما؟
- في أسرع وقت، الأمر أصبح لا يحتمل أي تأخير، خاصة بعد مقتل جمال.
- هل معقول أن دعاء قتلت جمال؟

فقال عثمان مُباغتًا:

- أتمنى ألا يكون لك يد في قتله.

أربكته الجملة الأخيرة، وراح سعيد ينفي عنه كل التهم قائلًا:

- إطلاقًا لم أفكر في هذا.. كيف من الأساس تتهمني بفعل ذلك؟
- قلبك المكلوم في لحظة ضعف من الممكن أن يفعل أي شيء.
- لا لم أفكر إطلاقًا في ذلك.
- أيًّا كان ما بداخلك.. يجب أن تعرف أن العقاب في الدنيا هو تطهير حقيقي.. الكل سيموت.. أيًّا كان السبب والطريقة، الكل سيموت.

هزَّ سعيد رأسه، ثم صمت مُقتنعًا بكلامه ثم سأل:

- كيف مات جمال؟
- وجدوه مقتوًلًا في شقة دعاء.. من الواضح أنها هي التي قتلته، ومن الضروري أن نعرف هل فعلت ذلك بمفردها أم كان أحد معها؟
- هذا غريب.. جمال رجل محترف ولا يسقط بسهولة.
- هذه من عجائب الله في الأرض.

وهزَّ سعيد رأسه مُؤمِّنًا على حديثه، ثم سأل بمرح:

- كم ستكون أتعابي هذه المرة؟
- لا أحد يستطيع أن ينافسك على حب المال.. على العموم لقد اتفقنا عليها سابقًا.
- الآن الوضع تغيير، وتم طردي وعقابي ثم عودتي.
- ماذا تريد؟

فقال بتوسل:

- ألا يتم قتلي حتى لو فشلت في مهمتي.
- مع أن هذه المرة لا يوجد مجال لأي فشل، ولكن سأضمن لك أننا لن نأمر بقتلك.. ولكن يجب ألا تفشل.

(5) تقرير سري أعدَّه الضابط مجدي المهندس.

- 3 -

كانت القاعدة الأهم التي تربَّى عليها: (طالما تحصل على ما تريد عندما تنجح، فيجب أن تتقبَّل أن يُؤْخَذ منك ما تحب عندما تفشل).

وهو يدرك أنه المسئول عما حدث لأنه فشل في مهمته، ويتفهم أن لكل فشل عقابًا، ورغم قساوة عقابه فإنه بينه وبين نفسه يعرف جيدًا أنه يستحقه بل وكان يتوقعه.. راودته فكرة الانتقام بمجرد فقده لعائلته وخاصة عمله.. صحيح هو قاتل مأجور ولكن عمله مع عبد ربه كان الأكثر إثارة وقربًا إلى نفسه.. عندما كان يتم تكليفه بمهمة كان يظل طوال الوقت لا يفكر سوى بها كالمجنون، ولهذا لم يستغرق كثيرًا حتى أخذ قراره بأن يقبل بالعودة وينسى ثأره، ويخلق لنفسه تحديًا جديدًا ليثبت لهم بأن فشله كان مجرد سوء حظ لا أكثر.

بدأ في متابعة آدم.. كان في المستشفى منذ شهر أو أكثر ولم يتم تحديد أي موعد لخروجه.. فلم يكن أمامه سوى أن يخطط للدخول له، وإنهاء المهمة في الداخل رغم صعوبة ذلك.

تنكَّر في زي طبيب ودخل المستشفى قاصدًا غرفة آدم، والتي كانت بالدور الرابع رقم 411 وأمامها حارسان، وبما أنه الآن طبيب فلن يشك هذان العسكريان به أبدًا.. ألقى عليهما التحية ودخل، ودارت عيناه في الغرفة سريعًا فلم يجد بها أحدًا.. فخرج منزعجًا وهو يوجه حديثه لهما:

- أين ذهب المريض؟

هرع الحارسان إلى الداخل وفتشا كل شبر في الغرفة، وعندما لم يجدا شيئًا اتصلا بقائدهما.. وتركهما وراح يبحث عن آدم في كل مكان محتمل أن يختبئ به، إلا أنه لم يصل إلى أي شيء يدل عليه فعاد إلى منزله.

في نهاية اليوم سمع صوت رنين هاتف.. كان هاتف جمال الموضوع على الطاولة.. و المتصل سعاد.. لم يكن يعرفها ولم يكن لديه أي رغبة في الرد، فترك الهاتف يرن إلى أن انتهى.. رنَّ الهاتف مرة أخرى ثم أخرى.. أكثر من 10 مرات، وفي المرة الأخيرة قام بالرد:

- لماذا لا ترد سريعًا؟
- ماذا تريدين؟
- آدم هنا، يريد أن يختبئ عندي لعدة أيام، وأريدك أن تخلصني منه كما اتفقنا.
- اعطيني العنوان.

- هل نسيته بهذه السرعة؟
- مشاغلي كثيرة.. وذاكرتي ليست قوية.
- لا مشكلة سأرسل لك رسالة بالموقع.. إلى اللقاء.

ركب سيارته.. تحرك تبعًا لـ GPS إلى العنوان الذي أرسلته سعاد.. استغرق الطريق أكثر من نصف ساعة حتى كان واقفًا أمام البيت، طرق الباب ثم أخرج مسدسه حتى لا يعطي لها أي فرصة للنقاش معه.. كان صوت الكعب العالي الذي ترتديه يضرب في الأرض ويقترب أكثر فأكثر من الباب.. فتحت الباب وقبل أن تتغير تعابير وجهها وتصرخ، وضع يده على فمها وهددها بالمسدس في رأسها قائلًا:

- لن أؤذيك.. أنا فقط أريد آدم.

هزَّت رأسها في استسلام، فرفع عنها يده، فسألت:

- هل أنت تعمل مع جمال؟
- جمال مات، وأنا مَنْ يتولى تنفيذ المهام بدلًا منه.
- متى حدث ذلك؟
- منذ يومين أو ثلاثة.
- هل تعرف الاتفاق الذي بيننا؟
- أنتِ ستخبرينني به وأنا سأنفذ ما تطلبينه مني.. ولكن أولًا أين آدم؟
- إنه نائم.. مُنهك ولا يستطيع الحركة.. لا يزال مريضًا.
- إذًا هناك فرصة لنجلس وتحكي لي كل شيء.
- تعالى معي للداخل.

دخل البيت وأغلق الباب، قادته إلى غرفة الطعام حيث جلسا.. قدمت له كأسًا ولم تصب لنفسها، وقالت:

- عندما عرف زوجي بخيانتي له مع آدم طلبت من أحدهم أن يقتله، ولسوء الحظ أن جمال كان مُكلفًا بنفس المهمة وقام بقتل مَنْ استأجرته، ونصحني بأن أتعامل معه هو فقط.. كان طماعًا.. أخذ مني الكثير من النقود.
- هل أنتِ مَنْ خططتِ لإلصاق التهمة بآدم؟
- لا.. كل ذلك من تخطيط جمال.. إنه ضابط سابق، ويعرف الكثير عن كيف تُرتكب الجرائم ويتم إلصاقها بشخص آخر.. في الحقيقة كان اقتراحًا ممتازًا.

تمنى سعيد في تلك اللحظة أن يخبر عثمان بما يسمعه حتى يعرفوا أنهم باعوه وقتلوا عائلته من أجل أن يتولى المهمة خائن وخسيس.

- ولماذا أردتِ التخلص من آدم؟
- أدم طوال الوقت يبتزني عاطفيًا.. تعرفت عليه عند الطبيب النفسي الذي يعالجنا.. استغل فترة مرضي وتقرب مني بسبب الفراغ العاطفي الذي كنت أعاني منه بسبب زوجي.. استسلمت له ومارس معي الحب.. كان حقيرًا فقام بتصويري وأنا أمارس الحب معه، وأجبرني على أن أساعده حتى يصبح كاتبًا مشهورًا.. هذا الحقير أجبرني أن أصرف على كل حملاته الإعلانية.. وأدفع له حتى يكتب عنه النقاد ويتصدر اسمه عناوين الصحف.. وأشتري له الترينديات على تويتر..
- لكن الرواية ناجحة فعلًا بين القراء.
- بدون ما فعلت لم يكن سيلتفت أحد لها. سبب لي الكثير من المتاعب وزادت مشاكلي النفسية.. والتخلص منه ومن زوجي كان هو الحل السحري حتى أعود لحياتي الطبيعية وأبدأ من جديد بلا ماضٍ ولا وجع دماغ.
- وكيف هان عليك التخلص من زوجك؟
- شريف كان لا يقل حقارة عن آدم.. تعرفت عليه في قعدات وسط البلد وضحك عليَّ ونام معي.. وعندما أخبرته بأنني حامل تهرب مني لفترة، وبما أني لم أكف عن مطاردته أخذني من يدي وذهبنا إلى طبيب قام بإجهاضي، ولكن ساءت حالتي أثناء العملية واضطررت لاستئصال الرحم.. ثم بعد فترة ورثت مبلغًا من المال من أبي.. عندما علم بذلك عاد إليَّ وطلب الزواج مني.. كنت عبيطة وأحبه فوافقت.. شهر ثم الثاني وفي الثالث بدأ يمارس عليَّ كل أساليب الاضطهاد.. حتى أفقدني ثقتي بنفسي.
- يبدو أنكِ عانيتِ مع الأنذال.
- أكثر مما أحد يتخيل.

ثم سألها وهو مُحرجً:

- لماذا حكيتِ لي كل هذا؟
- إنه هَمٌّ.. هَمٌّ ثقيل على صدري، وإذا لم أبح به سأنفجر.. كما أنني واثقة بأننا لن نلتقي مرة أخرى.

هزَّ رأسه لها تعاطفًا معها، وصمت لبرهة ثم سأل مُغيِّرًا الحديث:

- أين الغرفة التي بها آدم؟
- في الدور العلوي.

نظر في الساعة حيث كانت تشير إلى الثامنة مساءً، فقال:

- بعد إذنك يجب أن أكمل مهمتي الآن، لم يعد لدي وقت.
- رجاء مِن فضلك.. لا أريدك أن تقتله في بيتي.

- على كلٍّ لم أكن أنوي فعل ذلك هنا.

وتركها وصعد إلى الأعلى بحثًا عنه.. مرَّ على كل الغرف ولا أثر له.. حتى وصل إلى الغرفة الأخيرة وجد الشرفة بها مفتوحة وحبل مصنوع من أغطية السرير يتدلى إلى الأسفل.. وفي نهايته يد آدم المُنهكة تتشبث به.

*****

المهمة الأولى قد انتهت، وقام بتسليم آدم للجماعة، وحوَّل اهتمامه إلى دعاء.. كانت قد تعرضت للكثير من الاستجوابات بسبب قتلها لجمال، وعن طريق قسم الشرطة ثم النيابة حتى تحدد لها جلسه في المحكمة، وبسبب سجل جمال الإجرامي لم يتردد القاضي بأن يحكم لها بالبراءة.

بدأ في البحث عنها وكان الأمر سهلًا.. علم أنها تركت عملها والسكن الذي كانت تقيم به، حتى دلَّته إحدى صديقاتها على مكانها الجديد فذهب إليها.

طرق الباب وأخرج مسدسه ووضع كاتم الصوت على فوهته، وكله تصميم هذه المرة ألا يفشل.. كان مخططه أنها بمجرد أن تفتح الباب سيطلق على رأسها النار ويرحل.. سمع أقدام تقترب فاستعد.. إنها خلف الباب الآن ويدها ممدودة لتفتح الباب تدريجيًّا.. يستعد مُصوبًا مسدسه نحو النقطة التي يتوقع أن تظهر بها، ويضع إصبعه بكل حماس على الزناد.. فتح الباب وظهرت دعاء أمامه وتسمَّرت في مكانها بعدما توقف عقلها عن التفكير بسبب ما تشاهده.. ضغط على الزناد.. ولكنها رصاصة خرجت من خلفه فسقط على الأرض في الحال ميتًا، فزعت دعاء وكادت تصرخ ولكن المسدس الآخر الذي لا يزال مُصوبًا نحوها أجبر فمها على أن يصمت.. كانت في حالة هلع وجسمها بأكمله ينتفض فهناك جثة أمام قدميها ومسدس مُصوب نحوها.. في تصرف غريب أخفض الرجل الملثم سلاحه ودنا منها وهو ينزع الغطاء عن وجه قائلًا باشتياق:

- أخيرًا التقينا يا بنتي.
- أبي.. أنت أبي!!

كان إمبابي.. لم تصدق دعاء عينيها وهو يقف أمامها ولم تقاوم دموعها.. كانت مشاعرها مختلطة، هل تفرح لعودة الأب أم تحزن لأنه تركها كل هذه السنوات؟ لكن بمجرد أن أخذها في حضنه نست كل شيء.

- أنت على قيد الحياة.. كيف ذلك؟

- لم يكن ميعاد موتي قد أتى.

سحبت نفسها من حضنه وكأنها تذكرت شيئًا، وسألته معاتبة:

- ولماذا لم تخبرني أنك حي؟ لماذا تركتني هكذا كل هذه السنوات؟
- خفت عليكِ من عبد ربه.. لو ظهرتُ مرة أخرى كان عبدربه لن يتردد في قتل كل عائلتي.
- ولكن أنا قتلته من أجلك.. ودمرت حياتي.
- أعرف كل ما فعلتِه وكنت أراقبك من بعيد.
- هل الآن انتهى الخطر؟
- لن ينتهي إلا بموتنا أو موتهم.
- الرغبة في قتلي أصبحت لديهم عالية.
- يجب أن نرحل فورًا من هذه المدينة.
- إلى أين نذهب؟
- إلى مكان بعيد لا يعرفنا به أحد.. إلى أرض جديدة نبدأ بها فصلًا جديدًا من حياتنا بعيدًا عن قذارة البشر وصراعاتهم التافهة.
- أنا معك إلى أي مكان.. المهم ألا تتركني مرة أخرى.
- المهم أن نتخلص من هذه الجثة أولًا.

ابتسمت له واحتضنته بقوة وراحت تبكي من الفرحة على كتفه.

- 4 -

استيقظ آدم.. وجد نفسه ملقيًا على الأرض، مُقيدًا من يديه وقدميه في غرفة مظلمة لا يتسرب منها سوى ضوء القمر، ولا يوجد بها أحد سواه.. المكان يعبق برائحة روث البهائم، له سقف مُعَرَّش من أعمدة الخشب وعليه الكثير من القش، وجدران من الطين متهالكة بعض الشيء وهناك في أحد الأركان طاولة كبيرة مقسمة بما يتناسب مع سكانها -غير الموجودين في تلك الليلة- إلى أربع حفر عميقه ممتلئة بالتِّبن، وبجوارها دلو ضخم من الماء.

لم يكن آدم خائفًا كما كان مفترضًا أن يحدث له ولم يكن يفكر في شيء محدد.. بل كانت ذاكرته تأتي وتجيء له بالكثير من الذكريات.. حفلات التوقيع المزدحمة بالمئات، وطريقته المميزة في التوقيع للقراء.. التريندات على تويتر، التفاعل بالآلاف على حسابات على السوشيال ميديا.. مروة عندما تغلق عينيها وهي تضحك.. والأحلام بأن يشاهد فيلم روايته، ويمضي عقد تحويل روايته إلى المسلسل.. ويحتفل بإصدار الجزء الثاني من روايته.. أن يحصل على الجوائز التي لم يعد هناك أي إمكانية لتحقيقها.. لم يعد هناك شيء يخسره أو يكسبه لذا حاول أن يكون مُتَبِلدًا ويتعاطى الأمور ببساطة، حيث كان يعتقد أنه ماهر في ذلك.

هو مُقبل على الموت؟ هذا مؤكد، ولا سبيل في تغيير ذلك سوى بالمعجزات، وبما أننا لم نعد في زمن المعجزات فالموت قادم لا محالة.. حاول أن يلعب تلك اللعبة الذهنية ولكن في لحظة ما انهار كل شيء، وشعر بالخوف الشديد الذي كاد يخلع قلبه كلما تخيَّل كيف ستنتزع روحه من جسده وتذهب إلى المجهول، لم يعد قادرًا على مواصلة التخيل.. وازداد خوفه عندما شعر بأحدهم يتسلل نحوه بظلِّه الكبير الذي يرتسم على سقف المكان.. بمجرد أن دنا منه تبين له ضخامة جسمه، ولكن في هذا الظلام الكثيف عجز عن تبيُّن ملامح وجه حتى عندما هبط بجسده نحوه وهو يشعل مصباحًا كهربائيًّا صغيرًا أخرجه من جيبه، وقال له هامسًا وهو يتلفَّت حوله:

- أنا يحيى، وأنا هنا من أجل إنقاذك.

فسأله آدم هامسًا أيضا:

- مَنْ أنت؟ وكيف تستطيع فعل ذلك؟

أجابه بكل ثقة:

- في الوقت المناسب سوف آتي وأنقذك من هذا المكان.

شعر آدم أنه أمام رجل مجنون فسأله ساخرًا:

- هل أنت بخير؟
- يحيى دائمًا في أسوأ الأحوال.

هنا تأكد فعلًا أنه أمام رجل من ذوي الهمم، فابتسم له وقال بوِدٍّ:

- يبدو أنك إنسان طيب.. لا تُدْخِل نفسك في المشاكل من أجلي.

ردَّ عليه غاضبًا:

- لا أنا شرير.. أتعرف؟ لقد قتلت مولانا.

فسأله مُندهشًا:

- كيف ذلك؟
- لم تكن طعنات دعاء كافية.. فطعنته عدة طعنات في صدره حتى انتهى، ثم قمت بتهريبها من هذا الجحيم.
- بهذه البساطة.
- نعم.. فيحيى رجل عملي.. لا يحب تعقيد الأمور.
- وهل كان يستحق القتل؟
- لم يكن يعاملني بشكل جيد.. أنا على طول الخط منبوذ، ويرفض أن يشركني في أي مهام في القرية.. أجلس مثل الحريم لا أفعل شيئًا.
- وماذا ستفعل الآن؟

وقبل أن يجيب، ارتعش المصباح في يده وانطفأ.. فتمتم:

- لا بأس.. سأرحل من هنا، وفي الوقت المناسب سأعود.

وتركه ورحل.. اعتقد آدم أنه يَهْذِي ولكن على كُلٍّ ليس لديه ما يخسره سوى أن ينتظر ويرى ما الذي يمكن أن يفعله هذا الرجل البسيط في هذا المكان المريب.

*****

في الصباح الباكر أتت مجموعة من الرجال، ركله أحدهم بقدمه في ظهره حتى يستيقظ، فقام مثل المفزوع ولم يتركوا له أي فرصة، ووضعوا غطاء أسود على رأسه.. جروه من يديه نحو الساحة الواسعة حيث السماء صافية والرياح هادئة، وفي

المنتصف أوقفوه.. مدَّ أحدهم يده ونزع الغطاء من على رأسه.. دارت عيناه في المكان، وجد نفسه في مواجهة حشد صامت.. تقريبًا كل سكان البلدة كانوا يحدقون به.. لكن عيناه تعلقت بيحيى المربوط بجواره فابتسم ساخرًا على حاله وعلى الرجل الذي كان يُمَنِّي نفسه بأنه سينقذه.. ها هو محكوم عليه هو الآخر بالإعدام.. نظر له يحيى وابتسم ببلاهة ثم غمز له مثل الأطفال.

قال عثمان مُوجهًا حديثه للحشد:

- يحيى.. هذا العبيط هو من كان يقتل فينا طوال الشهور الماضية.. ضبطناه اليوم وهو يحاول قتل أحد رجالنا.

ثم سأل مُوجهًا حديثه ليحيى:

- لماذا تفعل هذا؟
- أحاول أن أثبت لكم أنني أستطيع أن أفعل ما تفعلون.
- بقتل أفضل رجالنا؟
- حتى تحترموني وتعطوني المزيد من التقدير.

رغم جسده الضخم؛ فقد كان عقله ذا ذكاء محدود لا ينمو بالشكل الكافي، تنتابه بعض نوبات الجنون بين الحين والآخر بلا سبب محدد فيصبح مثل الثور لا يستطيع أحد أن يقوى عليه؛ لذا نبذوه من بينهم كالجرب.. لا يلعب مع الأطفال ولا يأكل معهم.. لا يقترب من البيوت في غياب الرجال.. يأكل بقايا الطعام مثل الكلاب والقطط.. وإذا مرض يتم عزله لربما نوبات هياجه تكون معدية.. الكل كان يخشى جنونه ويخشى أن يصبحوا مثله.

وصاح عثمان في الجميع:

- بعد التشاور حكمنا عليهم بالإعدام رجمًا حتى يكونوا عبرة لغيرهم ممن تسول لهم أنفسهم استباحة دمائنا وأرواحنا وأسرار قريتنا.

وبإشارة من يده قام رجلان وقادا المحكوم عليهم بالإعدام بخطى قصيرة إلى حفرة تتسع لهم وتزيد، وألقياهم بها.. وبإشارة أخرى عاد الحفارون بالمجارف وبدأوا في ملء الحفرة مرة أخرى بالتراب حتى لم يتبق من أجسادهم سوى أكتافهم، وتوقفوا عندما رفع عثمان يده مشيرًا لهم بالتوقف، ثم انسحبوا بهدوء من المكان، وقال عثمان موجهًا كلامه لمن سيرجمون:

- الآن حان وقت تنفيذ حكم الله حتى تدفعوا ثمن خطاياكم ويعرف الجميع أن هذا عقاب كل من تسول له نفسه بزعزعة استقرار هذا المكان.. وهذا أقل شيء.

وقبل أن يكمل حديثه سقط على الأرض بلا مقدمات ثم انهار ثلاثة آخرين من الحشد فهلع الجميع، وقبل يبدأ الهرج والمرج بينهم سقطوا الواحد تلو الآخر كأنه انهيار جماعي بدأه القائد ثم رجاله ثم كل مَنْ هم في القرية من رجال ونساء وأطفال.. يسقطون على الأرض بأجساد مخدرة ولينة كالمطاط المتروك في الشمس، كأنَّ أرواحهم نُزِعَت منهم فجأة تاركة وجوههم هادئة ومطمئنة.

اعتقد آدم أن الدور قادم عليه هو ويحيى وأنهما سيموتان مثلهم، ولكن الوقت مرَّ ولم يحدث أي شيء.. ظلا هكذا مثل الزرع في الأرض، ولا سبيل لديهما في الخلاص مما هم افيه إذا لم يظهر أحد من العدم وينقذهما وإلا فسيموتان مكانهما.. وزحفت الشمس حتى حميت وأصبحت في المنتصف، والعرق يتسرب من كل مسام وجهيهما.. في تلك اللحظة ابتسم له يحيى وسأل:

- هل تحب يحيى؟

هزَّ رأسه في استسلام.. فسأل مرة أخرى:

- من قلبك؟
- نعم من قلبي.

اتسعت ابتسامته وقال:

- متى يأتي دورنا في الموت؟

ردَّ عليه آدم ساخرًا:

- لا تقلق مجرد وقت وسنُحاسب في السماء معًا.

بعد قليل سمعا صوت سيارة قادمة.. وتدريجيًّا اقترب الصوت أكثر فأكثر.. بعد دقائق ظهرت أمامهما سيارة نصف نقل من النوعية المُعَدَّة للمشي في الصحراء، توقفت على مقربة منهما ونزل منها إمبابي ودعاء.. وبدآ في إزالته التراب من حولهما حتى تمكنا من شدهما من هذه الحفرة، ثم فكا وثاقهما، وقال لهما إمبابي:

- ليس لدينا وقت كبير حتى ينتهي مفعول المخدر.
- أي مخدر؟ وكيف خدرت كل هؤلاء.
- عن طريق خزانات المياه.. تسللنا البارحة ووضعنه في الخزانات الرئيسية.

ركبوا السيارة جميعًا وتحركوا، ولكن يبدو أنهم تأخروا بعض الشيء، مفعول المخدر بدأ في الانتهاء حيث قام أحد الرجال مُترنحًا، وبمجرد أن استوعب ما يحدث أمسك

بندقيته الآلي وأمطر عليهم وابلًا من الرصاص.. أصابت إحدى الرصاصات الطائشة كتف آدم، فزعوا جميعًا لدرجة أن دعاء صرخت، ولكن إمبابي كان بارعًا بما فيه الكفاية ليضغط على دواسة الوقود ويفر بهم هاربين من هذا المكان.. ساروا في الصحراء قرابة خمس ساعات وفي تلك الأثناء قامت دعاء بفحص كتف آدم المصابة.. كان الأمر سيئًا ويجب أن يتدخل الأطباء لإزالة الرصاصة.

- لن نتوقف إلا في القاهرة.

هكذا قال إمبابي بحسم ودون تردد.. ثم تابع:

- إن توقفنا في أي مكان سنجدهم أمامنا.. رجالهم في كل شبر في الصعيد.
- ولكن هل يستطيع أن يصمد إلى أن نصل؟

لم ينتظر يحيى أي جواب ومزق جزءًا من جلبابه وربط به جرح آدم قائلًا:

- أراهم يفعلون مثل هذا.

وقال إمبابي ناهيًا الحديث في الأمر:

- هكذا يستطيع أن يصمد إلى أن نصل.

*****

بعد رحلة شاقة استمرت لساعات طويلة لم يتوقفوا إلا لملء الخزان بالوقود.. وصلوا إلى القاهرة، وعند أول مستشفى ظهر أمامهم تركوا آدم دون وداع سوى من يحيى الذي ودَّعه بابتسامته البلهاء.

ترجَّل من السيارة وسار بخطوات بطيئة متألمة كلما اهتزت كتفه المصابة.. بمجرد دخوله من بوابة المستشفى تعرف رجال الأمن عليه.. قد أصبح مشهورًا مثل نجوم السينما والسياسيين.. طلب منهم قائدهم بأن يقبضوا عليه وتتم حراسته حتى لا يهرب، ثم بلغ الشرطة قبل أن يتم وضعه على نقالة الإسعاف متجهًا إلى غرفة العمليات.

*****

بعد يومين أتى الضابط مجدي، وحكى له آدم كل ما حدث له، ولكنه قال له بهدوء:

- لم نجد أي قرية في هذا المكان الذي قلت عليه.. كما أننا لم نعثر على أي أثر لدعاء وإمبابي ويحيى.. فكل ما حكيته على ما أعتقد محض خيال.
- والرصاصة التي في ذراعي؟
- من المفترض أن تجاوب أنت عن هذا.
- والعمليات الإرهابية التي تحدث في مصر؟
- نحن قبضنا على الفاعل، وليس له أي علاقة بأي تنظيمات مجهولة.. كان فقط يحب روايتك ومعجبًا بطريقتها.

ابتلع آدم ريقه بصعوبة محاولًا استيعاب ما يسمعه، كانت أول مرة يشعر فيها بالعجز التام، مدَّ يده وتناول كوب ماء من جواره، ولكن يده اهتزت وأوقعت الكوب البلاستيكي على الأرض.. وزادت الرعشة والاهتزاز في يده ثم انتقلت إلى جميع أجزاء جسده، ونشط الصداع يضرب رأسه بكل قوة إثر ارتفاع ضغط دمه مع ظهور ألم شديد في صدره، وضيق في التنفس شعر بعدها بأن النار اشتعلت في صدره وعقله ثم أُغمى عليه في الحال.

تم تشخيص إصابته بأنه انهيار عصبي وتم تحويله إلى مستشفى للأمراض النفسية والعصبية.

الساعة 11:11

تحتاج إلى اتخاذ خيار مهم للغاية،
خلاف ذلك فإن بعض المواقف في حياتك
تعود إلى نقطة البداية

- 0 -

لقد ضربني الجنون..

في الأيام الأخيرة أصبحت أخلط بين ما هو مكتوب في روايتي، وما هو موجود في الواقع.. وتدريجيًا لم أعد أميز بينهما.. ولم أعد أعرف ما هو الصواب والخطأ.. الأمر أصبح جنونيًا.. كيف وصلت بي الحال إلى هذا التشتت؟ كان كل هدفي أن أتخلص من قفلة الكاتب وأكتب رواية جديدة تزيد من شهرتي وتقربني أكثر من أحلامي، ولكنني ضللت الطريق وهويت في مستنقع الأوهام.. في الماضي كنت مجرد شخص لا يثير اهتمام أحد، أعيش طوال الوقت وحيدًا في منطقة ضبابية لا يشعر بي أحد، ولا يوجد أحد يرغب في الشعور بي، ولكن النجاح الأخيرة جعلني أعيش في الضوء، وإذا استمرت حالي هكذا سأعود مرة أخرى للضباب.

مرت ستة أشهر وأنا محبوس في هذا المستشفى، لا أعرف متى يعود عقلي إلى صوابه؟ متى أتحرر من هذا الكابوس؟

في يوم ما عادت وسام.. طبيبتي ومحررتي الخاصة.. طلبت مقابلتي.. لم تفعلها من قبل وطوال الشهور الستة الماضية لم تحاول أن تسأل عني.. كنت متلهف لمقابلة أي أحد حتى أفهم كيف أخرج من هنا؟.. وافقت على مقابلتها.. أدخلوني في غرفة مغلقة، وجدتها جالسة في انتظاري، بمجرد أن رأتني قامت ومدت يدها لتسلم علي، لم أمد يدها، ولم أهتم بأنها أحرجت، أنا غاضب جدًا منها.. تركتها وجلست في المكان المخصص لي.

- أنا هنا من أجل مساعدتك.

قلت بنبرة لا تخلو من السخرية:

- أنتِ آخر شخص في العالم ممكن أن يساعدني.. لأنك السبب فيما أنا فيه الآن.
- أنا الحل السحري لتودع هذا المكان.. دعني أصلح خطأي.
- كيف ذلك؟
- بأن أساعدك في نشر روايتك الجديدة التي تقريبًا أوشكت على الانتهاء منها.
- ولكن..

قالت مُقاطعةً:

- ماذا سميتها؟ المتاهة أم بجعة سوداء أم شجرة الفيل أم وقت مناسب للصيد أم الشمالي؟

- ما زلتِ تتذكرين الأسماء المبدئية؟ غريبة أنكِ ما زلتِ مهتمة بي.
- أنا مهتمة فقط بالنجاح وكيفية تحقيقه.. ونجاحك سيكون نجاحًا لي أيضًا.. المصلحة واحدة.

نظرت نحوها وأنا أفكر في كلامها ثم تساءلت:

- ونَشْر روايتي كيف سيخرجني من هنا؟
- بمجرد نشرها سيعرف الناس أنك سليم وفي كامل قواك العقلية.. وهذا سيفيد من ناحية التسويق.
- ولكنني متهم في قضايا قتل ومصيري مظلم.
- لا توجد أدلة قوية على تلك الاتهامات، كما أن المحامي قال لي إن ما يعطل كل شيء هو أنك محتجز هنا.. يبدو أن هناك مَنْ يعمل على أن تبقى هنا لأطول فترة ممكنة.
- هل الشرطة هي التي تفعل بي هذا؟
- لا، الشرطة ليس من مصلحتها أن تترك هذه القضية مُعلَّقة.

ثم خفضت نبرة صوتها وتابعت:

- بل هناك أطراف خفية هي مَنْ تريد طمس الحقيقة.. ونشر روايتك سيساعد في فضحهم.
- مَنْ هؤلاء؟!
- أنت تعرفهم جيدًا.. أنا معي من الرواية بعض الفصول وأريد الذي معك.
- ولكن الرواية ليست معي هنا.
- هل تحتفظ بها في بريديك الإلكتروني؟
- نعم، كل شيء أكتبه أحتفظ به على بريدي الإلكتروني؛ حتى لا يضيع.
- للأسف هاتفي ليس معي.. لقد أخذوه مني في الأمانات، ولكن أنت تستطيع أن تكتب لي اسم البريد الإلكتروني وكلمة المرور.

وأخرجت دفترًا صغيرًا من حقيبتها وقلمًا وقدمتهما لي.. كنت مترددًا في فعل ذلك.. فهي بالنسبة لي لم تعد محل ثقة ولكن بالتأكيد لا تسعى إلى بقائي هنا.. أمسكت القلم وفتحت الدفتر وكتبت ما طلبت.

- سأطبع نسخة كاملة من مسودة الرواية وآتي بها غدًا.
- لماذا تريدين مساعدتي؟
- لأنك تستحق هذا..

وقبل أن ترحل قالت لي:

- ما رأيك في إطلاق حفل توقيع إلكتروني لروايتك.. أستطيع الحصول على الموافقة من مدير المستشفى.. ستكون فرصة رائعة ليتذكرك القراء مرة أخرى.
- سأفكر في الأمر.

بدأتي ثقتي بها تزداد بمجرد أن أتى الغد وفي نفس الموعد وجدتها أمامي تقدم لي نسخة مطبوعة من مسودة الرواية، وقالت:

- لقد قرأت منها بعض الصفحات.. البداية مشوقة.. ومن اليوم سنبدأ في مراجعة الرواية كل أسبوع فصل، واليوم نبدأ بالفصل الأول، أنت ستقرأ وأنا سأستمع لك وأدوِّن ملاحظاتي، وإذا كان هناك بعض المشاهد ناقصة سأساعدك في كتابتها بالطريقة التي كتبنا بها كل ما فات.

الساعة 11:11

لقد شعرت بالوحدة في الآونة الأخيرة

أنهيت قراءة الفصل الأول ثم نظرت إلى وسام، وسألتها ويدي ملصقة بوجهي تتأملها:

- ما رأيكِ فيما قرأته لكِ؟

قالت مسترسلة وأصابعها تدور بحركة دائرية في شعرها كي تجمع أفكارها:

- الفصل الأول لا بأس به، لكنه بحاجة ماسة للمزيد من العمل والتنقيح، يوجد أجزاء في السرد لم أحب أسلوبك بها، وأجزاء أخرى كانت ركيكة جدًا لا تليق بك على الإطلاق.

فقلت مبررًا:

- أدرك ذلك، أنا فقط أُخْرِج كل ما أتذكره على الورق قبل أن يطير من رأسي، أيًا كان جيدًا أم سيئًا ثم أُنقِّح كل شيء في النهاية.. هنا أهتم بترابط الأفكار فقط ومدى قدرتي على تطوير الفكرة العامة التي أعمل عليها.
- أعرف أن هذا ليس أسلوبك، ولذلك أنتظر منك المزيد من الجودة حتى لو كان ذلك في المسودة الأولى.

نظرت في ساعتها، وقالت:

- لقد انتهت الزيارة.

وقامت من مقعدها وراحت تجمع الأوراق التي أمامها وتضعها في حقيبتها، وتمتمت:

- سأرحل الآن.

ودعتُ وسام وجلستُ أمام التلفاز أبحث عن أي شيء يبدد الوقت حتى أنام.. بعد قليل أتى اثنان من التمريض وقاما بتقييدي وحقنني أحدهما بحقنة منومة فنمت.

أستيقظ من النوم مشحونًا بالذعر والرعب، كل جزء في جسدي يؤلمني، أحاول السيطرة على ارتعاشة يدي وتسارع أنفاسي.. مددتُ يدي وتناولتُ كوبًا من الماء موضوعًا بجواري، وقمتُ نحو الطاولة جذبتُ المقعد وجلستُ خلفها، توجد رزمةٌ من الورق عليها، سحبتُ منها ورقةً وأمسكتُ القلم وكتبتُ كلَّ ما أتذكره في حلمي قبل أن أنساه.

*****

في الأيام التالية تكرر الأمر نفسه، حيث استكملنا جلسات العمل على الرواية وتحديدًا الفصول التالية:

الساعة 11:11
أخيرًا، سوف تتحقق إحدى رغباتي

أنهت وسام قراءة الفصل الثاني وقالت لي بإعجاب:

- إنه فصل رائع، ولكن هناك بعض الأحداث غير مبررة؟
- لا أعرف ماذا أفعل؟ أشعر أن عقلي توقف.
- أنت بحاجة إلى أن تنام وتتخيل أحداثًا أخرى أكثر إثارة وتشويقًا.. ولا تنسَ أنك يجب إرضاء شغف القراء.
- أعرف أن هذا غير مُشبع لأي قارئ ولكن لم يعد عندي المزيد.
- لقد قمت بحذف الكثير من الفصول التي كتبتها مع بعض التعديلات وأضفت فصول أخرى وضعت لها عنوان (#مسودة) حتى يسهل الرجوع لها.. أعتقد أن الفصول هكذا ستكون أفضل لتبني عليها فيما بعد.

الساعة 11:11
أحيانًا من الأفضل ألا نعرف

- هل هذا كل ما لديك؟

قالت وسام وهي تضع فنجان القهوة أمامي.

- أنا أريدها هكذا معقدة وليست في متناول الجميع.
- هذا خطأ كبير.. إياك أن تكون مثل الكُتَّاب المُعقدين.. البساطة هي سر النجاح.. لا توجد رواية معقدة مشهورة.. افعلها كما فعلتها من قبل.. رواية بسيطة وسلسة تجذب كل الفئات والأعمار السنية المختلفة.. وليذهب النقاد والجوائز إلى الجحيم.

الساعة 11:11
لا مزيد من النهايات السعيدة

- طريقتك في الكتابة لم تكن أفضل شيء، يجب تحسين مستوى اللغة.
- أشعر بأن المفردات تهرب مني.. لم أعد أتذكر شيئًا.
- فلتأخذ قسطًا من الراحة، ونوقف الجلسات لفترة.
- لا أريد أن نتوقف.. أريد أن أستمر في النوم وأكتب.

الساعة 11:11

تحتاج إلى اتخاذ خيار مهم للغاية، خلاف ذلك
فإن بعض المواقف في حياتك تعود إلى نقطة البداية

- العمل ينضج بشكل رائع.. خاصة بعدما قمت بإضافة بعض الفصول التي تدخلت فيها وغيَّرت بها بعض المسارات.. بالمناسبة لقد قمت بإعادة هيكلة بعض الفصول الأخرى.. سأترك لك النسخة النهائية لتقرأها.

تنهدت بتأفُّف، وأنا أقول في استسلام:

- لا مشكلة.. أنتِ مُحررتي، ولكِ كل الصلاحيات في الحذف والتعديل والإضافة.
- جميل أنك تتفهم دوري.

صمتت قليلًا ثم تابعت:

- تحدثت مع دار نشر جديدة.. قالوا لي إنه من الممكن أن تلحق الرواية بمعرض الكتاب القادم.

قالتها بوجه سعيد مُبتسم، فنظرت نحوها بقلق من خلف نظارتي وأوضحت لها:

- ولكن أنا خائف من ردة الفعل خاصة أنني ما زلت محجوزًا في المستشفى.
- بالعكس سيكون ذلك أفضل دعاية للرواية.. الناس لا تحب الأشياء الطبيعية.. عندما نقول لهم بعد إصابته بالجنون يكتب روايته البديعة.. الكل سيكون مُتشوقًا ليعرف كيف يكتب المجانين.

- 1 -

بعد شهرين سمح لي الطبيب بمغادرة المصحة واستكمال العلاج في البيت.. عند الخروج رفضت حلق شعر رأسي أو ذقني.. كنت أريد أن أظل على تلك الحالة من الإلهام إلى أن أنتهي من النسخة النهائية للرواية التي دخلت مرحلة المراجعات، وفي تلك المرحلة أريد أن أكون بكامل تركيزي ورغبتي في العيش مع الأحداث حتى أستطيع أن أنتهي منها في أسرع وقت.
في موعدي أستيقظ مبكرًا، متعبًا، ووحيدًا.. كفعل اعتيادي أشغل الراديو الموضوع بجواري على محطة للموسيقى الكلاسيكية.. ها هو يوم عادي آخر سيمر ومروة ليست في حياتي، أستعرض في ذهني شريط حياتنا معًا؛ حيث كنت سعيدًا معها، وعندما أدرك أنها رحلت وأنني لم أعد أملك سوى التعاسة والخيبة أكتئب أكثر.. أغادر الفراش إلى الحمام، أغسل وجهي وأنشفه جيدًا ثم أدلف إلى المطبخ، أشعل الموقد وأضع عليه الركوة، وإلى أن تنضج القهوة أضع في نصف كوب من الماء قرص فوار وأنتظر إلى أن يذوب ثم أشربه دفعة واحدة.. أعاني منذ فترة قريبة بالنقرس الذي يحرمني من الكثير من الأطعمة التي أحبها.

رنَّ جرس الباب فتركت كل شيء وذهبت لأفتح.. طالعتني دعاء وبسبب أنفاسها المتسارعة لم تستطع أن تقول كلمة.

- ادخلي واستريحي ثم تحدثي على مهلك.

دخلت وأغلقت الباب خلفها.. جلسنا في الصالة أمام التلفاز.

- هل تريدين كوبًا من الماء؟

هزَّت رأسها بالنفي، وقالت بصعوبة وهي تبتلع ريقها:

- لقد مات إمبابي.. أبي.
- أنتِ ابنة إمبابي؟!

هزَّت رأسها بالإيجاب.. وسألت:

- ومَنْ قتله؟
- ابنة عبد ربه.. لقد عادت لتنتقم لمقتل والدها.. وهي تبحث عنك.. والآن هي تطاردني ومعها العديد من أتباعها.
- كنت اعتقدت أن الأمر انتهى.

- ما فعلناه في الجماعة لن يُغفر لنا أبدًا.. هل ما زلت تتذكره؟

حفَّزت كلمتها الأخيرة الذاكرة لدي لأتذكر ما فعلته.. في الماضي نشأت في كنف هذه الجماعة المتشددة.. منذ طفولتي وأنا ناقم لم أستطع الاندماج مع هذا العالم الغريب.. وعندما كبرت قررت الهرب منهم.. كنت مكلفًا بعملية اغتيالية في المنصورة وقبل التنفيذ بساعات فررت منهم، واختفيت في مكان بعيد.. وبعد سنوات عرفت أن عبد ربه الشمالي قد مات، وتدريجيًا انقطعت أخبار الجماعة تمامًا حتى العمليات الإرهابية توقفت لدرجة تصورت أنهم انتهوا.. ومرَّ الوقت ولم أسمع عنهم شيئًا؛ ما شجعني على كتابة هذه الرواية.

- آدم.. هذه المرة لن نستطيع الهروب بسهولة، ولكن يجب أن نحاول.. بعد ساعتين من الآن سأنتظرك في محطة القطار.
- إلى أين سنذهب؟
- إلى أي مكان.. المهم ألا يمسكوا بنا.

وتركتني ورحلت.. بعد قليل سمعت صوت رصاصة قادمة من الشارع.. ذهبت مسرعًا إلى النافذة لأشاهد ماذا جرى؟.. وفجأة أدركت ما جرى ويا ليتني ما رأيت.. وجدتها جثة هامدة على الأرض، غارقة في دمائها وعيناها تحدقان في الفراغ.. وقلت لنفسي: لقد ماتت.. ماتت والدور القادم علي.

رددتها بصوت مُنخفض جدًا، وأنا أواصل الإدراك بأني أصبحت في ورطة، وأدركتُ أيضًا أن عليَّ غَلْق جميع النوافذ وإنزال الستائر، وإحكام غَلْق الباب بالمفتاح.

انقضت ثلاث أو أربع ساعات، ولم أزل على تلك الحالة من التوتر والهلع.. مُستلقيًا في فراشي، وسط عتمة دامسة.. انتصبت واقفًا وذهبت إلى دولاب الأدوية، أخرجت منه شريط مهدئ تناولت منه واحدة وتبعتها بكوب من الماء ملأته من الصنبور.

في الوقت الراهن، لا أشعر بأنني أقوى على ترتيب أفكاري، ولا شيء يلوح أمام عيني إلا مشهد موتي المأساوي.

وبعد قليل بدأت التفكير بتعقُّل بعض الشيء، وقلت لنفسي: طالما سأموت يجب أن أنجز المهمة ثم يحدث ما يحدث.

جلست أعمل على مراجعة الرواية للمرة الأخيرة.. أدرك أنه لم يعد أمامي الكثير من الوقت حتى يأتوا ويتخلصوا مني، وهذه الرواية هي آخر أثر لي في هذه الدنيا، ويجب أن تُنشر في أقرب وقت حتى أفضح أفعالهم القذرة والمُشينة.

بعدما انتهيت قمت بإرسال النسخة النهائية إلى وسام حتى تقوم بمراجعتها، وأوصيتها بأن تنشرها مهما حدث.. وتملكتني رغبة عارمة في التحدث إلى مروة في هذه اللحظة لكنها بالتأكيد لن ترغب في ذلك، كما أن الوقت لم يعد مناسبًا للحديث، خاصة إذا كنتُ على وشك الموت..

حررت ساقي الملتفتين الواحدة على الأخرى وأنا جالس، ورحت أنظر بحذر من خلف النافذة فلم أجد أي شيء يدعو إلى هذا التهويل الذي أحدثته.. الشارع هادئ تمامًا.. لفت نظري شخص يقف على الناصية يقرأ الجريدة وينظر بين الحين والآخر إلى النافذة مثل مُخبري السبعينيات، وعندما وقعت عيني على عينه، طوى الجريدة ثم التفت يمينًا ويسارًا قبل أن يتحرك قاصدًا مدخل العمارة.

عُدتُ إلى مكتبي وأنا أقول لنفسي: يجب التحلي بالمزيد من السكينة في مواجهة الآتي، لكنني أعلم بأنه لن يكون بمقدوري فعل ذلك.. مددتُ يدي ومن الدُّرج الأوسط أخرجت مسدسًا كنت قد ورثته عن أبي، وبسبب أنني أحافظ عليه طوال هذه السنوات بدا كالجديد لامعًا ونظيفًا، ووضعته في جيبي.. من بعيد شعرت بأحدهم يحاول فتح باب الشقة فتأكدت كل شكوكي أنه الرجل صاحب الجريدة، بالتأكيد يقف الآن أمام باب الشقة يحاول فتح كالون الباب، ولكن الزلاج المغلق في الداخل سيعطله قليلًا حتى أجهز الكاميرا وأجلس أمامها.

*****

استغرقتُ بعض الوقت حتى بدأت التسجيل المباشر على يوتيوب.. كان إرسال الراديو يصدر تشويشًا مزعجًا فقمت وأغلقته ثم عدت لأجلس أمام الكاميرا مباشرة، وقلتُ:

- آه.. أنا يائس، ولا مفر أمامي سوى فعل ذلك؟ لقد وضعت نفسي داخل هذه اللعبة دون أن أشعر.. انجرفت قدمي نحو الشهرة والمجد.. واليوم يجب أن أدفع ثمن ما اقترفته في حق نفسي وقرائي والجميع.

وابتسمت بسخرية والدموع على وشك السقوط من عيني:

- ما الذي يجب عليَّ فعله حتى أكفِّر عن ذنبي، حتى أشعر بالسكينة والهدوء، حتى أهرب من القلق والخوف والعبث الذي يحاوط حياتي.. لا شيء منطقيًّا يمكن أن أفعله سوى أن أنهي حياتي ولكن دون أي اختيار مني.

وابتسمت ساخرًا من حالي: نعم أنا مُجبر على ذلك.

ثم تابعت بجدية وقلة حيلة:

- ولكن أنا أحب الحياة، والحياة لا تحبني.. ما باليد حيلة.. يجب أن أقرر مصيري بنفسي.

أخرجت المسدس من جيبي، وبيد يالمرتعشة وضعت فوهته على رأسي، وتنفست بعمق وقلت وأنا أبكي:

- في الظروف العادية كنت سأتراجع عن ذلك في اللحظة الأخيرة فأنا جبان.. جبان لأبعد حد.. ولكن الأمور تتفاقم ولا أحد يساندني ولا يقدم لي يد العون.. كم هذا مؤسف.. أن أعيش هكذا مطاردًا وفي خوف مستمر لا ينتهي.

أخذت نفسًا عميقًا وضغطت على الزناد.

مصيدة الكتاب الأزرق

الفصل الأخير

مَنِ الكاتب؟

الجميع شاهد فيديو انتحار آدم، ولكن جثته لم يعثر عليها أحد.. كانت هناك بقايا دماء على الأرض ورصاصة اصطدمت بالحائط.. كل هذه الأدلة تشير إلى أنه مات، ولكن اختفاء جثته ظل لغزًا يشغل بال الملايين من محبيه..

وعند تحليل الفيديو الذي قام بتسجيله اتضح الآتي:

موضع زاوية إطلاق الرصاصة لا تتناسب إطلاقًا مع موضع الإصابة في الرأس.. عند التدقيق في الفيديو في الثواني العشر الأخيرة.. هناك ظل فتاة يظهر بوضوح.. لذا هناك شبهة قتل مُتعمَّد.. وليس انتحارًا، على الرغم من أنه كان ينوي فعل ذلك.

ومرت الأيام التالية بهدوء، ولكنه هدوء لم يستمر طويلًا حتى عادت التفجيرات والعمليات الإرهابية مرة أخرى تزلزل كل مكان في البلاد، ولكن تلك حكاية أخرى نحكيها في وقتها.

ضجت الصالة بالتصفيق بمجرد أن انتهت وسام من قراءة هذا الجزء من روايتها الجديدة.

كان حفلًا ضخمًا لإطلاق رواية مصيدة الكتاب الأزرق في دار الأوبرا حضره المئات من القراء والإعلاميين، فالنجاح الذي حققته الرواية يتجاوز كل الحدود، إنه نجاح من نوع خاص لم يعرف مثله سوق النَّشر العربي منذ سنوات. وعند انتهاء الحفل اِصطَفَّ المئات في طابور طويل لأَخْذِ التوقيع على الرواية.

*****

عند خروجها من الباب وجدت وسام ورقة مطوية على زجاج سيارتها مُثبتة بواسطة المسَّاحات الأمامية كُتِب بها:

«رغم أنه من المفترض أن يكون هذا أفضل يوم في حياتك؛ فإنني أحب أن أخبرك بأنه سيكون أسود يوم مرَّ عليكِ وأنتِ حية.. استعدي لأسوأ كوابيسك».

فكرت وسام في الجملة لبرهة لكنها فطنت للأمر سريعًا، وقالت لنفسها:

- أخشى أن أكون قد علقت أنا أيضًا داخل تلك المتاهة.

«وتذكرت تلك اللحظة التي حاول آدم أن يطلق الرصاص على رأسه سبقته هي وأطلقت رصاصتها قبله لتنتقم منه.. حذفت من على اللاب توب كل ما يتعلق بالرواية التي كتبها آدم، حيث تخلصت من كل النسخ حتى الرسالة على البريد الإلكتروني حذفتها.. وكلَّفت أحد المحررين ليعمل على تنقيح وتحسين هذا الرواية لتصدر في أحسن حال، واسمها مُدوَّن عليها كمؤلفة لهذا العمل العظيم.. كانت فرصة أن تظهر في الوسط الثقافي برواية من العيار الثقيل على حد تعبيرها، وتفرض نفسها من الخطوة الأولى».

ركبت سيارتها وتحركت بهدوء حتى ترحل من هذا المكان وتذهب إلى البيت لتحتمي به، ولكن في منتصف الطريق اعترضتها سيارة أخرى فأجبرتها على التوقف.. كانت فزعة وكل أجزاء جسدها تنتفض، فهي تعلم ماهي مقبلة عليه.. نزل اثنان بأسلحتهما وطلبا منها أن تركب معهما ففعلت ما طلبا منها في هدوء.. ثم قاما بوضع كيس أسود من القماش على رأسها، وبعد مسيرة طويلة بالسيارة امتدت لأكثر من 15 ساعة تقريبًا توقفت السيارة.

أخذاها إلى عثمان الذي فرح برجاله على نجاحهم في مهمتهم ولم يكرروا الإخفاق الذي حدث في السابق مع آدم.. طلب نزع الغطاء من فوق رأسها.. كانت وسام ترتعش وصدرها يعلو ويهبط من الخوف.. ابتسم عثمان لها وقال مُطمئنًا وهو يربت على كتفها:

- لا تخافي.. لقد مر وقت طويل منذ أن هربتِ من هنا.. لكن كل شيء سيكون على ما يُرام.

وأخرج الهاتف من جيبه وطلب أحدهم، وعندما ردَّ عليه قال مسرورًا:

- مولانا عبد ربه.. لقد تم اصطياد البجعة السوداء.

وأغلق الخط، فسألت وسام:

- ألم يمت أبي؟
- لا.. لقد أنقذت حياته في اللحظة الأخيرة.. ولكنه طلب مني أن أخبر الجميع بأنه مات.. كان مصدومًا من غدرك به.. وأنتِ أحب الخلق إلى قلبه.

وتساءلت في استنكار:

- هل هو حقًّا لا يموت مثلنا؟

تمتم وهو يبتسم لها:

- لا يموت أبدًا.

تمَّت

(2021 - 2016)

ترك آدم القلم من يده وهو مُصاب بالذعر، يرتعش وجبينه يتصبب عرقًا.. تقدم نحوه أحدهم وأخذ كل الورق من أمامه، ثم أتى رجلان آخران وقفا خلفه.. كان مربوطًا من قدميه في أطراف الكرسي الذي يجلس عليه، وكذلك يده اليسرى مقيدة بالطاولة.

رمقه عبد ربه بنظرة متفحصة وحكَّ مقدمة أنفه، وقال وهو يهزُّ رأسه:

- أتعرف لم أصدق نفسي، ولم أكن أتخيل أنك ستعود إليَّ.. عندما قال لي عثمان إنه عثر على البجعة السوداء فرحت.. لكن عندما قابلتك حزنت على ما وصلت إليه.. دائمًا ما أتساءل: هل أنت فعلًا ابني؟ هل أنت فعلًا فرحتي في الدنيا؟!
- أنا آسف..

وتابع دون أن يلتفت لما يقوله:

- لا.. لا.. أنت لست ابني.. ولست فرحتي.. هل تساءلت لماذا طلبت منك أن تجعلها هي ابنتي وليس أنت في روايتك؟

ولم يترك له فرصة للإجابة:

- لأنك كسرت ظهري.. كنت أتمنى أن تكون أنت وريثي في الحياة وتكمل ما بنيته.. ولكن القراءة أفسدت عقلك وصنعت منك مثقفًا متطرفًا.. جعلتك تجري وراء حلم ساذج بأنك ستكون كاتبًا مشهورًا.
- حاولت أن أفعل شيئًا وحيدًا أحبه.. طالما أن مصيرنا محكوم عليه بالإعدام.

ردَّ عليه مُنفعلًا:

- لم أعد أريد أن أسمع منك المزيد من التبريرات.

فأوضح آدم:

- أنا فقط أُلْفِت نظرك لماذا تمردت عليك؟

واصل انفعاله:

- حتى تفضحني وتقضي علي، وتصبح أنت الضحية المشهورة وأنا الظالم والمتكبر.
- كان حلمي أن أخرج من هذا المكان وأعيش ببساطة مثل الآخرين بتحضُّر.
- وهل حققت حلمك؟
- لا.
- أتعرف.. أنا الوحيد في هذه الدنيا، وعلى الرغم من كل ما فعلته به مدَّ يده إليك مرة أخرى.

وصمتا قليلًا قبل أن يقول عبد ربه:

- آدم أنت تعرف جيدًا أنني لا أفرق بين أحد.. الجميع لدي سواسية.

أومأ آدم برأسه مُستسلمًا لكلامه.. فتابع عبد ربه:

- وتعرف أنني لم أرفض لك أي طلب.. أمسكت بك قبل أن تذهب إلى الشرطة.. وقبل أن أعاقبك طلبت مني أن تكمل الرواية التي كنت بدأتها فوافقت دون تردد حتى تنتهي منها، وتكتب بها كل ما تريد دون أي تحفظ أو خطوط حمراء.. كتبت عني أنني رجل سيئ وأفعل أشياء غير إنسانية، بل وقتلتني في الرواية مثلما كنت تتمنى طوال حياتك.. تركتك تكتب ما يحلو لك لأنه ببساطة لن يقرؤها أحدٌ غيري.. والعجيب أنني تركتك تكتب فيها أكثر من أربع سنوات.. لكن في النهاية هي ذكرى جيدة منك أتذكرك بها فيما تبقى من حياتي.. والآن بما أنك انتهيت من الكتابة فيجب أن تنال عقباك.
- أبي.. أنا آسف.. لن أفعل ذلك مجددًا.. اغفر لي.
- بالطبع لن تفعل ذلك مرة أخرى.. ولن تكتب لأحد غيري.. أتعرف معنى أن يكتب الابن لأبيه روايته الوحيدة.. آدم أنت فرحة قلبي ووجعه الوحيد.. ولكنني مسئول ويجب أن أظهر مسئوليتي أمامك وأمام رعيتي.

وتسللت الدموع دون أن يشعر من عين عبد ربه موجوعًا على ابنه.. لم يبكِ منذ زمن بعيد.. منذ أن تم اعتقاله في السبعينيات وفعلوا به الدنيئة، وبمجرد أن شعر بضعفه استجمع كل قوته وجبروته لم يترك لنفسه فرصة ليتردد وهو يشير لرجاله بأن ينفذوا ما هو مخطط له، ثم انسحب من المكان دون أن ينظر إليه، بينما تقدم أحدهم نحو آدم وأمسك بيده اليمنى تلك اليد التي يكتب بها، بينما زميله الآخر رفع نصل السيف وهبط بكل قوة ليفصل كف يده.. مُسببًا له ألمًا حادًّا شلَّ معه كتفه ورقبته.

ليدرك آدم في تلك اللحظة والدم يتسرب بغزارة من طرفه أنه لن يكتب مرة ثانية وإلى الأبد.

النِّهاية

- آدم استيقظ.

انتبه آدم من غفوته إلى مصدر الصوت فقام منتفضًا، ونظر حوله وجسده يرتعش وهو مُمدد على الشيزلونج في غرفة أنيقة وعصرية، أدرك حينها أنه في غرفة داخل عيادة طبية خاصة.. وجد أمامه وسام تبتسم له في برود وتقول:

- لقد أنهينا الرواية كما وعدتك.. كانت رحلة رائعة.. أخرجت منك أفضل عمل قد كتبته طوال حياتك.. وأعتقد أنك لن تكتب بعده مرة أخرى.

حاول آدم الرد عليها ولكن عضلات فكه لم تساعده، وكأنه أُصِيب بالخرس.

- لن أسمح لك بالكلام بعد.. ولكن أريدك أن تتذكر شيئًا مهمًّا.. مروة.. مروة حسين الشمالي هل تتذكرها؟

تطلَّع في وجهها مُحاولًا فعل ذلك، فسهَّلت عليه الأمر مُوضحةً:

- أنا أختها الكبرى.. لا أعرف إذا كانت حكت لك عني أم لا.. لكنني عرفت عنك ما فعلته بها.

وتغيرت ملامح وجهه عندما تذكر.. انهمرت المشاهد أمام عينيه كفوتو مونتاج في فيلم سينمائي بالألوان الصفراء، وسارت رعشة في يده وخفق قلبه بشدة، دارت به الدنيا وأحسَّ بأنه على وشك أن ينهار، فقد أدرك الآن كل شيء.

الساعة 11:09

في وقت ما يجب أن تدفع الثمن مُضاعفًا

- آدم.. أنا حامل.

حاول استيعاب ما تقوله، ثم انفجر غاضبًا:

- نصحتك أكثر من مرة بالمواظبة على أخذ حبوب منع الحمل بانتظام، ولكنك مستهترة.

سألت بحيرة المنكسرة:

- وما العمل؟!
- الأمر بسيط، يجب أن تتخلصي منه في أسرع وقت.. أعرف طبيبًا جيدًا يقوم بمثل هذه العمليات.. وهو موثوق وأمين جدًّا.. تعاملت معه من قبل أكثر من مرة.

حاول تشكيل وجهه بما يتناسب مع كلماته، ولكن لم يكن هناك وجه يصطنعه، فقد كان باردًا كالثلج.

- أكثر من مرة!

قالتها وهي مصدومة، وعندما استوعبت الأمر جيدًا:

- ألن تتزوجني؟ هل كنت تخدعني طوال الوقت؟

ابتسم لها ببرود، وقال باستنكار:

- مروة حبيبتي.. علاقتي بكِ هي للمتعة فقط.. كما أنني لا أفكر في الزواج في الوقت الحالي.

كانت مروة في الثامنة عشرة من عمرها، ساذجة ومندفعة وراء مشاعرها وعواطفها المُرهفة، بهرها سحر الكاتب وروعة كتاباته، وحلم أن يكتب عنها في رواية أو يكتب لها إهداء في الصفحة الأولى.. كانت فريسة سهلة بين عشية وضحاها أوقعها في شباكه.. لكن خيالها الصغير لم يكن يتوقع أن تكون هذه نهايتها البريئة.

*****

في اليوم التالي ذهب معها إلى الطبيب، الذي كان كريمًا ورفض أن يأخذ أي مقابل للعملية، ولكن كان له شرط واحد قاله بابتسامة ماكرة:

- أريد أن أنام معها.. إنني أحب الفتيات البريئات.

صمت آدم قليلًا وهو يفكر في عرضه، كان مُترددًا، ولكنه في النهاية حسم أمره قائلًا:

- لا مشكلة.. افعل ذلك قبل أن تجهضها.

ثم أخرج سيجارة من علبته الميريت وأشعلها مُرسلًا سحابات دخان طويلة غاضبة، محاولًا ألا ينظر في عينيها التي تتطلع به بلا توقف.. كانت موجوعة منه، لم تكن تتصور أنه نذل ورخيص إلى هذا الحد.

- سأترككما الآن حتى تنتهى مما تريد، ومن العملية سريعًا.

وبمجرد أن ترك آدم المكان لمحت مروة الشهوة تشتعل بعين الطبيب وهو يقترب منها، فلم تتمالك نفسها ودفعته بعيدًا عنها فوقع على الأرض، وقبل أن ينهض لها مرة أخرى كانت قد تركت الغرفة ورحلت وهي تهرول على الدَّرج، ولم تعبأ بصوت آدم الذي ينادي عليها.. حينما ابتعدت عن المكان هدأت، ولكنها لم تعرف إلى أين تذهب، وهي تحمل هذا الإثم في بطنها.

*****

تَلَت تلك الليلة ليالٍ قاسية وحادة لم تكن تتوقعها في يوم من الأيام، فقدت الشغف وحلَّ مكانه اليأس والخوف، وتحوَّل عقلها إلى دون أدنى مبالغة لجحيم لا ينطفأ لا يستوعب ما حدث، مكتفيًا برسم السواد أمامها في كل مكان.

في لحظة قوة وتشبث بالحياة اهتدت إلى أن تطلب من صديقتها سارة أن تقابلها.. كانت تريد مغادرة غرفتها فاتفقتا على المقابلة في سيتي ستارز.. جلستا في كافيه هادئ.. حاولت أن تحكي لها ما حدث وتشرح لها وجهة نظرها وأسبابها، لكنها لامتها بشدة على ما فعلته، ونصحتها بأن تعود إلى الطبيب وتتخلص من فضيحتها أو تبحث عن طبيب آخر، وتركتها ورحلت غاضبة منها، لا يشرفها معرفتها، فهي شريفة وعفيفة بينما الأخرى ساقطة.. وتركتها وحدها لمصيرها المظلم.

في تلك اللحظة شعرت مروة بأن حياتها لم يعد لها أي قيمة، إنها تحت الصفر وأكثر، وأن عليها أن تضع حدًّا لهذا الوجع الذي فُوجِئت به وهي في هذا العمر الصغير.. لم تكن تعرف بعد أن الحياة لا تُفرِّق بين كبير وصغير؛ لذا اتخذت قرارها اليائس.

وجدت نفسها فجأة قد خمدت داخلها كل الأفكار والمشاعر، لم تعد ترى أو تسمع أو تشعر.. من الدور السادس استجمعت شجاعتها وقفزت على غفلة قبل أن يلتفت لها أحد، لتسكت الدنيا من حولها وهي تعوم في الهواء قبل أن تسقط على الأرض، ويتهشَّم جسدها، وتموت.

- 1 -

ما أسوأ أن تستيقظ على وجع لن ينتهي أبدًا، ينخر طوال الوقت في قلبك ولا يترك لك أي فرصة للإفلات منه.

- دكتورة وسام، هناك شيء يجب أن أخبرك به في تقرير الطبيب الشرعي.
- ما هو؟

انتحى بها الضابط في زاوية الغرفة حتى لا يسمع حديثهم أحد، وقال بصوت منخفض به الكثير من التردد:

- أختك كانت حاملًا في الشهور الأولى.

تساءلت في انزعاج:

- كيف ذلك؟!
- عمومًا مثل هذه المعلومات لن تخرج للصحافة.. أعدك بذلك.. ولكن هل هي كانت علاقة بأحد؟

هزَّت رأسها بالنفي:

- لا أعرف.

وتابعت في أسى كمَنْ يحاسب نفسه:

- لقد أهملت في رعايتها.. حتى ضاعت مني.. بعد وفاة أبي وأمي لم أكن أفكر في أي شيء سوى أن أنهي دراسة الطب وأتخرَّج، وبعد التخرج انشغلت بالتخصص والماجستير ثم الدكتوراه.. لم أكن أجلس معها ولا أسألها عن أي شيء.. لم أعرف أي شيء عن حياتها الخاصة.

فقال الضابط مُهوِّنًا:

- أنا آسف.. ولكن هذا أمر الله، ويجب أن تتقبليه مهما كان مُرًّا.

وبعد صمت مُتردد وطويل صاحت به:

- حضرة الضابط.. هل يمكن مساعدتي في معرفة مَنْ فعل بها هذا؟

- سأحاول قدر ما أستطيع.. ولكن يجب أن تبدئي مع صديقاتها.. من الممكن أن تكون واحدة منهن معها سرها.. خاصة سارة شوكت، آخر رقم اتصلت به قبل الانتحار بنحو ساعة.

*****

إذا كانت سارة هي مفتاح السر فلن تصبر حتى الغد لتقابلها..

ذهبت وسام مباشرة إلى منزلها رحبت بها الأم بحرارة -لأنها كانت تعرفها جيدًا- وواستها على مصيبتها، ولكن عندما طلبت مقابلة ابنتها انتابها بعض القلق والفضول، ولكن هذا لم يمنعها بأن تتركها تقابلها في غرفتها الخاصة.

كانت سارة تعبث بهاتفها عندما أخبرتها أمها بقدوم وسام.. ارتبكت الفتاة قليلًا، ولكن سرعان ما تماسكت، وطلبت من الأم أن تصنع لهما عصيرًا.. استجابت الأم وأغلقت الباب عليهما.. وقبل أن تنطق وسام بحرف قالت سارة وقد اغرورقت عيناها بالدموع معترفة بذنبها:

- أنا السبب تركتها لوحدها في هذه الظروف.. ولم أحاول أن أساعدها.. لو كنت بقيت معها..

ربتت وسام على كتفها محاولةً التخفيف عنها:

- أيًّا كان، لقد حدث ما حدث.. ولكن أريد فقط أن أعرف مَنْ فعل هذا بها؟

مسحت سارة دموعها، وبعدما هدأت قليلًا ابتلعت ريقها وسألت:

- ماذا تقصدين؟
- كانت حاملًا.

تغيَّرت ملامح سارة وارتبكت.. دارت عيناها في الغرفة مفكرة، ثم في نهاية الأمر اعترفت:

- منذ سنة تعرفت على كاتب عن طريق ورشة كتابة اشتركت بها وكان هو مَنْ يديرها.. أنتِ تعرفين ولعها بالقراءة والكتابة.. وهذا الكاتب وعدها بأن يساعدها في نشر أول رواية لها.
- هل كانت موهوبة في الكتابة؟! المشكلة أنني لم أكن أعرف شيئًا عنها.

قالتها وسام وهي على وشك أن تبكي، ولكنها أخذت نفسًا عميقًا وتماسكت، ثم سألت:

- مَنْ هو؟
- هو كاتب.. وتقريبًا مشهور.. اسمه...

لم يكن اسمه حاضرًا في ذهنها.. حاولت التذكر ولكنها في نهاية الأمر أخرجت هاتفها وبحثت عنه في محرك بحث جوجل، وما إن ظهرت صورته لها قالت على الفور:

- اسمه آدم وحيد.

وقدمت لها صورته وهو يوقِّع كتابًا لأحد القراء.

- 2 -

بأطراف أصابعها سحبت الرواية من فوق الرَّف ثم اتجهت إلى الكاشير، وحاسبت عليه..

- الكاتب هنا لو حضرتك تحبين أن تأخذي توقيعه.

نظرت يمينها فوجدته جالسًا بين القُرَّاء يجيب عن أسئلتهم.. ظلت لفترة تتأمله، تتابع حركات يده وتعبيرات وجهه، وانتظرت إلى أن فرغ وانفض المعجبون من حوله، تقدمت نحوه ومدَّت يدها بالرواية فأخذها منها ثم سأل دون أن ينظر نحوها:

- ما اسمك؟
- وسام.. وسام حسين.

جذبه صوتها الهادئ الذي يشع أنوثة وخجلًا.. رفع رأسه نحوها وابتسم.

- اسمك جميل.

ووقع لها على الرواية، وفي نهاية التوقيع ترك رقم هاتفه وقال مُبررًا:

- سأنتظر رأيك.

ابتسمت له ورحلت.

بعد يومين جاءته رسالة على الواتساب منها، كتبت بها: «أعجبتني الرواية كثيرًا.. مدهشة أنهيتها في يومين فقط، على الرغم من ضخامتها.. تحياتي لك.. وسام حسين».

ومن هنا انطلقت الشرارة.. وبدأ حديث بلا نهاية عبر رسائل الواتساب ثم الهاتف ثم مقابلات عديدة في حفلات توقيع وندوات إلى أن انتهى بهم الأمر في مواعيد غرامية.

عرف عنها أنها طبيبة نفسية ويرتكز تخصصها على العلاج بالإيحاء أو العلاج بالتنويم المغناطيسي، وشرحت له قائلة:

- إنه شكل من أشكال العلاج النفسي الذي يستخدم لإحداث تغيير في العقل الباطن للمريض، ويكون ذلك في شكل ردود وأفكار ومواقف وسلوكيات أو مشاعر جديدة،

حيث يمكن زراعة بعض الأفكار وتحفيزها بشكل تدريجي، فمن الممكن أن تعيش حياة كنت تحلم بها طوال حياتك، أو تتجاوز ذكريات قاسية أو تتغلب على بعض أمراض الرهاب، وما إلى ذلك..

ثم أوضحت له:

- ويرجع ذلك لأن الشخص الخاضع لتأثير التنويم يُظهر بعض خصائص السلوك غير العادية بالمقارنة مع الأشخاص في حالة اليقظة الطبيعية، حيث تتصرف مناطق الدماغ الفردية بشكل أكثر استقلالية عن بعضها البعض، ومن أوضح هذه الخصائص قابلية الإيحاء والاستجابة.
- أشعر بأن الأمر مُعقَّد.. أغلب الشرح لم أفهمه.

ابتسمت له وراحت تشرح ببساطة أكثر:

- الأمر بمنتهى البساطة إذا كانت لديك مشكلة متعلقة بالتخوف المرضي أو كثرة التفكير أو صعوبة التركيز وغيرها أستطيع عبر العلاج بالإيحاء أن أساعدك لتتجاوز ذلك بشكل بسيط وسلس.

أومأ معجبًا بحديثها وسأل:

- هل يمكن علاج قفلة الكاتب؟
- هل تعاني منها؟

باغتته بالسؤال فهزَّ رأسه في استسلام فتابعت:

- نعم وبكل سهولة.. في رسالة الدكتوراه الخاصة بي أحدثت نقلة نوعية لمن هم يعملون في الأمور الإبداعية.. خاصة مجال الكتابة.
- هل يمكن أن توضحي أكثر؟
- هل تعرف شيئًا عن تعليم الآلة والتعليم العميق؟

ارتسمت على وجه ملامح عدم الفهم فتابعت مرة أخرى:

- ببساطة هي طريقة تسمح للآلة أن تقرأ وتستنتج بناء على البيانات التي تحصل عليها.. مثل الطفل الصغير الذي يدخل الحضانة ثم يتدرج في مراحل التعليم المختلفة إلى أن يصبح أستاذًا في مجال ما.. وأقصد بأستاذ بأن يكون على دراية كاملة بالمجال الذي تخصص به.. لذلك تمكنوا من أن يجعلوا الآلة تكتب كتاب روائي كامل دون تدخل بشري.
- جميل وما علاقة ذلك بالتنويم المغناطيسي؟

- في تجربتي أحاول أن أفعل نفس الشيء مع الدماغ غبر التنويم المغناطيسي.. بعض الدراسات أوضحت أن مناطق الدماغ الفردية تتصرف بشكل أكثر استقلالية عن بعضها البعض.. مما يسهل في طريقة حقن المعلومات والأفكار دون أن يهاجمها العقل أو ينفر منها.. بمعنى أنه في تجربتي أوسع مدارك الخيال وأجعل تسلسل الأفكار أسرع.. الأمر بالتّأكيد يستغرق بعض الوقت لكن النتائج مبشرة جدًّا.

لمعت الفكرة في عقل أدم، وظل لأيام يقرأ عن تعليم الآلة والتنويم المغناطيسي.. منذ سنتين لم يعد يستطيع أن يكتب حرفًا واحدًا.. كان يعاني من قفلة الكاتب، ومهما حاول أن يتخلص منها بكل الطرق التقليدية المعروفة فشل وأنتكس أكثر.. والآن ظهرت له طريقة مبتكرة ممكن أن تساعده في حل تلك المشكلة.

في الحقيقة أن آدم كان يعاني من قفلة الكاتب، وكذلك كان مغرمًا بها ويريدها بأي شكل من الأشكال المتاحة وغير المتاحة.. سوأ كان ذلك عبر الزواج أو لا.. المهم أنها كانت تعجبه وكان يريد أن يجربها في السرير بأي طريقة.. لذا كان منفتحًا ليجرب.

في الجلسة الأولى نبهت عليه قائلة:

- للبداية من جديد يجب عليك أن تعيد تشكيل نفسك ولن تستطيع إعادة تشكيل نفسك دون ألم حقيقي.
- هل الموضوع خطير؟
- لا.. ولكن يجب أن يكون لديك رغبة حقيقية في التغيير وتحفِّز عقلك حتى يكون مستعدًّا لفعل ذلك.

صمت آدم مفكرًا في حديثها وقد انتابه الكثير من القلق، وسألها:

- كيف تسير الأمور؟
- يمكننا تقسيم خطة إعادة التشكيل إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول أن أحررك من أفكار عقلك الباطن، والقسم الثاني أن أزرع الأفكار بداخلك، وأخيرًا: أستميل هذه الأفكار على التحرك والإنتاجية، عن طريق التدخل المباشر مني في توجيه تسلسل الأفكار داخل عقلك الباطن نحو ما نريد أن نصل إليه.
- تعجبني هذه الخطة.. ولكن هل النتائج مضمونة؟

وقالت بحماس شديد:

- أكثر ممَّا تتخيل.. لأننا في النهاية سنضع عدة أفكار مترابطة، ونقوم بتحفيزها داخل عقلك حتى تتبلور الأفكار إلى نتاج أدبي.. الخلاصة أنت ستكتب روايتك عن طريق

عقلك الباطن.. أعرف أن الأمر غير تقليدي، لكن أقسم لك سيكون نتاجًا أدبيًا مدهشًا لم يعرفه الوطن العربي من قبل.

- هل يمكن أن توضحي أكثر؟ هل فعلًا من الممكن أن يكتب عقلي الباطن الرواية؟

أومأت رأسها بالإيجاب، ولكنها استدركت قائلة:

- ولكن يجب أن أعرف أولًا عنك الكثير حتى أدرك نواقصك، كما يجب أن يكون لديك فكرة بسيطة نبدأ بها تكون واضحة المعالم والهدف ليعمل معها العقل الباطن كما نريد.
- حمستني جدًّا.

وقالت بدلال وهي تنظر في عينيه بحُبٍّ:

- لا تقلق إن كان هناك ما يمكن أن يضرك لم أكن لأفعله أبدًا.
- هل جربتِها على أحد من قبل؟

باغتها بسؤاله فارتبكت، ولكنها استدركت الأمر وقالت له:

- بالتأكيد وإلا كيف سآخذ الدكتوراه وتُنْشَر أبحاثي في أهم المجلات العلمية؟

هزَّ آدم رأسه متفهمًا فهو يعرف أن كل رسائل الدكتوراه يكون لها جانب عملي، وله نتائج ناجحة، وطالما نُشِرت في مجلة علمية فالأمر يكون مُطمئنًا، وسألته:

- المهم هل لديك بذرة فكرة رواية نعمل عليها؟

فكر لبُرهة ثم قال:

- نعم.. انتظري ثواني..

فتح هاتفه ومن التدوينات على جهازه قرأ لها:

- كاتب عديم الموهبة حققت روايته الأولى نجاحًا ساحقًا وتصدرت قوائم الأكثر مبيعًا، وسريعًا ما تحولت تلك الرواية إلى لعنة جعلت حياته على المحك.. فترى على ماذا تحتوى هذه الرواية حتى تجعله هدفًا مطلوبًا للشرطة ولجماعة إرهابية غامضة؟ في رحلة غير منتهية من المطاردات والغموض المستمر تدور أحداث الرواية.
- الفكرة عجبتني كثيرًا.. أشعر بأنها ستكون رواية مدهشة، ولكن يجب أن نضع خطوطًا عريضة للمسار الذي تريد أن تسير فيه الأحداث حتى لا نصنع شيئًا عشوائيًا.
- سأعمل على ذلك.. ولكن كم نحتاج من الوقت حتى ننتهي؟

- شهرين أو ثلاثة على الأكثر.

وهتف مُبتسمًا:

- رائع.. الجميع ينتظر روايتي الجديدة منذ أكثر من عامين.
- لا تقلق خلال أشهر قليلة سننتهى من المسودة الأولى.. وابتداء من اليوم اعتبرني محررتك الأدبية، ولست طبيبتك الخاصة.

- 3 -

ومن الآن فصاعدًا لن يتحكم آدم في عقله مرة أخرى.

في الجلسة الأولى.. جلس آدم على الشيزلونج في استسلام تام لهذه التجربة المثيرة.. ساعدته وسام على تصفية الذهن ثم طلبت منه أن يُركِّز نظره في نقطة مرتفعة، ولا يزحزح نظره عنها، يغمض عينيه ويتنفس بعمق حتى يدخل في مرحلة الاسترخاء العميق، بحيث يبتعد عن الواقع بشكل تدريجي، ويتخيل أول مشهد في روايته.. بينما هو نائم تسجل له كل ما يقوله.. تسأله عما يشاهد فيصف لها بكل دقة، وعند حدوث أي خروج عن الخطوط العريضة الموضوعة له كانت تتدخل وترجعه إلى مساره الصحيح.

*****

وتوالت الجلسات، ولكن مع الوقت تمادت وسام في استخدام العلاج بالإيحاء لدرجة أن آدم بدأ يُصَاب بتشوش عقلي، وذكرياته بدأت تتداخل مع بعضها البعض بشكل عنيف فقد معها السيطرة بشكل كامل على عقله، ويرجع ذلك بسبب أنه كان يُعالج نفسيًّا سابقًا وهي كانت تعرف، وتعرف أنها لو فعلت ذلك ستكون النتائج كارثية.

شجعتها النتائج المبهرة في البداية، ولكن رغبة الانتقام هي التي قادتها لتعبث بعقله بشكل عشوائي.. زرعت بداخله الكثير من الأفكار ثم بترتها وجعلته مُشوشًا غير قادر على معرفة الحد الفاصل بين الواقع والمُتخيَّل.

في الحقيقة لم يكن آدم سوى حالتها الوحيدة لتطبيق نظرية رسالتها من أجل الدكتوراه.. كانت قد كذبت عليه وقالت له إنها جربت الأمر من قبل، وهي بالتأكيد لم تفعل ذلك فلم يكن يشغلها شيء سوى أن تنتقم.

أَنَّبها ضميرها ونغَّص عليها لذة انتقامها، فحاولت تدارك خطأها وقامت بإيداعه في مصحة عقلية؛ ظنًّا منها أن هذا كافٍ له، ويجب الآن أن تركز على شيء واحد تستفيد منه حتى تحصل على شهادة الدكتوراه، وهكذا ظنت أن الأمر قد انتهى.

*****

لأول مرة استطاعت أن تدخل غرفة أختها منذ وفاتها.. تدخلها الآن وقد انتصرت معنويًّا من أجلها.. لا، إنها كانت صادقة مع نفسها، فقد انتصرت من أجل نفسها وليس أختها..

في الغرفة أضاءت النور لأن الشباك كان مغلقًا، دارت بنظرها وكأنها تستكشف المكان وتتأمله محاولة أن تجد أي شيء يعرفها عليها أكثر.. كانت تشعر برغبة عارمة بأن تجد شيئًا يربطها بها ويشعرها بالتواصل معها.. شيء يُذكِّرها بها في كل لحظة.. إحساسها بالذنب والتقصير تجاها كان يطغى عليها ولم تستطع أن تهرب منه.

اقتربت من مكتبها، سطحه مُكدَّس بالكثير من الكتب والكشاكيل الدراسية، لفت انتابها الدُّرج الأوسط فحاولت فتحه، كان مغلقًا، بحثت عن المفتاح فلم تجده، فأخذت قرارها وبواسطة مطرقة متوسطة الحجم أزاحت الكالون عن موضعه فانفتح الدُّرج، واكتشفت مجموعة من الكشاكيل ذات سمك قليل، فتحت الأول، ولاحظت وهي جالسة على مقعد المكتب، خط أختها المُنمَّق الجميل، ثم شرعت في قراءة الصفحة الأولى.. «أختي.. كنت فقط أرغب في احتضانك».. ارتجفت ولم تستطع السيطرة على أعصابها ووقع الكشكول من يدها، التقطت أنفاسها بصعوبة، وصدرها يعلو ويهبط بلا توقف، وهبطت الدموع على خديها كخيطًا طويلًا لا ينتهي.

مرَّ وقت ليس بالقصير حتى هدأت.. تناولت الكشكول من فوق سطح الأرض وأكملت ما كانت تفعله.. كانت الكشاكيل عبارة عن مذكراتها الخاصة، فرصة جيدة لتتعرَّف عليها وتقترب منها أكثر.. ظلَّت طوال الليل تقرأ إلى أن وجدت بالكشكول الأخير، الذي كان عنوانه (المسودة 107)، مخطوطة رواياتها الوحيدة، وقرأت في صفحته الأولى:

«في خزانة أمي وجدت مذكرات أبي التي كتبها في الزنزانة 107، وعرفت أنه قبض عليه في القضية 312 لسنة 2005 بالسجن المؤبد لمدة 15 سنة.. كانت أمي قد كذبت علينا وقالت لنا بأنه مات.. ولم تحكِ لنا عنه شيئًا، خاصة أنا الذي ولدت بعدما قبض عليه ولم أره طوال حياتي.. لم تخبرنا بأن أبي إرهابي متطرف يزهق أرواح الناس بدون أي وجه حق، وكانت هذه أول مرة لا أشعر فيها بالفخر أنه أبي، وتلاشت من داخلي كل مشاعر الحب تجاهه.. بعد فترة عندما فكرت في مشروع كتابه أول رواية لي في حياتي ظلت فكرة المذكرات التي كتبها أبي هي ما تشغل بالي، حيث حكى بأنه كتب بها الكثير من الواقع الممزوج بالخيال، كانت المذكرات تعجبني وتشعرني بالغرابة طوال الوقت.. وبدأت الفكرة تنبت في عقلي تدريجيًا حتى استطعت أن أكتب الخطوط العريضة وملخص للعمل، وكنت قبل هذا قد قررت الاشترك في ورشة لتعلم فن الكتابة الروائية حتى تساعدني على تنمية مهاراتي في الكتابة وتمكنني من كتابة الرواية بشكل احترافي**»**.

عندما قرأت ذلك فرحت وسام بشدة، ولكن عندما استكملت القراءة وأدركت أن فكرة روايتها نفس الفكرة التي حكى لها آدم عنها حينما قرأها من هاتفه، اشتعل الغضب داخلها وهي مختنقة ولاهثة، ولكنها لم تكن تريد تصرفًا متهورًا، فصفعت وجهها بقوة عدة مرات كمن يؤدِّب نفسه، ثم دخلت في نوبة من الصراخ والبكاء حتى تُخرِج كتلة الغضب والتفكير المُتهور من داخلها، وبمجرد أن هدأت قليلًا لمعت الخطة في عقلها على الفور، وقبل أن

تغادر لمحت كتابًا قديمًا داخل الدرج، مدت يدها وسحبته، كان كتابًا قديمًا بغلاف أزرق باهت اللون ومكتوب عليه بخط صغير (المسودة 107).. فتحت الصفحة الأولى وقرأت:

«اسمي عبدربه حسين الشمالي وهذه مذكراتي الأخيرة التي أكتبها داخل الزنزانة 107 قبل أن أنتحر، بعد أن ساعدني أحدهم على تهريب شفرة حلاقة، حيث أنني أعاني من تشوش شديد في الذاكرة في الأيام الأخيرة وأخلط باستمرار بين الواقع والمتخيل، ولم أعد أتحمل أن أستمر هكذا في هذا الجنون، ولكن قبل أن أفعل ذلك أريد أن أكتب كل ما يوجد في عقلي ليكون آخر ذكرى لي في هذه الحياة التي امتدت إلى خمسة وخمسين عامًا».

****

في الصباح، ذهبت إليه.. كانت علاقتها جيدة بمدير المستشفى حيث سمح لها بأن تزوره في أي وقت ولأي مدة تريدها.. في تلك الزيارة السريعة أقنعته باستكمال رحلة كتابة رواية مصيدة الكتاب الأزرق التي بدأها عن طريق الإيحاء، وهمته أنها فرصته الوحيدة للخروج.

حينما انتهى آدم من الرواية أرسلها لها عبر البريد الإلكتروني، وقال لها إنه مُطارد، ويجب أن تنشر هي الرواية مهما حدث، كان كل ذلك مجرد جزء من خطتها التي رسمتها بكل دقة داخل عقله.. جعلته تدريجيًّا يفقد السيطرة على واقعه، وزرعت بداخل دماغه كل ما تريده أن يعيش به من أجل أن يتألم.. والآن لم يعد متبقٍ سوى خطوة أخيرة، أن يفتح حسابه على فيسبوك ويكتب:

«أُقِرُّ وأعترف أنا آدم وحيد.. أن كل رواياتي التي نشرتها، والتي لم أنشرها كل أفكارها تعود إلى الكاتبة الراحلة مروة الشمالي.. وأنني كنت أستغل حبها لي حتى أحصل منها على الأفكار اللازمة للكتابة.. بل في بعض الأوقات كانت هي مَنْ تكتب كل شيء من أول سطر إلى آخر كلمة.. أنا ندمان بشدة، وأعتذر عن ذلك.. سأجد طريقة في أسرع وقت لأرد لها حقها».

ثم أتبعه بظهوره لايف عبر حسابه قال فيه باقتضاب:

«المنشور الأخير على حسابي صحيح.. وأنا مسئول عن كل كلمة به».

****

وبعد ساعتين نشر فيديو آخر:

ظهر به بشعره الطويل غير المُهندم وبلحيته الكثيفة.. يبدو عليه الارتباك والخوف وقلة النوم وهو يحدِّق في الأرض لبضع ثوانٍ، ثم قال وهو ينظر نحو الكاميرا:

- أنا يائس، ولا مفر أمامي سوى فعل ذلك.. لقد وضعت نفسي داخل هذه اللعبة دون أن أشعر.. انجرفت قدمي نحو الشهرة والمجد.. واليوم يجب أن أدفع ثمن ما اقترفته في حق نفسي وقرائي والجميع.

ثم بكى قليلًا حتى اِبتَلَّ وجهه وقال بيأس:

- ما الذي يجب عليَّ فعله حتى أُكفِّر عن ذنبي، حتى أشعر بالسكينة والهدوء، حتى أهرب من القلق والخوف والعبث الذي يحاوط حياتي.. لا شيء منطقيًّا يمكن أن افعله سوى أن أنهي حياتي دون أي اختيار مني.

وبتسم بسخرية:

- نعم أنا مُجبر على ذلك، وهذا ما أستحقه.

ثم تابع بحزن:

- ولكن أنا أحب الحياة والحياة لا تحبني.. ما باليد حيلة.. يجب أن أقرر مصيري بنفسي حتى أرتاح..

أخرج مسدسه من جيبه، وبيد مرتعشة وضع فوهته على رأسه، تنفَّس بعمق وقال والدموع لا تزال تسقط من عينيه:

- في الظروف العادية كنت سأتراجع عن ذلك في اللحظة الأخيرة فأنا جبان.. جبان لأبعد حد.. ولكن الاكتئاب يتفاقم داخل عقلي ولا أحد يساندني ولا يقدم لي يد العون.. كم هذا مؤسف.. أن أعيش هكذا في خوف وشعور بالذنب مستمر لا ينتهي.

ثم أطلق رصاصة ثقبت عظام جمجمته وهوت جثته على الأرض بلا حراك.

- 4 -

تعاونت وسام مع أحد المُحررين المُخَضْرَمين حيث قاما معًا بحذف وإضافة بعض الفصول، وعدَّلا بعض الفصول من ضمير المتكلم إلى ضمير الراوي العليم، ثم عدة تعديلات أخرى على مستوى الحَبْكة وتسلسل الأحداث ومنطقيتها.

استغرق الأمر ثلاثة أشهر حتى أصبحت رواية مصيدة الكتاب الأزرق التي كتبها آدم عن طريق علاجه بالإيحاء جاهزة، ولكنها حذفت اسم (آدم) ووضعت اسم أختها (مروة) بدلًا منه كنوع من رَدِّ الجميل لها وتخليدًا لذكراها.. ومنذ أيام تعاقدت مع دار الرواق للنشر والتوزيع من أجل نشرها في معرض القاهرة الدولي للكتاب 2022.

*****

وعلى صعيد آخر، حكمت المحكمة بناء على الاعتراف الذي أدلى به آدم وحيد بسرقة روايته من مروة الشمالي بأن يتم سحب جميع النُّسَخ التي تحمل اسمه وإعدامها، وتتم إعادة إصدارها باسم مروة الشمالي، وذلك في مدة أقصها 6 أشهر.

وبهذا تكون وسام، ولأول مرة قد شعرت بالسعادة والرضا وهي تنتقم لمقتل أختها بما يليق بها..

*****

وبعد شهرين كانت وسام تحضر حفل تأبين لأختها مروة شمل على قيامها بالتوقيع للعديد من المغرمين بالرواية.. كانت سعيدة جدًا بذلك وهي ترى المعجبين يزدادون مع مرور الوقت لدرجة أن جميع النسخ الموجودة في المكان نفدت.

في نهاية الحفل تقدم أحدهم بنسخة إليها لتوقعها، كان رجلًا عجوزًا طاعنًا في السن، وهي كانت منهمكة والصداع يضرب رأسها فلم تنظر إليه ومدت يدها بشكل روتيني وأخذتها منه، وضعتها على الطاولة وفتحت الصفحة الأولى وأمسكت قلمها، وقبل أن تكتب سألته وهي منكبة على الرواية:

- ما اسمك؟

قال بنبرة هادئة وواثقة:

- عبدربه.. عبدربه الشمالي.

صعق الاسم أذنيها، وتلاشت كل المشاعر من على وجهها وهي ترفع رأسها، وحدقت به في ذهول، فقد أصابتها صدمة لم تنلها من قبل. ابتسم لها ونظر مباشرة في عينيها، بينما هي واصلت التحديق في وجهه بلا توقف وكل الأفكار السيئة بدأت تدور في عقلها.

تمّت

للتّواصل مع الكاتب

:E-mail

IbraElmahallawy@gmail.com

:Facebook

facebook.com/IbraElmahallawy

:Twitter

twitter.com/IbraElmahallawy

:Instagram

instagram.com/IbraElmahallawy

1. الغلاف
2. المسودة 107
3. إهداء
4. وقتٌ مناسبٌ للصَّيد
5. تقرير سري 1
6. السَّاعة 11:11
7. - 0 -
8. - 1 -
9. - 2 -
10. - 3 -
11. تقرير سري 2
12. - 4 -
13. - 5 -
14. - 6 -
15. - 7 -
16. - 8 -
17. - 9 -
18. - 10 -
19. الساعة 11:11
20. - 0 -
21. - 1 -
22. - 2 -
23. - 3 -
24. - 4 -
25. - 5 -
26. - 6 -
27. - 7 -
28. - 8 -
29. #مسودة
30. #مسودة
31. الساعة 11:11
32. - 0 -
33. - 1 -
34. - 2 -
35. - 3 -

36. - 4 -
37. - 5 -
38. السَّاعة 11:11
39. - 0 -
40. - 1 -
41. - 2 -
42. تقرير سري 3
43. - 3 -
44. - 4 -
45. الساعة 11:11
46. - 0 -
47. - 1 -
48. الساعة 11:09
49. - 0 -
50. - 1 -
51. - 2 -
52. - 3 -
53. - 4 -
54. للتَّواصل مع الكاتب